

# لِذَلِكَ الْكَوْثَابُ

في التغيير واصلاح القلوب

وصايا للدعاة ومائة موضوع في العقيدة والسنة واصلاح القلوب

الدكتور

يُوسُفُ فَهْدُ عَلَىٰ

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

م ٢٠٢٠

ـ ١٤٤٢ هـ

**العنوان : زاد الدعاة في التغيير وإصلاح القلوب  
وصايا للدعاة ومائة موضوع في العقيدة والسنّة وإصلاح القلوب**

**تأليف: الدكتور يونس فهد علي**

**عدد الصفحات: ٤٠٠**

**القياس: ١٧ × ٢٤ سم**

**رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٩٠) لسنة ٢٠٢٠**

**يسمح بطباعة الكتاب أو جزء منه دون تغيير**

## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا  
مُضَلٌّ لَهُ وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (يَا  
أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا  
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا  
اللَّهَ وَقُولُوا فَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ  
فَوْزًا عَظِيمًا)

أمّا بعد: فلقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب رحمة بالناس حتى يسود العدل بينهم قال تعالى:  
(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) وَعِرْفَهُمْ تَعَالَى  
بِنَفْسِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشَرِّكُوْهُ بِشَيْءٍ وَيَتَرَكُوْهُ عِبَادَةَ مَخْلُوقَاتِهِ. وَأَمْرُ رَسُلِهِ  
وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِالدُّعَوَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي  
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

هذا الكتاب يتضمن وصايا للدعاء إلى الله ومائة موضوع في العقيدة والسنّة واصلاح القلوب  
وأكثرها من قراءاتي في كتب الأولين من العلماء الذين لهم الفضل علينا بعد الله تعالى الذي هدانا  
وأعزنا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي كتب من سبقني من الدعاة إلى الله تعالى،  
وهو معزز بالأدلة من القرآن والحديث الصحيح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال  
العلماء والصالحين وبعض الآثار اضعها بين يدي الدعاء إلى هذا الدين وكل مسلم يريد السير على  
صراط الله المستقيم الذي بينه تعالى في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

أرجو أن يكون عملي لهذا الصالوّجه ربّي الكريم وأستغفره سبحانه من التقصير فيه وقول ما  
لا يرضيه وأن يجزيّني به بفضله ومنّه وكرمه إنّ ربّي سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين والصلة  
والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

بغداد — ١٤٤١ هـ

## منهجي في الكتاب

هذا الكتاب الذي بين يديك عبارة عن مجموعة من الخطب والدروس التي مَنَّ الله تعالى بها علىٰ فلا علم لنا إلا ما علمنا ربنا وهو العليم الحكيم، وأكثرها من قراءاتي في كتب الأولين الذين لهم الفضل علينا بعد الله تعالى الذي هدانا وأعْزَنَا برسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي كتاب من سبقني من الدعاة وأعتذر لهم في حالة عدم توثيق بعض العبارات من أجل الاختصار، وقدر الله تعالى أن أحفظ بها ثم هداني سبحانه وتعالى أن أراجعها وأجمعها في هذا الكتاب لستم الفائدة منها لمن يقرأها سواء كان خطيباً أو داعية أو مسلماً تائباً من ذنبه يريد أن يسير على صراط الله المستقيم ويترك ما كان عليه من الذنوب والمعاصي. وقد رتّبته بحيث يستفيد منه الخطيب للقاء في خطب الجمعة أو محاضراته الدعوية وفق المنهج التالي:

**أولاً:** صدرت البحث بمقدمة وكلمة إلى الدعاة، بيت فيها مواصفات الداعية الناجح وسمات الخطبة الناجحة وبيان أهمية الإمامة ومسؤوليتها الكبيرة ومن هو أحق بها للتبنيه الداعية والإمام على عظم المسؤولية التي يحملونها وهي دعوة الانبياء والرسل وإرشادهم على بعض مواطن القوّة في الدعوة للعمل بها ومواطن الخلل لتجنبها لتكون دعوتهم مؤثرةً بالآخرين ويجدون ثمارها عاجلاً بهداية الناس وأجلاب نصر الإسلام.

**ثانياً:** اشتملت الخطب على موضوعات في العقيدة والعبادات والأخلاق وإصلاح القلوب والسنن الثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأسباب التي توصل لمحبة الله سبحانه وتعالى.

**ثالثاً:** اختصرت الموضوعات قدر الإمكان، وللخطيب أن يضيف أو يحذف ما يراه مناسباً لحال المخاطبين.

**رابعاً:** صدرت كل خطبة بآية يدور حولها موضوع الخطبة، وتركت مقدمة الخطبة لاختيار الخطيب على أن يتلزم بأركان الخطبة.

**خامساً:** استشهدت بالحديث الصحيح أو الحسن، وبما ورد من كلام الصحابة والصالحين وسيرهم وبعض الآثار.

**سادساً:** رممت بعلامة (\*\*) للاستدلال على بدء الخطبة الثانية.

**سابعاً:** الدعاء في آخر كل خطبة مما ثبت من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## كلمة إلى الدعاة

أَوْدَ أَنْ أَنْبِهِ إِخْرَانِي الدُّعَاءَ إِلَى بَعْضِ الْأَمْورِ الَّتِي تَخَصُّهُمْ لِيَكُونُ كَلَامُهُمْ مُؤْثِرًا فِي الْآخَرِينَ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَفَطَّنَ الدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ لِعَظَمِ الْمَسْؤُلِيَّةِ الْمُلْقَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَأَذْنَ لَهُ أَنْ يَقُومَ بِأَعْظَمِ وظِيفَةِ عِرْفِهِ الْإِنْسَانُ وَهِيَ وظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ بِالدُّعَوةِ إِلَى اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨]

فَالْقَائِمُ بِالدُّعَوةِ يَنْوِبُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: ٤٦]، وَسَائِرُ مَعِ رَكْبِ الْجَيْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ قَادُوا الْأَمَّةَ وَجَعَلُوهَا فِي مُقْدَمَةِ الْأَمْمَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَعْثِرُ خَلْفَ رَكْبِ الْمَسِيرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

فِيهِذِهِ الدُّعَوةُ شَرَفتِ الْأَمَّةَ وَأَصْبَحَتْ خَيْرَ الْأَمْمَةِ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]

فَهِيَ مَسْؤُلِيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَمَهْمَةٌ عَظِيمَةٌ ثُمَرَتْهَا هُدَايَةُ النَّاسِ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِسْعَادُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَنَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ وَفُوزُهُمْ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى: (الرَّكِيَّاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صَرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [ابراهيم: ١]، لِتَهْدِيهِمْ بِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَضِيَائِهِ، وَتُبَصِّرُهُمْ بِأَهْلِ الْجَهَلِ وَالْعَمَى سُبْلِ الرَّشَادِ وَاهْدِي.

وَأَجْرُ الدُّعَوةِ إِلَى اللَّهِ عَظِيمٌ وَمَبَارِكٌ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْوَرِ مَنْ تَبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبَعَهُ

لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>

ولا يستهين الداعي إلى الله بتبلیغ ما يعلم وإن كان قليلا فرب آية أو حديث هدت عاصيا وأعادته إلى ربّه عبدا مستسلما بعد أن كان آبقا، قال صلی الله عليه وسلم: «بَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدُّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن مواصفات الداعية الناجح:

أولاً: إخلاص النية لله تعالى: على الداعية أن يخلص النية لله ويطلب الأجر منه، وألا يريد بعمله الدنيا، فالأنبياء والرسل نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبيينا الصلاة والسلام قالوا لأقوامهم: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: ١٢٧]، وسيدنا رسول الله صلی الله عليه وسلم قال له ربّه: (فُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [سبأ: ٤٧]

ونبه رسول الله صلّى الله عليه وسلم على ذلك وحذر منه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَعَنِّي بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عِرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>، فعلى الداعية أن يخرج الدنيا من قلبه عند دعوته وما جاءه من غير مسألة ولا استشراف فلا بأس به لقول النبي: «مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَكَ فَلَا تُتَبِّعْهُ نَفْسَكَ»<sup>(٤)</sup>

وخير الدعاء بعد النبي صلی الله عليه وسلم صاحبته فقد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لنشر الدعوة وإيصالها إلى أقصى بقاع الأرض، بذلوا أموالهم لله حتى ينشر هذا الدين، عن

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٦٢)، رقم ٦٩٨٠

(٢) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٧٠)، رقم ٣٤٦١

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، (ج ٣ / ص ٣٦١)، رقم ٣٦٦٦، وقال الالباني: صحيح

(٤) النساءي، سنن النساءي، (ج ٥ / ص ١٠٤)، رقم ٢٦٠٦، وقال الالباني: صحيح

عمر بن الخطاب قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فقال عمر وعندي مال كثير فقلت والله لأفضلن أبا بكر قال فأخذت ذلك المال وتركت لأهلي نصفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عمر إن هذا مال كثير فما تركت لأهلك قال: قلت نصفه، قال وجاء أبو بكر بهما كثیر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن هذا مال كثير فما تركت لأهلك قال الله رسوله»<sup>(١)</sup>

وهذا هو الفرق الشاسع بين دعاء الامس ودعاة اليوم فلا يمكن للدعوة أن تظهر بدعاة عَصّوا على أموالهم بالنواجد واستشروا الفائدة من دعوتهم، وقيل لبعضهم: لماذا إِذَا وعظ بعض الناس خَوْفَ وأبكي، وبعضهم يتكلم ويبيكي ويخوف ولا يكون، فقالَ لَيْسَت النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . فالنائحة التي فقدت ولدها تنوح وتلطم من كل قلبها على غير التي تريد من نوحها الأجرة، ونحن فقدنا الإسلام وعزه ونوح عليه من أجل الأجرة.

إِليكم هذه القصّة: مجموعة من الشباب الذين تعلّموا الدين على الكتاب والسنّة فكّروا في بناء مسجد في قريتهم فقاموا بتأسيسه ثمّ بنوا الجدران وتوقف العمل لأكثر من سنة لعدم وجود متبرع لسقف المسجد لأن السقف يتكلّف مبلغًا كبيرًا وفي يوم جمعهم أحدهم فقال لهم لا يمكن لنا أن نبقى متوقفين على هذه الحال وقال لهم نريد أن يرى الله منا بذلك جهدنا نحن قبل أن نطلب متبرعاً من غيرنا. ليعطي كل واحد منا حسب استطاعته فوافقوا فقال أنت يا فلان عليك كذا مبلغ وأنت يا فلان عليك كذا مبلغ حتى قال بعضهم أنا أعطي ولكن بالتقسيط لعدم استطاعته دفع كامل المبلغ واتفقاً أن يذهبوا لأمهاتهم ونسائهم ويطلبون من كل واحدة أن تبيع دجاجة من دجاجاتها وتأتي بشمنها، وكذلك ذهبوا إلى الأطفال الصغار وطلبوا منهم أن يعطي كل واحد منهم مصروفه

---

(١) احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، (ج ٢ / ص ١٠٢)

اليومي من والديه فأخذ هؤلاء الاطفال يتواجدون على من جمع المال بمحال يسيرة لا قيمة لها في نظرنا ولكن الله تعالى لما رأى اجتماع هؤلاء القلة رجالاً ونساء وأطفالاً وبذلوا وسعهم في سبيله لبناء بيته ومع أول استئناف للعمل برفع بعض الانقاض الزائدة لتهيئة المكان للعمل جاء متبرع من غير موعد إلى المسجد وقال أنا أقوم ببناء المسجد وأكمله كلّه، وأسائل الله أن يرحمه لأنّه توفي بعد فترة من إكماله للمسجد. انظر أخي المسلم إلى فضل الله الذي رأى من عباده وسعهم فيسر لهم أمر بناء بيته، فابذل جهودك وأخلص النية وأحسن الظن بالله، واعلم أنك ما تقربت من الله شبراً إلا تقربت منك ذراعاً.

ثانياً: العلم: الفرق بين دعوة أهل الباطل ودعابة أهل الحق هو العلم، فلا بدّ لكل داع إلى الله ودينه أن يتحصّن بالعلم ويسلّح به، قال تعالى: (وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحُقْرُ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) [الحج: ٥٤] وأول العلم العلم بكتاب الله تلاوة وتفسيرها وأحكاماً ثم حديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم ومعرفة الصحيح من غيره والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والعمل بالدين كما فهمه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وليس على فهمنا نحن، وكذلك من المهم أن تكون لغته سليمة من الأخطاء اللغوية وحالية من اللحن.

ثالثاً: حب الناس للداعية: وهذا أمر مهم ومرتبط بما قبله وهو العمل بعلمه فهو الذي يحببه إلى الناس، فكل داعية لا بدّ أن يكون محوباً عند الناس لأنّ من لا يحبّك لا يمكن أن يسمع منك، وهذا لا يتحقق إلا بعدة أمور نذكر منها:

١ — تقوى الله وحسن الخلق: عن أبي هريرة رضي الله عنه: سُئلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقُوَى اللَّهُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، قَالَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟

قال: «الْأَجْوَافَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»<sup>(١)</sup> يقول ابن القيم: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعوا الناس إلى محبته<sup>(٢)</sup>، فكلما كان الداعي إلى الله متتصف بالأخلاق الحسنة كان أحب إلى الناس وأدعى أن يقبلوا كلامه.

٢ — الزهد بها في أيدي الناس: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ<sup>(٣)</sup>

فلا يمكن لشخص أن يحب وهو ينافس الناس على ما في أيديهم كلما رأى شيئاً جميلاً أو جديداً عند مسلم أو غير مسلم طلبه منه ليأخذه بأي طريق، حتى جارك أو قريبك إن كثرت طلباتك منه لا بد أن يبغضك ويحاول الابتعاد عنك.

٣ — إفساء السلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَبُّوا. أَوْلًا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَبَّبُتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ<sup>(٤)</sup>.

فللسلام تأثير عجيب في النفوس وجذب القلوب فكلما أكثرت السلام أحببوك وإذا تركت السلام أبغضوك. واعتاد الناس السلام على من يعرفون ولكن النبي صلّى الله عليه وسلم أمر بالسلام على من عرفت ومن لم تعرف، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) البخاري، الأدب المفرد، (ص: ١١٠)، رقم ٢٩٤، وقال الالباني: حسن

(٢) ابن القيم، الفوائد، (ص: ٧٥)

(٣) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ٣٩٢)، رقم ٤١٠٢، وقال الالباني: صحيح

(٤) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٣)، رقم ٢٠٣

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

أن رجلاً سأله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُّ الإسلام خَيْرٌ قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»<sup>(١)</sup>

رابعاً: موافقة فعل الداعية لقوله: يجب أن تكون أفعال الداعية مطابقة لقوله وإلا كان وبالاً على الدعوة، وكابحاً يوقفها عن المسير وعرض نفسه لمقتلة الله في الدنيا قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ). كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

[الصف ٢-٣]

أمّا حاله في الآخرة فقد ذكرها سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثين أو لهما: ليلة أسرى به: عَنْ أَنْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَزَتُ لَيْلَةَ أَسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُمْ بِمَقَارِيبِهِمْ مِنْ نَارٍ قُلْتُ مَا هُؤُلَاءِ قَالَ هُؤُلَاءِ خُطَّابٌ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَهُمْ يَتَلَوَنَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»<sup>(٢)</sup>

وثانيهما: في الحديث الصحيح عن أسمة بن زيد قال سمعته يقول — يعني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : «يُجَاهُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدِلُقُ أَفْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ مَا شَانَكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمُعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أُمْرُكُمْ بِالْمُعْرُوفِ وَلَا أَتَيْهُ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتَيْهُ»<sup>(٣)</sup>.

ليذكر كل داعية هذين الحديثين عند دعوته حتى يحاول العمل بما يقول ليكون مؤثراً. فما من حكم شرعاً تدعوه له، وتعمل به إلا وترى شجرته مثمرة في ارض الواقع نجاحاً منظوراً للدعوة، وما من مخالفة لحكم شرعاً إلا وكانت خراباً واضحاً في ارض الواقع.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢)، رقم ٢

(٢) مسنـد أـحمد، (ج ٣ / ص ١٨٠)، رقم ١٢٨٥٦، وـقال شـعـيب الأـرنـاؤـوطـ: صـحـيقـ

(٣) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٢١)، رقم ٣٢٦٧

خامساً: اتباع خلق الرسول صلى الله عليه وسلم: لا بد أن يتمثل الداعية بخلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر والحلم والعفو والعطاء والسماعة والرفق والجهر بالحق، وسيرته صلى الله عليه وسلم ملؤة بمواصفات لأناس أسلموا لتأثيرهم بخلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكم من أعرابيًّا أسلم لرفق النبي صلى الله عليه وسلم وكم من أعرابيًّا أسلم بعطاء النبي صلى الله عليه وسلم، وكم من زيارة لمريض أدت إلى هدايته كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الغلام اليهودي، عنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْوُدُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْدُهُ فَقَالَ لَهُ أَطْعِمْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>

وكم من عفو أدى إلى هداية مسلم وتوبته من ذنبه فبسبب العفو هدي الكفار إلى الإسلام وتغيير قلوبهم من بغض الإسلام وأهله إلى حبه والدفاع عنه، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَّلًا قَبْلَ نَجْدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَّاَمَةُ بْنُ أَثَّالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِيِّ الْمُسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَّاَمَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمَ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَّاَمَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ شُنْعُمْ عَلَى شَاكِرٍ فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَّاَمَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلُقُوا ثُمَّاَمَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى تَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمُسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمُسْجِدَ فَقَالَ أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهُ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْعَضُ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ

فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللهُ مَا كَانَ مِنْ دِينِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللهُ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخْدَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبُوتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللهُ لَا يَأْتِيَكُمْ مِنْ الْيَامَةِ حَبَّةً حِنْطَةً حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>. وَعِنْ الْبَيْهَقِيِّ: «وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَدِهِ وَمَنَعَ الْحَمْلَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى جُهِدَتْ قُرَيْشٌ فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ بِأَرْحَامِهِمْ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى ثُمَامَةَ يُخْلِلَ إِلَيْهِمْ حَمْلَ الطَّعَامِ فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>

وهذا من خلقه صلى الله عليه وسلم ورحمته بأعدائه، فليعلم كل داع إلى الله أن الله تعالى يريد منك أمرا والنفس تريد أمرا آخر فالنفس تريد الانتقام من يسيء إليها والله تعالى يحب العفو والتسامح مع من أساء إليك، فإذا قدمت ما يحبه الله تعالى على ما تحبه نفسك جاءتك قلوب العباد وهي راغمة.

**سادسا: الصدق والكرم والشجاعة:** وهي من اخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهي صفات محمودة عندبني آدم ولها جميعهم يتداهون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن، والقضايا التي يتفق عليها بني آدم لا تكون إلا حقا، كاتفاقهم على مدح الصدق والعدل، وذم الكذب والظلم، وكان خلق النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في أعلى المنازل فهو أصدق الناس وأشجعهم وأكرمههم كما في حديث جير بن مطعم «أَنَّهُ يَبْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقْتُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرَرُوهُ إِلَى سَمُّرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

(١) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٧٠)، رقم ٤٣٧٢

(٢) البيهقي، سنن البيهقي، (ج ٩ / ص ٦٦)، رقم ١٨٤٨٩

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ عَدْدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسْمَتُهُ بَيْنُكُمْ ثُمَّ لَا تَحِدُونِي بَخِيَالًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»<sup>(١)</sup>

فمن أمر غيره بحسن أو أحبّ موافقته على ذلك، أو نهى غيره عن شيء، فيحتاج أن يحسن إلى ذلك الغير إحساناً يحصل به مقصوده، من حصول المحبوب واندفاع المكروره، فإن النفوس لا تصبر على المرّ إلا بنوع من الحلو، لا يمكن غير ذلك، وهذا أمر الله تعالى بتأليف القلوب، حتى جعل للمؤلفة قلوبهم نصباً في الصدقات. بالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل السابقين، فقال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ آنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) [الحديد: ١٠] لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك، في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم، لا سيما كلما قويت الفتنة والمحنة، فال الحاجة إلى ذلك تكون أشدّ، فال حاجة إلى الساحة والصبر عامة لجميعبني آدم لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا به<sup>(٢)</sup>. فالعطاء والكرم له أثر كبير في جذب قلوب المدعويين، عن أنسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّيَّا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَاهُ فَأَتَى قَوْمًا فَقَالَ أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَتَحَافُظُ الْفَقَرَرُ. فَقَالَ أَنَسٌ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الْدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ إِلِّا سَلَامٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»<sup>(٣)</sup>.

وكان صلى الله عليه وسلم يعطي من يستحق تأليفاً لقلبه و حتى لا يتهم بالبخل وهو الكريم، عن سليمان بن ربيعة قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً فقلت والله يا رسول الله لغيره هؤلاء كان أحقر

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ٢٢)، رقم ٢٨٢١

(٢) ينظر، ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ص ٣٧ - ٤٠)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٧ / ص ٧٤)، رقم ٦١٦١

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

بِهِ مِنْهُمْ. قَالَ «إِنَّهُمْ خَيْرٌ وَنِي أَن يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ»<sup>(١)</sup>، فالبخل يبعد الناس عن الداعية والسماع لدعوته.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم أهل بيته في القتال ويؤخرهم بالعطاء ولا يؤثرهم بشيء دون المسلمين، فقدَمَ علياً وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في أول الصفوف في معركة بدر، ولم يعطي فاطمة شيئاً وهي احب الناس اليه.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْكُنُ إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحْمَى وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ قَالَ فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخْذَنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ «عَلَى مَكَانِكُمْ» فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى بَطْنِي فَقَالَ «الَا أَدْلُكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخْذَنَا مَضَاجِعَكُمَا أَوْ أَوْيَتُمَا إِلَى فِرَاشَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَا أَرْبَعَا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك صاحبته وأهل بيته «قَالَ غَسَانُ بْنُ مُضْرٍ: شَأْبُو بْنُ هَلَالٍ، شَأْبُو هَلَالٍ، أَنَّ عَقِيلًا سَأَلَ عَلِيًّا فَقَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَفَقِيرٌ. فَقَالَ: اصْبِرْ حَتَّى يَجْرِجَ عَطَائِي، فَأَلَّحْ عَلَيْهِ. فَقَالَ لِرَجُلٍ: خُذْ بَيْدِهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْحَوَانِيَّتِ، فَقُلْ: دُقُّ الْاَقْفَالِ وَخُذْ مَا فِي الْحَوَانِيَّتِ. فَقَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَعْذِذَنِي سَارِقًا! قَالَ: وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْذِذَنِي سَارِقًا وَأَعْطِيَكَ أَمْوَالَ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

سابعاً: الشجاعة في قول الحق: لا يمكن لكل دعوة سواء كانت تدعو إلى الحق أو إلى الباطل أن تنجح إذا لم يتميز دعاتها بالشجاعة، وما يؤلم كثيراً ويعتصر القلوب عندما تجلس في مجالس يتكلم فيها كل أهل الباطل بباطلهم وترى أهل الحق صامتين يستمعون فقط ولا يتكلّمون بالحق الذي يحملونه خوفاً أو مداراة أو مداهنة لغيرهم والله تعالى يقول:

(١) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ١٠٣)، رقم ٢٤٧٥

(٢) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ٦٥)، رقم ٥٣٦١

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، (ج ٤ / ص ٨٥)

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٧٥]، عن أبي عباس: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَيَاءَهُ، يقول: الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ بِأُولَيَاءِهِ). وينسون قول ربنا لنبيه صلى الله عليه وسلم معاذنا له في مسألة خشيته من قول الناس: (وَخُنْفِيٌ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهٌ وَتَخَشَّى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَّاهُ) [الاحزاب: ٣٧]، وينسون قدوات الامّة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في شجاعتهم بقول الحق أمام الأعداء والملوك، وقصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه شاهد على ذلك: « قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَبُو ذَرٍّ كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ فَبَلَغْنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ حَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ تَبَّيِّ فَقُلْتُ لِأَخِي انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلْمَهُ وَأَتَنِي بِخَبْرِهِ فَانْطَلَقْ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ فَقَالَ وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَا عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ لَهُ لَمْ تَشْفِنِي مِنْ الْخَيْرِ فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصَمًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ وَأَشَرَّبُ مِنْ مَاءِ زَمْرَمْ وَأَكُونُ فِي الْمُسْجِدِ قَالَ فَمَرَّ بِي عَلَيْ فَقَالَ كَانَ الرَّجُلُ غَرِيبٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَانْطَلَقْ إِلَى الْمُنْزِلِ قَالَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ فَلِمَا أَصْبَحْتُ عَدَوْتُ إِلَى الْمُسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْ شَيْءٍ قَالَ فَمَرَّ بِي عَلَيْ فَقَالَ أَمَانَال لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ انْطَلَقْ مَعِي قَالَ فَقَالَ مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةُ قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ قَالَ فَإِنِّي أَفْعَلَ قَالَ قُلْتُ لَهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ حَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ تَبَّيِّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَسْفِنِي مِنْ الْخَيْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ فَقَالَ لَهُ أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبَعْنِي اذْخُلْ حَيْثُ أَذْخُلْ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أَصْلُحْ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ فَمَضِي وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي فَقَالَ لِي يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ كُنْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغْكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَجَاءَ إِلَى الْمُسْجِدِ وَقَرِيْشُ فِيهِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا

الصَّابِيِّ فَقَامُوا فَضْرِبْتُ لِأَمْوَاتَ فَادْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ وَيْلُكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَرْكُومْ عَلَى غِفَارَ فَأَقْلَعُوا عَنِّي فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ فَقَالُوا قُوْمُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ قَالَ فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامٍ  
أَبِي ذَرٌ رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>

فصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يهابون قول الحق أمام الملوك والقياصرة والأكاسرة وكان منهم الذين حملوا رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى الفرس وقيصر الروم وملوك الدنيا فما تهيبوا وما سكتوا، وقصة ربيعي بن عامر مع رستم لا تخفي علينا عندما دخل على رستم المزهو بزينة الدنيا والتفاخر بها، دخل عليه مزهوًا بعز الاسلام وزينة الايان والنظر إلى موعد الله تعالى فوطأ على فرشهم وزيتهم بفرسه وربط فرسه بوسائلهم وركز رمحه بالبسط فخرقها. فقال له رستم: "ما جاء بكم قال الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعد الله قال وما موعد الله قال الجنة ملن مات على قتال من أبي والظفر ملن بقى"<sup>(٢)</sup>.

والحكمة مطلوبة في حال السكوت والكلام وتقديم الراوح منها قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) [البقرة: ٢٦٩]

ثامنا: الرفق بالمدعوين والاشفاع عليهم والدعاء لهم: لقد أمر الله تعالى بالرفق بعباده

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٨٢)، رقم ٣٥٢٢

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، (ج ٣ / ص ٣٤)

رحمة بهم، ومن رفقه بهم ورحمته لهم سبحانه وتعالى دعا أشد العصاة فيهم بألفاظ خطاب فقال عز وجل: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [ال Zimmerman: ٥٣]

وكان خلق المبعوث رحمة للعالمين الرحمة بالناس، عن أبي هريرة قال: قَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةٍ وَقَمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّداً، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنِّا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا» يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ<sup>(١)</sup>.

وأوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرِّفْقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَيْمَى، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَنْكُلْ أُمَّيَاهُ، مَا شَانِكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَيِّ هُوَ وَأَمْيَ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالْتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>

وأمر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرِّفْقِ بغير المسلمين وإن أساءوا بعض الألفاظ، عن عائشة رضي الله عنها : قَاتَ دَخَلَ رَهْطًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَاتَ عَائِشَةً فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَاتَ فَقَالَ

(١) صحيح البخاري، (ج / ٨ / ص ١٠)، رقم ٦٠١٠

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ٢٢)، رقم ٦٧٦٦

(٣) صحيح مسلم، (ج / ٢ / ص ٧٠)، رقم ٥٣٧

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَهْلًا يَا عَائِشَةً إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَوْلَمْ تَسْمَعُ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ لَهَا «يَا عَائِشَةً ارْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ الْأَرَانَهُ وَلَا نُزَعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ الْأَرَانَهُ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ «مَنْ يُحِرِّمِ الرِّفْقَ يُحِرِّمِ الْخَيْرَ»<sup>(٣)</sup>

وجاء في حسن خلقه وحلمه ورحمته ورفقه وجوده صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة، أنَّ أَعْرَابِيَاً، جاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ، فَأَعْطَاهُ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتِ إِلَيَّكَ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَلَا أَجْمَلْتَ قَالَ: فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُوا. قَالَ عِكْرِمَةُ: قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ، فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ جِئْنَا فَسَأْلُنَا، فَأَعْطَيْنَاكَ، فَقُلْتَ: مَا قُلْتُهُ، فَزَادَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتِ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةِ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ كُنْتَ جِئْنَا فَسَأْلُنَا، فَأَعْطَيْنَاكَ، وَقُلْتَ مَا قُلْتَ، وَقَوْنَفُسِ أَصْحَابِيِّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ، حَتَّى تُذَهِّبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عِكْرِمَةُ: قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ: فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ أَوْ الْعَشِيُّ، جَاءَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا كَانَ جَاءَ فَسَأْلُنَا، فَأَعْطَيْنَاهُ، وَقَالَ مَا قَالَ، وَإِنَّا دَعَوْنَا إِلَى الْبَيْتِ فَأَعْطَيْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ، أَكَذَّلَكَ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةِ خَيْرًا. قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا إِنَّ مَثِيلَ وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَشَرَّدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ: حَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي، فَأَنَا أَرْفُقُهَا وَأَعْلَمُ،

(١) صحيح البخاري، (ج / ٨ / ص ١٢)، رقم ٦٠٢٤

(٢) سنن أبي داود، (ج / ٤ / ص ٤٠٣)، رقم ٤٨١٠، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ٢٢)، رقم ٦٧٦٤

فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدِيهَا وَأَخْذَهَا مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ، فَرَدَهَا هَوْنًا هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ، فَقَتَلْتُمُوهُ، دَخَلَ النَّارَ»<sup>(١)</sup>.

أما الدعاء فهو أمر غفل عنه الكثير من الدعاة وله أثر عجيب ومشاهد في هداية الناس وهو من هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي دعا لل كثير من الذين دعاهم إلى الإسلام أفراداً وجماعات، فدعا عمر بن الخطاب كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهم: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْاسْلَامَ بِعُمَرٍ»<sup>(٢)</sup>، ودعا لقبيلة دوس وقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَتِهِمْ»<sup>(٣)</sup>. وعلى الداعية أن ينظر إلى الناس بعين الشفقة والرحمة فإنه كمن يطفئ الحرائق في قريته أو بلدته يحاول إنقاذ أكبر عدد منهم من النار بغض النظر عنمن يكون قريباً أو بعيداً أو عدواً أو صديقاً. ولقد كان أحد أقربائنا عاصياً معانداً فاتفق بعض الأخوة من أقربائه على الدعاء له في كل صلاة بالهداية فما مضى إلا عدة أيام حتى جاء مستسلماً تائباً إلى الله من كل ما يدور في خلده من عقائد فاسدة وبدع وخرافات وعناد وقال: كنت في بئر أظلم (يعني مظلوم)! وكم من ضال هُدي بسبب الدعاء.

تسعاً: معاملات الداعية: يجب أن تكون مضبوطة بالشريعة وعليه أن يكون صادقاً بمواعيده وعهوده ملتزماً بها ليكون قدوة للناس. وليعلم كل الدعاة أن الناس لا سيما في زماننا لا ترضى عن الداعية إلا أن يتنازل عن بعض حقه ويعطيهم فوق حقهم في معاملاته وهذا خلق النبي صلى الله عليه وسلم في معاملاته، فعندما اشتري بغير جابر

(١) الأصبهاني، أخلاق النبي وأدابه، (ج ١ / ص ٤٧٢)، رقم ١٧٧

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ٣ / ص ٨٩)، رقم ٤٤٨٤، وقال الذهبي: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٧٤)، رقم ٤٣٩٢

بأربعة دنانير قال: «يَا بِلَالُ اقْضِيهِ وَزِدْهُ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَزَادَهُ قِيرَاطًا»<sup>(١)</sup>، وأعطى زيداً بن سعنة اليهوديَّ دينه قبل الأجل وزاده عشرين صاعاً من تمر، ووهب الحسن بن عليٍّ عليهما السلام لرجل دينه، فأين هذا الخلق من خلق مسلم يهاطل في أداء الدين، وما أبجه إن كان من يدعون الناس لدين الله، فليقتدِ الداعيةُ بخلق النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نصرةً لدين الله حتى لا يُتَهمُ الدين بسبب تقصير أهله.

عاشرًا: ابتعد الداعية عن مواطن الشبهات: لأنَّ الشيطان يحاول أن يشوّه سمعة الداعية بأقل شيء ليبعد الناس عنه فعليه أن يكون محترزاً من عدوه حتى لا يقع في مصائدِه كما أن عليه أن يجنب نفسه الوقوع في مواضع التهم بحيث يغتابه الناس أو يظنون به سوءاً، ورحم الله من جَبَ الغيبة عن نفسه، عن صَفِيَّةِ بِنْتِ حُيَّى قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَرْوُرُهُ لَيَّلًا فَحَدَّثَهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكُنَهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلًا مِنَ الْاِنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عَلَى رِسْلِكُمْ أَنْهَا صَفِيَّةِ بِنْتِ حُيَّى» فَقَالَا سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْاِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي حَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمْ سُوءًا أَوْ قَالَ شَيئًا»<sup>(٢)</sup>

حادي عشر: الصبر على الدعوة: الصبر فيه ثبات الدعوة وفلاحتها وربح الداعي في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحُقْقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ) [العصر ٣-١]

فكُلُّ من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لا بدَّ أن يتعرّض للأذى وقد يكون من أقرب الناس إليه، فأوصاه الله تعالى بالصبر فقال تعالى على لسان لقمان: (يَا بُنْيَى اقْمِ الصَّلَاةَ وَأَمِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان: ١٧]،

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١٠٠)، رقم ٢٣٠٩

(٢) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٢٤)، رقم ٣٢٨١

فعليه بالصبر وليحتسب صبره لله (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) [المدثر: ٧] ولتكن له أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم الذين أوذوا في سبيل الله فصبروا، قال تعالى مخاطبا المسلمين: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: ١٤٢]

وأذكر في يوم من الأيام عندما كنا شبابا ندعوه على قدر معرفتنا بدين الله فتعرضنا للأذى من الناس، فشكوت لرجل معدود في قومه ولكنه لا يعرف من دين الله شيئاً أذى أهل بلدته لنا فقال لي: ألم تقولوا إنكم تتبعون رسول الله؟ فقلت: بلى، قال: إن رسول الله ضربوه بالحجارة فصبر فاصبروا حتى لو ضربوك بالحجارة. هذا الكلام من هذا الرجل الذي لم يسجد لله سجدة لا زلت أذكره كلما ادهمت الخطوب، وكأن الله تعالى أنطقه به لينبهني إلى أمر قد غفلت عنه فلله الحمد والمنة.

ثاني عشر: عدم اليأس والقنوط: قد تتعرض الدعوة للابتلاء والمطاردة من أهل الباطل والقتل والتعذيب فلا ي Yas الدعوة من النصر وهزيمة المبطلين، قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثُلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة: ٢١٤]، وهذا حال الدعوة على مر الدهور، قال تعالى: (وَكَائِنٌ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْمُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَاتَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]

وليعلم كل داعية أن هذا الدين وهذه الدعوة لا تتوقف بموت الاشخاص أو قتلهم حتى وإن كان سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نبه ربنا عز وجّل الصحابة رضي الله عنهم إلى ذلك فقال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن

ماتَ أَوْ قُتِلَ انقلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يُضْرَرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران ١٤٤]، ولقد توفي أبو بكر واستشهد عمر وعثمان وعليٌ رضي الله عنهم من قبل أهل الباطل فما توقفت الدعوة ولا استكانة ووصلت بعدهم إلى أقصى البلدان لأنَّ الله تعالى قد تعهد بظهور هذا الدين على الدين كله ولو كره الكافرون والمركون والمنافقون، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبه ٣١-٣٣]، فعلى الداعية أن يكون على ثقة بموعود الله بنصر الدين وعليه أن يضع لبنة في هذا البناء فكثير من الصحابة كياسرون وسمية وغيرهم استشهدوا قبل أن يروا انتصار هذا الدين ولكنهم أصبحوا قدوة لمن جاء بعدهم في الصبر واليقين وعدم اليأس.

ثالث عشر: العمل الجماعي خير من العمل الفردي: قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفُلَحُونَ) (آل عمران: ٤)، وقال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة: ٢]

لقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، ليسهل عمل الخير على أهله. ونهى عن التعاون على الاثم والعداون حتى يصعب عمل الشر على من يفعله، والعجيب أنَّ أهل الباطل كلهم يتعاونون على باطلهم، فما من باطل على وجه الأرض إلا وتجد أهله يعين بعضهم بعضاً وأهل الحق لا يتناصرون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وجاءت السنة بالحث على الجماعة والترغيب بها في جميع الاوامر الشرعية والابتعاد عن الفرقة والتحزب عن ابن عمر أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوْحَةَ الْجَنَّةِ

فَلْيُلْزِمُ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتْهُ وَسَاءَتْهُ سَيَّئَتْهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ<sup>(١)</sup>

فالعمل الجماعي فيه التعاون والتناصح وتجاوز الأخطاء وكلما كثرت الجماعة كانت أشد على الشيطان من الأفراد، فالإسلام اليوم كالعجلة التي توقفت بطاريتها فهي بحاجة إلى من يدفعها حتى تعاود المسير، فنحن بحاجة إلى دفع الصغير والكبير الرجل والمرأة كل حسب استطاعته على شرط أن يكون الدفع باتجاه واحد وليس باتجاهات مختلفة، فالجماعة رحمة والفرقة عذاب.

#### رابع عشر: اتفاق الكلمة والابتعاد عن الاختلاف

لقد أمر الله تعالى بالجماعة والائتلاف وذم الفرقة والاختلاف في كثير من الآيات وذم المختلفين والبالغين والمتفرقين، قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ أَذْكُرْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِينَ قُلُوبُكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا) [آل عمران: ١٠٣] و قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) [الأنعام: ١٥٩]

وبعثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعَاذًا وَأبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ وَقَالَ: «يَسِّرْا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوِعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»<sup>(٢)</sup> {يسرا} خذا بها فيه من التيسير {ولا تعسرا} من التعسير وهو التشديد {بشرأ}: من التبشير وهو إدخال السرور {ولا تنفرا}: من التنفير أي لا تذكرة شيئاً يهربون منه. {تطاوعا}: تحاباً ولیطع كل منكم الآخر. قال ابن عباس: «أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله»<sup>(٣)</sup>

(١) الترمذى، سنن الترمذى، (ج / ٤)، رقم ٤٦٥، ص ٢١٦٥، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح البخارى، (ج / ٤)، ص ٦٥، رقم ٣٠٣٨

(٣) الطبرى، جامع البيان فى تأویل القرآن، (ج / ٧)، ص ٩٣

وقال ابن عمر رضي الله عنهم: فأمّا الامّة المتصرّفة فهم أهل الجماعة المقيمين على الألفة الذين للفرقة استناناً بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، والأخذين بها حتّى عليه من الائتلاف، وما حذر من الفرقة والاختلاف.

خامس عشر: الابتعاد عن الغلوّ في الدين: الغلوّ نقىض التقصير ومعناه الخروج عن الحدّ، وذلك لأنّ الحقّ بين طرفي الافراط والتفريط، دين الله بين الغلوّ والتقصير<sup>(١)</sup> فالغلوّ من صفات أهل الباطل ويكون في الاشخاص والافكار والآراء والاماكن والقوميات، فإذا وقع الغلوّ في الدين وقع اهلاك كما حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباسٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوْفُ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوْفُ فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>

عن ابن مسعودٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالَ ثلاثاً<sup>(٣)</sup>. {المتنطعون: المتعمدون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم}<sup>(٤)</sup>

قال بعض السلف: "ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: أمّا إلى تفريط وتقدير، وأمّا إلى مجاوزة وغلوّ، ولا يبالي بأيّها ظفر". وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقلّ القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المعاواز والتعدي. والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "خير الناس النمط الأوسط الذي يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي"<sup>(٥)</sup>

أخيراً لا بدّ أن يعلم كلّ الدعاء إلى الله ودينه الذي ارتضاه لنا وللناس أمّا دعوة

(١) الرازى، مفاتيح الغيب، (ج ١٢ / ص ٤١١)

(٢) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٠٠٨)، رقم ٣٠٢٩، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٥٨)، رقم ٦٩٥٥

(٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ج ١٦ / ص ٢٢٠)

(٥) ابن القيم، اغاثة اللهفان، (ج ١ / ص ١١٦)، الصلاة وحكم تاركها، (ج ١ / ص ١٥٩)

الاسلام مكتوب لها النصر على كل الباطل وأهله منها كانت قوته وهذا وعد من الله تعالى ومن أوفى بعهده من الله إنه لا يخلف الميعاد، (وَلَقَدْ سَبَقَنَا كَلِمَاتًا لِّعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُنْصُرُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا هُمُ الْغَالِبُونَ) [الصفات ١٧١-١٧٣]

والحق أننا لم نكن جنودا كما يريدنا الله تعالى وكما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو كنا جنودا على مراد الله لكان نصرنا مؤكدا، فالخلل فيما تخلفت الامة وتسليط عليها أعداؤها الا بالتصدير في أداء أوامر الله. فالداعي إلى الله باع لأفضل بضاعة في هذه الدنيا، ونظافة البائع وهيأته ولباقيه وحسن عرض البضاعة هو الذي يجذب المشترين قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاثْبِتُوْا وَأَذْكُرُوْا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُوْنَ وَأَطْبِعُوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازِعُوْنَ فَتَفْشِلُوْنَ وَتَذَهَّبُ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوْا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ) [الانفال: ٤٥-٤٦]، قال ابن القيم: "خمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط الا نصرت وإن قلت وكثير عدوها، أحدها الثبات. الثاني كثرة ذكره سبحانه وتعالى. الثالث طاعته وطاعة رسوله. الرابع اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن وهو جند يقوى به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها. الخامس ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر فهذه خمسة أشياء تبني عليها قبة النصر ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها وإذا اجتمعت قوى بعضها ببعضها وصار لها أثر عظيم في النصر ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمّة من الأمم وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد والبلاد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل ولا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم والله المستعان وعليه التكلان وهو حسينا ونعم الوكيل"<sup>(١)</sup>

## سمات الخطبة الناجحة

للخطبة الناجحة سمات لا بد أن تتصف بها لتوذّي مهمتها التي وضعت من أجلها:

**أولاً—أركان الخطبة:** للخطبة أركان كما قال العلماء رحمهم الله وهي:

قال الشافعي رحمه الله: "وأقل ما يقع عليه اسم خطبة من الخطبين: أن يحمد الله تعالى ويصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلم، ويقرأ شيئاً من القرآن في الأول، ويحمد الله عند ذكره، ويصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله، ويدعو في الآخرة"<sup>(١)</sup>. وقال النووي رحمه الله: "قال أصحابنا: فروض الخطبة خمسة، ثلاثة متفق عليها، واثنان مختلف فيها. فالمتفق عليها أحدهما: مد الله تعالى، ويتبعه لفظ الحمد. ثانية: الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ويتبعه لفظ الصلاة. ثالثها: الوصيّة بتقوى الله تعالى. والمختلف فيه: قراءة القرآن والدعاء للمؤمنين، ورجح جمهور الشافعية وجوبه"<sup>(٢)</sup>.

ويستحب أن يبدأ بخطبة الحاجة لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "عَلِمَنَا خُطْبَةُ الْحَاجَةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قُوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧١] ثُمَّ تَذَكُّرُ حَاجَتَكَ"<sup>(٣)</sup>.

(١) الشافعي، الأُم، (ج ١ / ص ٣٤٤، ص ٥٧٩)

(٢) النووي، المجموع، (ج ٤ / ص ٤٣٤)

(٣) المسند، (ج ١ / ص ٣٩٢)، رقم ٣٧٢٠ وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح، وفي سنن أبي

ثانياً - اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم: فالخطيب الناجح هو من يتابع النبي صلى الله عليه وسلم في كل حركاته وسكناته حتى لا يقع في مخدور يكون فتنة للسامعين. ولا بد من إتقان أحكام التلاوة بالنسبة للخطيب طالما أن الخطبة تتضمن كثيراً من الآيات القرآنية فمن المهم جداً بالنسبة للخطيب أن يكون متقدناً ولغته سليمة حتى لا يغير المعاني ويصغر في نظر المستمعين من الذين يعرفون اللغة.

يقول ابن القيم واصفاً خطب النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان المهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلاءه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوّفهم من بأسه والامر بذكره وشكره الذي يحبّهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحبّه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحبّهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبّهم" <sup>(١)</sup>.

ثالثاً - اختيار الموضوع: يجب أن يبدأ الخطيب باختيار الموضوع وإعداد الخطبة من بداية الأسبوع ويحدد خطوطه العريضة ويقوم بالنظر فيه كل يوم حتى يظهره بأحسن صورة ليرضي به ربّه أولاً ول يكن مؤثراً في المخاطبين ثانياً.

رابعاً - الالتزام بوحدة الموضوع: وهذا أمر مهم حتى لا يشتت ذهن المستمع عن المقصود الأصلي للفكرة التي يريد الخطيب إيصالها له، فبعض الخطباء يخرج عن الموضوع الأصلي ويدخل في موضوع آخر قد لا يعود منه للأول فتنتهي الخطبة والمستمع لم يفهم شيئاً.

خامساً - مراعاة أحوال المخاطبين: فهدي النبي هو مراعاة حال المخاطبين يقول ابن القيم عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم: "وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم، ولم يكن يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، ويتشهّد فيها

داود «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ»، سنن أبي داود، (ج ٢ / ص ٢٠٣)، رقم ٢١٢٠

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج ١ / ص ٤٠٩)

بكلمتي الشهادة، ويذكر فيها نفسه باسمه العلم". وقال: "وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضرهم عليها"<sup>(١)</sup> فالحاضرون فيهم العالم وفيهم الجاهل وفيهم ذو عقلية علمانية ومنهم ذو عقلية عشائرية، فإنّ مراعاة الخطيب لدرجات فهم الناس يجعله يحدّثهم على قدر عقولهم كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: "حَدُّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَجِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" <sup>(٢)</sup>. وقال عبد الله بن مسعود: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمُ الَا كَانَ لِعَبْضِهِمْ فِتْنَةً" <sup>(٣)</sup>. وقال ابن الجوزي: "من المخاطرات العظيمة تحديد العوام بما لا تتحمله قلوبهم أو بما قد رسم في نفوسهم ضده"<sup>(٤)</sup>.

قال القاسمي: "قال بعض الفضلاء: ابلغ الخطيب ما وافق الزمان والمكان والحال، ففي زمن صيام رمضان مثلاً يبين الخطيب للناس حكمه وأحكامه والمقصود منه، وبينهاهم عن البدع التي تحدث فيه مبيناً ضررها. وفي عيد الفطر يبين أحكام صدقة الفطر ولا يحسن به أن يستبدلها ببيان أحكام الأضحية أو غير ذلك ويتركها بتاتاً. وفي مكان تفرق أهله يخطب فيهم بالاتحاد، أو تكاسلوا عن طلب العلم حثّهم عليه، أو أهملوا تربية أبنائهم حثّهم أيضاً عليها.. إلى غير ذلك مما يوافق أحواهم ويلائم مشاربهم ويناسب طبائعهم، يخطب في كل مكان بحسبه، مراعياً أحوال العالم، بصيراً بمقدرتهم الحاصلة في خلال الأسبوع، فينهاهم عنها، وينبههم عليها، متى رقي منبر الخطابة، عسى أن يهتدوا طريقاً قوياً"<sup>(٥)</sup>

**سادساً - الإيجاز وعدم الاسهاب:** وذلك بإيصال فكرة الموضوع بأقل الكلمات كما

(١) زاد المعاد، (ج ١ / ص ١٨٩) (ج ١ / ص ٤١٣)

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٣٧)، رقم ١٢٧

(٣) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٩)، رقم ١٤

(٤) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ٢٥٧

(٥) إصلاح المساجد من البدع والعاد (ص: ٦٧)

كان فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعن جابر بن سمرة السوائي قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إلما هن كلمات يسيرات" <sup>(١)</sup>.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يوافقون المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبهم كما في حديث خطبة عمار: عن واصل بن حيان قال قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تفست. فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصرو الخطبة وإن من البيان سحرًا» <sup>(٢)</sup>، [مئنة: علامة]

**سابعاً الاستشهاد بالأدلة من القرآن:** لكي يعتصد الخطيب كلامه في أي موضوع يريده التحدث به عليه الاستشهاد بالقرآن فخير الكلام كلام الله قال تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقدّس عر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد) [الزمر: ٢٣] وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يذكر بالأيات على المنبر، عن جابر بن سمرة، قال: "كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن، ويذكر الناس" <sup>(٣)</sup>، وعن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت لعمره قال: "أخذت (ق القرآن المجيد) من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة" <sup>(٤)</sup>.

**ثامناً الاستشهاد بالحديث الصحيح أو الحسن:** لأن فيها غنية عن الأحاديث الضعيفة لأن المشروع لا يذكر المسلم في خطبه ومواعظه ودروسه إلا بما صح عن النبي

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٤٣٢)، رقم ١١٠٩، قال الالباني: حسن

(٢) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ١٢)، رقم ٢٠٤٦

(٣) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٩)، رقم ٢٠٣٢

(٤) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٣)، رقم ٢٠٤٩

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالابتعاد عن القصص الخرافية والرؤى والمنامات لأنَّها لا تبني عليها الأحكام الشرعية. وليحذر أن يقع فيها حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بقوله: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيُتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

**تسعاً**— الابتعاد عن مسائل الخلاف: من فقه الخطيب تأليف قلوب الناس على دين الله وعدم عرض مسائل الخلاف التي تثير الفتنة على المنبر وترك ذلك لمجالس العلماء، فالخطبة الناجحة هي التي تعرض الدين ناصعاً كما أنزل، من غير مداهنة لأحد سواءً كان أميراً أو وزيراً أو مبتدعاً أو كافراً، فالخطيب عندما يعرض الدين كما أنزل بالدليل من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة لا يستطيع أحد أن يعارض عليه أبداً إذا عرض فهمه ورأيه وأراء الرجال وأهواءهم كان عرضة للاعتراض والانتقاد، يقول القاسمي واصفاً خطب الصدر الأول: "كان الخطيب إذا قام لأمر ما سحر الألباب وملك بمرصعات الموعظ ما لا يملك بمرهفات السيف والرماح، يؤلف بين من تفرق، ويسكن الفتنة ويزيل المخاصمات ويقطع المنازعات، يقيمهم إن شاء ويقعدهم إن أراد بقوته اقتداره وشدة تأثيره"<sup>(٢)</sup>

**عاشرًا**— الابتعاد عن هوى النفس: وذلك بالبعد عن التعرّض لأخذاء الدعاء والعلماء على المنابر لأنَّ ذلك يسقطهم من عيون العامة وإذا استهين بالعلماء فقد الناس الثقة بهم، وكذلك التعرّض لجماعة من المسلمين أو هيئة أو مؤسسة بسبب اختلاف مع منهج الخطيب أو العصبية والقبلية أو الدعوة لجماعة معينة ليكون الناس على منهجهما ماعدا الدعوة لاتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين. وليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم تسمية المقصرين والمخطئين على المنبر ولكن كان عليه الصلاة والسلام يذكرهم بصيغة العموم والإشارة مداراة

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٨٠)، رقم ١٢٩١

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعادات (ص: ٦٨)

لنفوس أصحابه فيقول: «مَا بَالْ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ اصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً»<sup>(١)</sup>.

وقال صلي الله عليه وسلم: «مَا بَالْ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.  
ومداراة الناس من اخلاق المؤمنين وهي لين الكلام وترك الاغلاظ في القول والرفق  
بالجاهل في التعليم والفاشق في النهي عن فعله باللطف حتى يرد عما هو مرتکبه. يقول  
ابن القيم: "وَكَذَلِكَ المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذمٌ والفرق بينهما أن المدارى  
يتلطف بِصَاحِبِهِ حَتَّى يُسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْحَقُّ أَوْ يُرْدِهُ عَنِ الْبَاطِلِ والمداهن يتلطف بِهِ ليقرئه  
على باطله ويتركه على هُوَاه فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق"<sup>(٣)</sup>

وقد افرد البخاري في صحيحه بباب سماه {باب المداراة مع الناس} واستشهد بحديث  
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذْنُوا لَهُ فَبِئْسَ أَبْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا دَخَلَ  
آلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلْنَتْ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ أَيْ عَائِشَةُ  
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»<sup>(٤)</sup> وقال: «وَيُذَكِّرُ عَنْ  
أَيِّ الدَّرَدَاءِ إِنَّا لَنَكْسِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ»

والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو مما معا  
وهي مباحة وربما استحبت والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا والنبي صلي الله عليه  
وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول  
فلم ينافق قوله فيه فعله فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا  
التقرير الإشكال بحمد الله تعالى<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٩٧)، رقم ٧٣٠١

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٥٠)، رقم ٧٥٠

(٣) الروح، ص ٢٣١

(٤) صحيح البخاري (ج ٨ / ص ٣١) رقم، ٦١٣١

(٥) ابن حجر، فتح الباري، (٤٥٤ / ١٠)

## الإمامية

الإمامية: مصدر، أمّ الناس: صار لهم إماماً يتبعونه في صلاته.  
 معنى الإمام: كل من اقتدي به وقادم في الأمور، والنبي صلّى الله عليه وسلم إمام للأئمة. والإمام في الصلاة: من يتقدم المصلين ويتابعونه في حركات الصلاة.  
 والامام قدوة في الخير قبل أن يكون إماماً في الصلاة فحسب قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرْأَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً) [الفرقان: ٧٤]، أي قدوة يقتدى بنا في الخير، وقال عمر لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما عندما رأاه يلبس ثوباً مصبوغاً وهو محرم "إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطِ أَئَمَّةٌ يَقْتَدِيُّ بِكُمُ النَّاسُ" <sup>(١)</sup> ويقصد بذلك المهاجرين. ورأى فضيل بن عياض قوماً من أصحاب الحديث يمزحون ويضحكون فناداهم: "مَهْلَا يَا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ مَهْلَا ثَلَاثَا إِنَّكُمْ أَئَمَّةٌ يَقْتَدِيُّ بِكُمْ" <sup>(٢)</sup>

الإمامية أمانة:

الإمامية أمانة، يجب أن تؤدي على أحسن الوجوه، ولا تكون بأحسن صورة إلا أن يكون القدوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فخير الهداية فهو إمام الأمة.  
 فلقد كان أرحم الناس بالناس، فكان يخفف صلاته ويتهمها ولا يشّق على أصحابه، ويأمر بالتحفيف، عن أبي مسعود الانصاري قال: قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرِكُ الصلاة مما يطّولُ بنا فلان فما رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ فقال «أيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفَّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخْفَفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الْرِّيْضَ وَالْضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ» <sup>(٣)</sup>.

وتحفيذه صلّى الله عليه وسلم لم يكن مخلاً بالصلاحة كما يفعله الكثير اليوم بل تحفييف في كمال وتمام، عن أنس بن مالك يقول ما صلّيْتُ وراء إماماً قطُّ أَخَفَّ صَلَّةً وَلَا أَتَمَّ مِنْ

(١) مالك، الموطأ، (ج ٣ / ص ٤٧٠)، رقم ١١٦٤

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ج ٨ / ص ١٠٠)

(٣) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٣٠)، رقم ٩٠

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ مُعْبُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ<sup>(١)</sup>. وكانت قراءته صلى الله عليه وسلم مجودة محسنة مرتبة مبيضة، يمد رؤوس الآيات ويقف عليها، وكان يقرأ بقصار السور وأواسطها، وطواها، وكان إذا أحسنَ بأنَّ أحد أصحابه قادم وهو راكع انتظره حتى يركع، من رحمته بهم وشفقتهم عليهم.

وعلى الامام مراعاة أحوال المصلين خلفه، وأن يرغّبهم في الصلاة دون الاخلال فيها. وكثير من الأئمة يخلّ بأركان الصلاة وسننها ويتحمل الاثم ولا يتتبه لذلك، فمنهم من يقرأ الفاتحة بنفس واحد دون توقف، ومنهم لا تستطيع أن تكمل الفاتحة معه حتى في الركعة الثالثة والرابعة، ومنهم من لا يعطيك الفرصة لتقول (ربنا ولك الحمد)، ومنهم من لا يقول أكثر من ثلاث تسبيحات بحيث أن المصلّي خلفه لو تأخر في متابعته في السجود لاسيما كبار السن الذي ينزل بيته يكون الامام قد رفع رأسه من أول سجدة حتى يصل المأمور إلى السجود.

عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ: "صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ (فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ) وَكَانَ لَا يَخْنَى رَجُلٌ مِنَّا ظَهَرَهُ حَتَّى يَسْتَشِمَ سَاجِدًا"<sup>(٢)</sup> وعلى الامام مراعاة ذلك حتى يتم المأمور رکوعه وسجوده.

### أحق الناس بالامامة:

لقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحق بالإمامنة كما في حديث أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يَوْمُ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ إِنَّ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنْنَةِ إِنَّ كَانُوا فِي السُّنْنَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً إِنَّ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وَلَا يَؤْمِنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِيمَتِهِ إِلَّا يُإِذْنِهِ». قال الشیخ في روایته مَكَان سِلْمًا سِنَّا<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٣)، رقم ٧٠٨

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٤٦)، رقم ١٠٩٤

(٣) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٣٣)، رقم ١٥٦٤

ومحصل هذا الحديث أنه يقدم الاقرأ، ثم الاعلم بالسنة، ثم الاقدم هجرة، ثم الاكبر سنًا.  
**أولاً—الاقرأ:** وهو صاحب القرآن الأكثر حفظاً والاجود قراءة من غيره، فهو مقدم للإمامية على غيره من لا يحفظ مثل حفظه، ولو كان غيره أعلم منه، لحديث عمرو بن سلمة عن النبي صلّى الله عليه وسلم: «إِذَا حَضَرْتُ الصَّلَاةَ فَلَيُؤْذِنْ أَحَدُكُمْ وَلَيُؤْمَكِّمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا»<sup>(١)</sup>. وحديث أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَيُؤْمَهُمْ أَحَدُهُمْ وَأَحَقُّهُمْ بِالإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: "ولا يخفى أن محل تقديم الاقرأ إنما هو من حيث يكون عارفاً بما يتعمّن معرفته من أحوال الصلاة، فأماماً إذا كان جاهلاً بذلك فلا يقدّم اتفاقاً"<sup>(٣)</sup>. وأحوال الصلاة، بحيث يعلم شروطها وأركانها وواجباتها، وسننها، ومبطلاتها، ونحو ذلك.

**ثانياً—الاعلم بالسنة:** وإن استويا في القراءة، فالاعلم بالسنة والمراد بذلك: سنة الرسول صلّى الله عليه وسلم وبيان الأحكام الشرعية، مثل أحكام الصلاة، والأمور المطلوبة في الصلاة، بحيث يكون على علم بها، ولو حصل له شيء من السهو أو نحوه فإنّه يعرف أحكام الصلاة<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً—الاقدم هجرة:** المقصود به الصحابة رضوان الله عليهم، فإنّهم هاجروا من بلاد الشرك، إلى بلاد الإسلام وهي المدينة النبوية.

قال ابن الملك: "المعتبر اليوم الهجرة المعنوية وهي الهجرة من المعاصي ويكون الامر أولى ... وقال: وقد انتسخ وجوب الهجرة فوضعوا مكانها الهجرة عن الخطايا وفي حديث المهاجر من هجر الخطايا والذنوب"<sup>(٥)</sup>

**رابعاً—الاكبر سنًا:** وهذا لا يكون الا بعد أن يتساوى الناس في القراءة والعلم

(١) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٥٠)، رقم ٤٣٠٢

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٣٣)، رقم ١٥٦١

(٣) ابن حجر، فتح الباري، (ج ٢ / ص ١٧١)

(٤) العباد، عبد المحسن، شرح سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٠)

(٥) القاري، مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح، (ج ٣ / ص ٨٦٣)

بالسنة والهجرة، ف يأتي بعد ذلك الاكبر سنّاً.

والقدوة في الامامة هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان رحيمًا رؤوفاً بربّا هبّينا مع أصحابه عليه أفضـل الصلوات وأتمـ التسلـيم. وكان من حسن صحـبته لأصحابه أنـ كلـ واحدـ منهمـ يـظـنـ أنهـ أحـبـ النـاسـ إـلـيـهـ، عـنـ عـمـرـ وـبـنـ العـاصـيـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـسـتـعـمـلـهـ عـلـىـ جـيـشـ ذـاتـ السـلـاـسـلـ قـالـ فـاتـيـتـهـ فـقـلـتـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ أـيـ النـاسـ أـحـبـ إـلـيـكـ قـالـ عـائـشـةـ قـلـتـ مـنـ الرـجـالـ قـالـ أـبـوـهـاـ<sup>(١)</sup>. وفي لفـظـ قـالـ عـمـرـ وـكـنـتـ أـظـنـ أـنـ لـيـسـ أـحـدـ أـحـبـ إـلـيـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـيـ".

ولـكـنـ هـلـ الـائـمـةـ الـيـوـمـ يـقـتـدـونـ بـقـدـوـتـهـ؟ـ هـلـ هـنـاكـ إـمـامـ يـحـبـ جـمـاعـةـ مـسـجـدـهـ وـيـحـبـونـهـ كـمـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـصـحـابـتـهـ؟ـ هـذـهـ الـعـلـاقـةـ الـحـمـيمـةـ فـقـدـتـ إـلـاـ مـنـ رـحـمـهـ اللهـ.ـ أـيـسـتـمـعـ الـإـمـامـ إـلـيـ نـصـائـحـ مـنـ صـلـىـ خـلـفـهـ أـمـ يـتـجـاهـلـهـاـ وـإـنـ كـانـتـ حـقـاـ أـوـ يـعـقـدـ آـنـهـ غـنـيـ عنـ النـصـيـحةـ؟ـ

### تهاون الناس في أمر الامامة

الإمامـةـ هيـ وـظـيـفـةـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ،ـ وـكـانـ يـقـومـ بـهـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ ثـمـ خـلـفـهـ مـنـ بـعـدـ عـلـيـهـ خـلـفـاؤـهـ الرـاشـدـوـنـ،ـ ثـمـ الـعـلـمـاءـ وـالـصـالـحـوـنـ،ـ إـلـاـ أـنـ النـاسـ الـيـوـمـ يـتـسـابـقـوـنـ عـلـىـ الـإـمـامـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ لـاـ يـحـفـظـ شـيـئـاـ مـنـ كـتـابـ اللهـ،ـ وـلـاـ يـعـرـفـ شـيـئـاـ مـنـ أـحـكـامـ التـلـاوـةـ،ـ وـلـاـ يـجـيدـ حـتـىـ قـرـاءـةـ الـفـاتـحةـ،ـ وـلـاـ يـعـوـنـ الذـنـبـ الـعـظـيمـ الـذـيـ يـقـعـونـ فـيـهـ عـنـ تـفـريـطـهـمـ بـأـرـكـانـ وـسـنـنـ الـصـلـاـةـ وـوـاجـبـاتـهـ،ـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:ـ «ـ الـإـمـامـ ضـامـنـ وـالـمـؤـذـنـ مـؤـتـمـنـ اللـهـمـ أـرـشـدـ الـإـمـامـةـ وـاغـفـرـ لـلـمـؤـذـنـينـ»ـ<sup>(٢)</sup>.

قالـ المـنـاويـ:ـ "ـ الـإـمـامـ ضـامـنـ"ـ أـيـ مـتـكـفـلـ بـصـحـةـ صـلـاـةـ الـمـقـتـدـيـنـ لـاـرـبـاطـ صـلـاـتـهـ بـصـلـاـتـهـ لـآنـهـ يـتـحـمـلـ الـفـاتـحةـ عـنـ الـمـأـمـومـ إـذـ أـدـرـكـهـ فـيـ الرـكـوعـ.ـ "ـ اللـهـمـ أـرـشـدـ الـإـمـامـةـ"ـ لـيـأـتـواـ

(١) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٧٠٦)، رقم ٣٨٨٥، وقال: حديث حسن صحيح

(٢) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٢٠٣)، رقم ٥١٧، وقال الالباني: صحيح

بالصلاحة على أتم الاحوال<sup>(١)</sup>

وعن أبي هريرة أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «يُصَلُّونَ لَكُمْ فَانْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أَخْطَطُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>

وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتهميون من الامامة، عن أبي حازم، عن سهيل بن سعد، قال: كُنْتُ أَرْأَاهُ يُقْدِمُ فِتْيَانًا مِنْ قَوْمِهِ فَيُصَلُّونَ بِهِ، فَقُلْتُ: أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ تُقْدِمُ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا الصَّبِيَّانَ، فَيُصَلُّونَ بِكَ أَفَلَا تَتَقَدَّمُ وَتُصَلِّي لِقَوْمِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْإِمَامَ ضَامِنٌ، فَإِنْ أَتَمْ كَانَ لَهُ وَلَهُمْ، وَإِنْ نَقَصَ كَانَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهِمْ، فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحْمَلَ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وإذا حصل للإمام حدث أثناء الصلاة فالواجب عليه أن يصرف من صلاته ويحرم عليه أن يكملها، ويختلف من يصلّي الناس. فلما طعن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في الصلاة، استخلف عبد الرحمن بن عوف ليصلّي الناس. وأصحاب علياً

بن أبي طالب رضي الله عنه رعافٌ وهو في صلاته، فأخذ بيده رجل فقدّمه ثم انصرف. وإذا حصل للإمام شغل عارضٌ من سفر أو مرض أو غيره عليه أن يوكل على المصلين من بعده من هو أهل للإمام. وتهاون الأئمة في هذا الأمر فيوكّلون الصلاة إلى غير الكفوء لكبر سنّه أو لشهادته الدنيوية أو لشرفه ونسبة مع علمه بوجود من هو أفضل منه حفظاً وقراءة وهذا غشٌ لهم كما جاء في الحديث، عن الحسن، قال: أَيْنَا مَعْقِلٌ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: أَحَدُّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لَهُمْ، إِلَّا حَرَمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(٤)</sup>.

وقد أفرد البخاري بباب في صحيحه أسماء {باب أهل العلم والفضل أحق بالامامة}.

(١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (ج ٨ / ص ٢١٤)

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٠)، رقم ٦٩٤

(٣) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ٣٣٧)، رقم ٧٨٥، صحيح على شرط مسلم

(٤) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٦٤)، رقم ٧١٥١

وذكر حديث استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر للصلوة بالناس في مرضه، عن عبد الملك بن عمير قال حدثني أبو بردة عن أبي موسى قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»<sup>(١)</sup>.

عن عبد الله بن عمر، قال: "لما قدم المهاجرون الاولون العصبة - موضع بقباء - قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة، وكان أكثرهم قرآنًا"<sup>(٢)</sup> وفيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة ابن عبد الاسد.

### تسوية الصفوف:

ومن واجبات الامام تسوية الصفوف ولا يبدأ الصلوة حتى يتتأكد أنها استوت ثم يكبر تكبيرة الاحرام كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أكد على تسوية الصفوف، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سووا صفوفكم، فان تسويت الصف، من تمام الصلاة». وقال: «أقيموا الصف في الصلاة، فإن إقامة الصف من حسنة الصلاة»<sup>(٣)</sup>.

ومن تسوية الصفوف سد الخلل والفرج وإيصال الصفوف ووقف العقلاء وحفظة القرآن خلف الامام وعدم الصلاة خلف الصفوف عن أبي مسعود، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح منا كينا في الصلاة، ويقول: «استوا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليكنني منكم أولو الاحلام والنهاي ثم الذين يلوتهم، ثم الذين يلوتهم» قال أبو مسعود: «فانت اليوم أشد اختلافاً»<sup>(٤)</sup>

ومن تسوية الصفوف المحاذة بين المناكب والأقدام واللين بين المصلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولینوا

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٣٦)، رقم ٦٧٨

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٠)، رقم ٦٩٢

(٣) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٣١)، رقم ١٠٠٥

(٤) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٣٠)، رقم ١٠٠٠

بِأَيْدِي إِخْوَانَكُمْ وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفَّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفَّا قَطَعَهُ اللَّهُ، قَالَ أَبُو دَاؤِدَ: "وَمَعْنَى وَلِينَوْ بِأَيْدِي إِخْوَانَكُمْ: إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفَّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ كُلِّهِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفَّ" <sup>(١)</sup>.

وقد أفرد البخاري بباب سمه باب إلزاق المنكب والقدم بالقدم في الصف ثم قال: وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: "رَأَيْتُ الرَّجُلَ مِنَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ" <sup>(٢)</sup>. عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ أَرَأْكُمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ» <sup>(٣)</sup>. الكعب: هو العظم الناتئ عند مفصل الساق مع القدم. المنكب: هو مجتمع رأس العضد مع الكتف.

الكثير من الأئمة لا يهتم بهذا الجانب مداراة للمصلين الذين يتضايق بعضهم عندما يأمره الإمام بالتحرّك حتى يستوي الصف.

وترك هذا الأمر المهم يؤدي إلى الالحاد بالصلة واحتلال القلوب والتدابر والتناحر بين المصلين، وكأن احتلال القلوب عقوبة لعدم إقامة الصف. عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «التسون صوفوكُمْ، أُولَئِكَ الْجَاهِلُونَ اللُّهُ بَيْنَ وُجُوهِهِمْ» <sup>(٤)</sup>.

قال النووي: "والأظهر والله أعلم أن معناه يقع بينكم العداوة والبغضاء واحتلال القلوب كما يقال تغير وجه فلان على أي ظهر لي من وجهه كراهة لي وتغير قلبه على لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واحتلال الظواهر سبب لاختلاف البواطن" <sup>(٥)</sup>.

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٢٥١)، رقم ٦٦٦، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٦)، باب إلزاق المنكب والقدم بالقدم في الصف.

(٣) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٦)، رقم ٧٢٥

(٤) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٣١)، رقم ١٠٠٦

(٥) النووي، المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج، (ج ٤ / ص ١٥٧)

## الاختلاف في الدين مهلكة

أصل الاختلاف موجود في الفطرة الإنسانية فهم فريقان مختلفان أهل حق وأهل باطل، سئل مالك عن قول الله تعالى: (وَلَا يَزَّاُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) [هود: ١١٨-١١٩]، قال: خلقهم ليكونوا فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. عن الحسن قال: (ولذلك خلقهم)، قال: "أمّا أهل رحمة الله فإنّهم لا يختلفون اختلافاً يضرُّهم" <sup>(١)</sup>.

### الاختلاف في كتاب الله:

لقد ذم الله سبحانه والاختلاف في كتابه ونهى عن التفرق في الدين والتنازع فيه (شرع لكم من الدين ما وصي به نوهاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى ويعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) [الشوري: ١٣] وقال: (ولا تكونوا كآلذين تفرقوا واحتلقو من بعد ما جاءهم البيانات) وقال (يوم تبيضُ وجوهُ وتسودُوجوهُ) قال ابن عباس: "تببيض وجوه أهل السنة والاختلاف وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف".

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإختلاف وبين انه سبب الاحلاك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رجلا قرأ آية وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها فجهت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهة وقال «كلاكم محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» <sup>(٢)</sup>

والاختلاف مناف لما بعث الله به رسوله، وكان التنازع والاختلاف أشد شيء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا رأى من الصحابة اختلفا يسير في فهم النصوص يغضب ويظهر ذلك في وجهه واحذر أن ضلال الأمم من قبلنا إنما كان باختلافهم على

(١) الطبرى، جامع البيان، (ج ١٥ / ص ٥٣٦)

(٢) صحيح البخارى، (ج ٤ / ص ١٧٥)، رقم ٣٤٧٦

أنبيائهم<sup>(١)</sup> عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كائناً فقيءاً في وجهه حب الرمان فقال «بهذا أمرتم أو بهذا عيتم أن تضرروا كتاب الله بعضه بعض إنما صلت الأمم قبلكم في مثل هذا إنكم لستم بما ها هنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به والذى تميتم عنه فانتهوا»<sup>(٢)</sup>

### أنواع الاختلاف

يقول ابن القيم: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه والا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف"<sup>(٣)</sup>. والاختلاف نوعان:

أحدهما: أن يكون المختلفون كلهم مذمومين وهم الذين اختلفوا بالتأويل وهم الذين نهانا الله سبحانه عن التشبيه بهم في قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: ١٠٥] وهم الذين تسود وجوبهم يوم القيمة وهم الذين قال الله تعالى فيهم (ذلك بآن الله نزل الكتاب بالحق وآن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) [البقرة: ١٧٦]، فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد. وهذا النوع هو الذي وصف الله أهله بالبغى وهو الذي يوجب الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع التحزب والتباين.

(١) ينظر، ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج ١ / ص ٢٥٨)

(٢) مسنـد أـحمد، (ج ٢ / ص ١٨١)، رقم ٦٨٤٥، شعـيب الأرنـاؤـوط : صـحـيق وـهـذا إـسـنـاد حـسـن

(٣) ابن القـيم، الصـوـاعـقـ المرـسلـةـ فيـ الرـدـ عـلـىـ الجـهـمـيـةـ وـالـمعـطـلـةـ، (ج ٢ / ص ٥١٩)

والنوع الثاني: اختلاف ينقسم أهله إلى محمود ومذموم فمن أصاب الحق فهو محمود ومن أخطأه مع اجتهاده في الوصول إليه فاسم الذم موضوع عنه وهو محمود في اجتهاده مغفوّ عن خطئه، وإن أخطأه مع تغريبه وعدوانه فهو مذموم.

ومن هذا النوع المنقسم قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) [الشورى: ١٠]

والاختلاف المذموم: كثيراً ما يكون مع كل فرقـة من أهله بعض الحق فلا يقرّ له خصمهـ به بل يـجـحدـهـ إـيـاهـ بـغـيـاـ وـمـنـافـسـةـ فـيـحـمـلـهـ ذـلـكـ عـلـىـ تـسـلـيـطـ التـأـوـيلـ الـبـاطـلـ عـلـىـ النـصـوصـ الـتـيـ مـعـ خـصـمـهـ وـهـذـاـ شـأـنـ جـيـعـ الـمـخـلـفـينـ بـخـلـافـ أـهـلـ الـحـقـ إـنـهـمـ يـعـلـمـونـ الـحـقـ مـنـ كـلـ مـنـ جـاءـ بـهـ فـيـأـخـذـوـنـ حـقـ جـيـعـ الـطـوـافـ وـيـرـدـوـنـ باـطـلـهـمـ فـهـؤـلـاءـ الـذـينـ قـالـ اللـهـ فـيـهـمـ: (فـهـدـىـ اللـهـ الـذـينـ آمـنـواـ لـمـاـ اخـتـلـفـوـ فـيـهـ مـنـ الـحـقـ بـإـذـنـهـ وـالـلـهـ يـهـدـيـ مـنـ يـشـاءـ إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ) [البقرة: ٢١٣]، فأـخـبـرـ سـبـحـانـهـ أـنـ هـدـىـ عـبـادـهـ لـمـ اـخـتـلـفـ فـيـهـ الـمـخـلـفـوـنـ. وـكـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ فـيـ دـعـاءـ الـاسـتـفـتـاحـ عـنـ قـيـامـ الـلـيـلـ: «الـلـهـمـ رـبـ جـبـرـيـلـ وـمـيـكـائـيلـ وـإـسـرـافـيـلـ فـاطـرـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ عـالـمـ الـغـيـبـ وـالـشـهـادـةـ أـنـ تـحـكـمـ بـيـنـ عـبـادـكـ فـيـمـاـ كـانـواـ فـيـهـ يـخـتـلـفـوـنـ لـمـاـ اخـتـلـفـ فـيـهـ مـنـ الـحـقـ بـإـذـنـكـ إـنـكـ أـنـ تـهـدـيـ مـنـ تـشـاءـ إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ»<sup>(١)</sup>

فـمـنـ هـدـاهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ إـلـىـ الـاـخـذـ بـالـحـقـ حـيـثـ كـانـ وـمـعـ مـنـ كـانـ وـلـوـ كـانـ مـعـ مـنـ يـبغـضـهـ وـيـعـادـيـهـ وـرـدـ الـبـاطـلـ مـعـ مـنـ كـانـ وـلـوـ كـانـ مـعـ مـنـ يـجـبـهـ وـيـوـالـيـهـ فـهـوـ مـنـ هـدـيـ لـمـ اـخـتـلـفـ فـيـهـ مـنـ الـحـقـ، فـهـذـاـ أـعـلـمـ النـاسـ وـأـهـدـاـهـمـ سـيـلاـ وـأـقـوـمـهـمـ قـيـلاـ. وـأـهـلـ هـذـاـ الـمـسـلـكـ إـذـاـ اـخـتـلـفـوـ فـاـخـتـلـافـهـمـ اـخـتـلـافـ رـحـمـةـ وـهـدـيـ يـقـرـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ عـلـيـهـ وـيـوـالـيـهـ وـيـنـاصـرـهـ. وـهـذـاـ الـنـوـعـ

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٢٧٩)، رقم ٧٦٧، وقال الالباني: حسن

من الاختلاف لا يوجب معاداة ولا افتراقا في الكلمة ولا تبديدا للشمل فإن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع فلم ينصب بعضهم لبعض عداوة ولا قطع بينه وبينه عصمة، بل كان كلّ منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه ثم يرجعون بعد المعاشرة إلى الألفة والمحبة والمصافحة والموالاة من غير أن يضرم بعضهم لبعض ضغنا ولا ينطوي له على معتبرة ولا ذم بل يدل المستفتى عليه مع مخالفته له ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه. فهذا الاختلاف أصحابه بين الاجرين والاجر وكلّ منهم مطيع لله بحسب نيته واجتهاده وتحرّيه الحق. وهنا نوع آخر من الاختلاف وهو وفاق في الحقيقة وهو اختلاف في الاختيار والآولى بعد الاتفاق على جواز الجميع كالاختلاف في أنواع الأذان، والإقامة، وصفات التشهد والاستفتح، وأنواع النسك الذي يحرم به قاصد الحج والعمرة، وأنواع صلاة الخوف والأفضل من القنوت أو تركه، ومن الجهر بالبسملة أو إخفائها ونحو ذلك فهذا وإن كانت صورته صورة اختلاف فهو اتفاق في الحقيقة<sup>(١)</sup>.

### بعض صور الاختلاف بين المصليين في المساجد

كثير من الناس وبعضهم من المصليين في المساجد يستهويهم الشيطان ويحرّضهم على إثارة الاختلافات بين المسلمين فتجد بعضهم ينكر على بعض في أمور يسوع فيها الخلاف حتى يوغر صدور بعضهم على بعض ويحصل التدابر والتقطاع بينهم، هذا يحصل بعد أن يتزموا بالصلاوة ويساوس الشيطان من اتباعهم له، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ يَئِنُّهُمْ»<sup>(٢)</sup>. {التحريش: الأفساد وتغيير قلوبهم وتنقاطعهم}

وكثيراً ما يحصل ذلك بسبب بعض المسائل التي فيها سعة، وذلك بسبب جهل الكثير

(١) ينظر، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (ج ٢ / ص ٥١٥، ٥١٩)

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٣٨)، رقم ٧٢٨١

من المصلّين وخاصّ منهم المقلّدين بالمسائل الشرعية، وسكتوت الامام على الاخطاء التي تحدث مداراة لهم.

وعلى الامام توضيح المسائل المتعلقة بالصلاحة وأقوال العلماء فيها لا سيما تلك التي تشير المشاكل والتدابير والتناحر ومنها:

#### اولاً - وضع اليدين عند القيام:

أجمع العلماء على وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة لورود الاحاديث الصحيحة ومنها: عن وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَفَعَ يَدَيْهِ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَرَ - وَصَفَ هَمَامٌ حِيَالَ أَذْنِيهِ - ثُمَّ التَّحَفَّتَ بِثُوْبِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ أَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ رَفَعَهُمَا ثُمَّ كَبَرَ فَرَكَعَ فَلَمَّا قَالَ «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمَّا سَجَدَ بَيْنَ كَفَّيْهِ<sup>(١)</sup>.

وعنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ "كَانَ النَّاسُ يُؤْمِرُونَ أَنْ يَضْعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ"<sup>(٢)</sup>.

وعنْ قَبِيْصَةَ بْنِ هُلْبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْمِنُ، فَيَأْخُذُ شَمَائِلَهُ يَمِينَهِ<sup>(٣)</sup>.

قال الترمذى: "حَدِيثُ هُلْبٍ حَدِيثُ حَسَنٌ". والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين ومن بعدهم يرون أن يضع الرجل يمينه على شمائله في الصلاة، ورأى بعضهم أن يضعها فوق السرّة ورأى بعضهم أن يضعها تحت السرّة وكل ذلك واسع عندهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٣)، رقم ٩٢٣

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤٨)، رقم ٧٤٠

(٣) سنن الترمذى، (ج ٢ / ص ٣٢)، رقم ٢٥٢ وقال: الالباني حسن صحيح

(٤) سنن الترمذى، (ج ٢ / ص ٣٢)، رقم ٢٥٢

قال ابن عثيمين: "وذهب آخرون من أهل العلم: إلى أنه يضعهم على الصَّدرِ، وهذا هو أقرب الأقوال، والوارد في ذلك فيه مقال، لكن حديث سهل بن سعد الذي في البخاري ظاهره يؤيّد أنَّ الوضْعَ يكون على الصَّدرِ، وأمثل الأحاديث الواردة على ما فيها من مقال حديث وائل بن حُجْرٍ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ يَضْعُهُمَا عَلَى صَدْرِهِ»" (١).

**ثانياً** — مسألة الجهر والإسرار بالبسملة: كثير من المصلين ينكر على بعض الأئمة إذا جهر بالبسملة والبعض الآخر ينكر عليهم إذا أسرروا بها، وهي من المسائل التي فيها سعة والكل لا يخرج فيها عن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حَقَّقَهُ العلامة.

يقول ابن القيم: "وكان يقول بعد ذلك: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ يقرأ الفاتحة، وكان يجهر بِسَمِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تارةً، ويخفى أكثر مما يجهر بها" (٢). وخير الهدي هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلِهِ وَهُوَ الْجَهْرُ وَالإِسْرَارُ.

**ثالثاً** — دعاء القنوت: اختلف العلماء في دعاء القنوت فمنهم من أستحبه ومنهم من أنكره وقال إنَّه بدعة.

يقول ابن القيم: "والانصاف الذي يرتضيه العالم المنصف، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهر وأسرّ، وقنت وترك، وكان إسراره أكثر من جهره، وتركه القنوت أكثر من فعله، فإنَّه إنما قفت عند النوازل للدعاء لقومٍ، وللدعاء على آخرين، ثم تركه لما قدم من دعائهم، وتخلصوا من الاسر، وأسلم من دعا عليهم وجاءوا تائبين، فكان قنوتهم لعارضٍ، فلما زال ترك القنوت، ولم يختص بالفجر، بل "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ، وَالْمَغْرِبِ" (٣).

عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهُرِ وَالْعَصْرِ

(١) العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، (ج ٣ / ص ٣٧)

(٢) زاد المعاد، (ج ١ / ص ١٩٩)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٣٧)، رقم ١٥٨٧

وَالْمُغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَصَلَاةُ الصُّبْحِ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ إِذَا قَالَ «سَمِعَ اللَّهُ لِيْنَ حَمِدَهُ». مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ يَدْعُونَ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى رِغْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَيُؤْمِنُ مَنْ خَلَفَهُ»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً: "فأهل الحديث متوضطون بين هؤلاء (أي بين من يقول أنه بدعة وبين من استحبه عند النوازل وغيرها)، وهم أسعد بالحديث من الطائفتين، فإنهم يقتلون حيث قتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتركونه حيث تركه، فيقتدون به في فعله وتركه، ويقولون: فعله سنة وتركه سنة، ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه، ولا يكرهون فعله، ولا يرون ببدعة، ولا فاعله مخالف للسنة، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل، ولا يرون تركه ببدعة، ولا تاركه مخالف للسنة، بل من قتلت فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن، وركن الاعتدال محل الدعاء والثناء، وقد جمعهما النبي صلى الله عليه وسلم فيه"<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن عثيمين: "القول الراجح في هذه المسألة أنه لا قنوت في صلاة الفجر، لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقنت في الفرائض إلا بسبب نوازل نزلت بالأمة الإسلامية، ثم ترك القنوت عليه الصلاة والسلام فلم يقنت حتى توفاه الله عز وجل. لكن من ائتم بإمام يقنت في صلاة الفجر فلا ينفرد عنه، بل يتبعه ويقف، ويؤمن على دعائه، هكذا نص عليه الإمام أحمد، وإنما نص - رحمه الله - على هذا، لأن الخلاف شر، والخروج عن الجماعة شر". وانظر إلى كلام ابن مسعود - رضي الله عنه - لما كره إمام عثمان بمنى كان يصلي خلفه أربعا، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما هذا؟ يعني كيف يصلي أربعا وأنت تنكر على عثمان؟ فقال - رضي الله عنه - : "الخلاف شر"، وهذه قاعدة مهمة<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٤١)، رقم ١٤٤٥، وقال الالباني: حسن

(٢) زاد المعاد، (ج ١ / ص ٢٦٤)

(٣) العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (ج ١٤ / ص ١٧٨)

#### رابعاً - مسألة الاشارة بالسبابة:

الدليل الصحيح على مسألة الاشارة بالسبابة حديث عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قعد يدعُو، وضع يده اليمنى على فخذِه اليميني، ويده اليسرى على فخذِه اليسري، وأشار بإصبعيه السبابة، ووضع إبهامه على إصبعيه الوسطى، ويُلْقِم كفه اليسرى ركبته"<sup>(١)</sup>.

ومن حديث وائل بن حجر قال: "قلت: لأنظرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف يصلّي؟ قال: فنظرت إليه قام فكبّر، ورفع يديه حتى حاذتا أذنيه، ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى، والرُسْغ والسَّاعِد، ثم قال: لما أراد أن يركع، رفع يديه مثلثاً ووضع يديه على ركبتيه، ثم رفع رأسه، فرفع يديه مثلثاً، ثم سجد، فجعل كفيه بحذاء أذنيه، ثم قعد فافتَّش رجله اليسرى، فوضع كفه اليسرى على فخذِه وركبته اليسرى، وجعل حذاء مرفقه اليمين على فخذِه اليميني، ثم قبض بين أصابعه فحلق حلقه، ثم رفع إصبعه، فرأيته يحرّكها يدعُوها، ثم جئت بعد ذلك في زمان فيه برد فرأيت الناس عليهم الثياب تحرّك أيديهم من تحت الثياب من البرد"<sup>(٢)</sup>

{تعليق شعيب الارنؤوط: حديث صحيح دون قوله: "فرأيته يحرّكها يدعُوها" فهو

شاذ انفرد به زائدة}

- وحديث عبد الله بن الزبير، أنه ذكر، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُشير بإصبعيه إذا دعَا، ولا يحرّكها"<sup>(٣)</sup>. {حكم الالباني: شاذ بقوله ولا يحرّكها}

وبسبب الخلاف في هذين الحديثين وفهمهما اختلف العلماء في مسألة تحريك السبابة ونذكر خلاصة أقوالهم في هذه المسألة:

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٩٠)، رقم ١٣٣٦

(٢) مسنـد أـحمد، (ج ٤ / ص ٣١٨)، رقم ١٨٨٩٠

(٣) سنـن أـبي دـاود، (ج ١ / ص ٣٧٤)، رقم ٩٩١

— فذهب بعض الحففيّة إلى أنه يرفعها عند "لا إله إلا الله".

قال ابن عابدين: "وفي المحيط أمّا سنة يرفعها عند النفي ويضعها عند الاثبات وهو قول أبي حنيفة ومحمد وكثرت به الاثار والاخبار فالعمل به أولى" اهـ<sup>(١)</sup>.

— وذهب المالكيّة إلى أنه يرفعها مع تحريكها من ابتداء التشهّد إلى آخره، قال في حاشية الدسوقيّ: "قوله {في جميع التشهّد} أي من أوله وهو التحيات للآخره وهو عبده ورسوله وظاهره أنه لا يحرّكها بعد التشهّد في حالة الدعاء والصلاحة على النبي صلّى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

— وذهب الشافعيّة إلى أنه يرفعها عند قوله: «الا الله» إلى القيام من التشهّد الاول أو السلام بعد التشهّد الثاني.

قال النووي: "وأمّا الاشارة بالمبحة فمستحبة عندنا للأحاديث الصحيحة قال أصحابنا يشير عند قوله الا الله من الشهادة ويشير بمبحة اليمنى لا غير فلو كانت مقطوعة أو علية لم يشر بغيرها لا من الاصل باليميني ولا اليسرى والسنة الا يجاوز بصره إشارته وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود ويشير بها"<sup>(٣)</sup>

وقال في المجموع: "قال أصحابنا وعلى الاقوال والاووجه كلّها يسنّ أن يشير بمبحة يمناه فيرفعها إذا بلغ الهمزة من قوله لا إله الا الله ونص الشافعي على استحباب الاشارة للأحاديث السابقة قال أصحابنا ولا يشير بها الا مرة واحدة وحكى الرافعى وجها أنه يشير بها في جميع التشهّد وهو ضعيف"<sup>(٤)</sup>.

— وذهب الحنابلة إلى أنه يرفعها عند ذكر الله تعالى، قال ابن قدامة المقدسي: "جلس للتشهّد

(١) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، (ج ١ / ص ٥٠٨)

(٢) الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، (ج ١ / ص ٢٥١)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ٥ / ص ٨١)

(٤) النووي، المجموع شرح المذهب، (ج ٣ / ص ٤٥٤)

مفترشاً ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ويده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض منها الخنصر والبنصر ويخلق الابهام مع الوسطى ويشير بالسبابة في تشهده مراراً<sup>(١)</sup>.

قال ابن مفلح: "و ظاهره أَنَّه يشير بها في كُلِّ تشهده، وهو رواية، والأشهر أَنَّه موضع الاشارة بها عند ذكر الله لتنبئه على الوحدانية، زاد ابن قيم: وذكر رسوله، وقدم في "التلخيص" أَنَّه يرفعها في تشهده مرتين أو ثلاثة، وذكر جماعة أَنَّه يشير بها، ولم يقولوا مراراً، وظاهره ولو مرة، وهو ظاهر كلام أحمد، والاخبار، وعلى كُلِّ حال لا يحرّكها في الاصح لفعله - عليه السلام -، قال في "الغنية": ويديم نظره إليها في كُلِّ تشهده لخبر ابن الزبير رواه أحمد"<sup>(٢)</sup>.

— ولا تختلف فتاوى العلماء المعاصرین مع من سبقهم ولكن فصلوا في أقوالهم.

قال ابن باز: "أَمَا التحرير فيكون عند الدعاء كما جاء في الحديث: {كان يحرّكها إذا دعا} يعني عند الدعاء يحرّكها قليلاً مثل قوله: {اللهم صلّ على محمد، أَعوذ بالله من عذاب جهنم، اللهم أعنّي على ذرك} ونحو ذلك من الدعوات قبل السلام يشير بإصبعه عند كُلِّ دعاء حرّكة قليلة كما جاءت به السنة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عثيمين: "ثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلم أَنَّه خطب الناس في حجة الوداع وقال: «الا هل بلّغت؟» قالوا: نعم، فرفع إصبعه إلى السماء وجعل ينكتها إلى الناس يقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاثة»، وهذا يدلّ على أَنَّ الله تعالى فوق كُلِّ شيء، وهو أمر واضح معلوم بالفطرة والعقل والسمع والاجماع، وعلى هذا فكلّما دعوت الله عزّ وجلّ فإنّك تحرك السبابة تشير بها إلى السماء، وفي غير ذلك تجعلها ساكنة، فلتنتبه الان مواضع الدعاء في التشهيد: السلام عليك أَيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى

(١) ابن قدامة، عمدة الفقه، (ج ١ / ص ٢٥)

(٢) ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، (ج ١ / ص ٤١٠)

(٣) ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز، (ج ٢٩ / ص ٢٩٣)

عباد الله الصالحين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، أعود بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الحياة والمات، ومن فتنة المسيح الدجال، هذه ثانية مواضع يحرّك الانسان إصبعه فيها نحو السماء، وإن دعا بغير ذلك أيضًا رفعها، لأن القاعدة أن يرفعها عند كل دعاء<sup>(١)</sup>.

وعلى العموم فالامر فيه سعة ولا يدعو إلى اختلاف القلوب والتشاحن بين المصلين فمن اطمأنت نفسه لقول عالم مجتهد فليعمل به ولا ينكر على من خالفه لقول عالم مجتهد آخر.

#### خامسًا—الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الإستطاعة:

الانسان خلق مفطورا في دنياه على التمييز بين النافع والضار وإثمار الأنفع على النافع والقبول بأخف الشررين بدفع اعظمهما وجاءت الشريعة موافقة للفطرة والعقل السليم، ففي المؤثر عن السلف: "ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشررين"

يقول شيخ الاسلام: "ان الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكتميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشررين وتحصيل أعظم المصلحتين بتقوية أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"<sup>(٢)</sup>.

القاعدة العامة: فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد. فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محظىً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتي قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإن اجتهد برأيه لمعرفة الأشياء والنظائر،

(١) العثيمين، مجموع رسائل وفتاوي ابن عثيمين، (ج ١٢ / ص ٢٢٤)

(٢) مجموع الفتاوى، (ج ٢٠ / ص ٤٨)

وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعا، أو يتركوهما جميعا لم يجز أن يؤمرموا بمعروف ولا أن ينهاوا عن منكر، بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعى في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات. وإن كان المنكر أغلب نهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله. وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بها ولم ينه عنها، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة.

وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقا، وينهى عن المنكر مطلقا. وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويدم مذموهما، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه، وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصيا، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم: "إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه

(١) ينظر، ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ص: ١٢)

وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا أفلأ نقاتلهم فقال: «لا ما أقاموا الصلاة» وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا يتزعن يدا من طاعه» ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتنة الكبار والصغراء رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتفال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بـكفر وهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

#### انكار المنكر أربع درجات:

فإنكار المنكر أربع درجات، الأولى أن يزول ويخلقه ضده، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة أن يخلقه ما هو مثله، الرابعة أن يخلقه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشر وعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محمرة.

وقال: انه سمع شيخ الإسلام يقول مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معه فأنكرت عليه وقلت له إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدحهم الخمر عن قتل النفوس وسيبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر، ابن القيم، اعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج ٣ / ص ٤)

## ١. الاخلاص والمتابعة

قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوَحِّي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلْهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَالًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]

دين الاسلام بمجمله مبني على اصلين عظيمين لا تقبل الاعمال الا بهما وهما الاخلاص والمتابعة، قال تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ) [البقرة: ١١٢]، فإسلام الوجه هو الاخلاص لله، والاحسان هو المتابعة للرسول وإصابة السنة.

قال الفضيل بن عياض: في قوله تعالى (لَيَبْلُو كُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَالًا) [الملك: ٢] العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه قالوا يا ابا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخلص ما كان لله والصواب ما كان على السنة وهذا هو المذكور في قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَالًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]<sup>(١)</sup>

قال الغزالى رحمه الله: «ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبد قلبه ومقصود قلبه»<sup>(٢)</sup>.

والناس منقسمون بحسب هذين الاصلين إلى أربعة أقسام كما بينها ابن القيم<sup>(٣)</sup>:  
أحدها: أهل الاخلاص للمعبد والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهم أهل إياك نعبد حقيقة قال الله تعالى: (وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ) [البينة: ٥]  
فاعملهم كلها الله وأقواهم الله وعطاؤهم الله ومنعهم الله وحبّهم الله وبغضهم الله

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، (ج ١ / ص ٨٢)

(٢) الغزالى، إحياء علوم الدين، (ج ٤ / ص ٣١٦)

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٨٣)

فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا. عن أبي أمامة الباهلي قال جاء رجُل إلى النبي ف قال أرأيت رجلاً غزا يلتزم الاجر والذكر ما له فقال رسول الله «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله «لا شيء له»، ثم قال «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه»<sup>(١)</sup> وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه ويرضاه وما عدا ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه أحوج ما هو إليه هباء منتشرة. وفي الصحيح من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>. وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعده فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالاراء والاهواء. عن أنسٍ أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سالوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا آتزو ح النساء. وقال بعضهم لا أكل اللحم. وقال بعضهم لا أنام على فراشي. فحمد الله وأثنى عليه. فقال «ما بآل أقواماً قالوا كذا وكذا لكنني أصلٌ وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

الضرب الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة: فليس عمله موافقاً لشرع وليس هو خالصاً للمعبود كأعمال المتزينين للناس المرائيين لهم بما لم يشرّعه الله ورسوله وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل وهم أوفر نصيب من قوله تعالى: (لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [آل عمران: ١٨٨]، يفرحون بما أتوا من البدعة والضلال والشرك ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والاخلاص.

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنّها على غير متابعة الامر: كجهال العباد يبتدعون عبادات من عندهم ويعتقدونها قربة وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على

(١) سنن النسائي، (ج ٦ / ص ٢٥)، رقم ٣٤٠، قال الالباني: حسن صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج ٥ / ص ١٣٢)، رقم ٤٥٨٩

من فعل ذلك. عن ابن عباس قال بينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ سَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَدَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَكَلِّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مُرِهُ فَلِيَكُلِّمَ وَلِيَسْتَظِلَّ وَلِيَقُودَ وَلِيَتِيمَ صَوْمَهُ»<sup>(١)</sup>

أمره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالوفاء بما كان منها طاعة وهو الصوم، وأن يترك ما ليس بطاعة لانه جاء به من عنده وهو القيام في الشمس، وترك الكلام.

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله: كطاعة المزائين كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ». قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لَأَنْ يُقَالَ جَرِيَءٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَمَتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالَمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>

فهو لاءً لأعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها لكنها لم تقبل لأنها فقدت شرط الاخلاص (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ) فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والاخلاص له في العبادة وهم أهل إياك نعبد وإياك نستعين<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٤٣)، رقم ٦٧٠٤

(٢) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ٤٧)، رقم ٥٠٣٢

(٣) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٨٣)

\* قال تعالى: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِأَمْرِيٍّ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>

هذا الحديث عظيم الموضع، كثير الفائدة، وأجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وصححة روایته، قال النووي: إن الأعمال تحسب إذا كانت بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية<sup>(٢)</sup>. فالمرأى الذي لا يتغير وجه الله بعمله بل يعمل فخرًا ورياء وسمعة فتبطل عبادته، لأن الأعمال بالنيات. وقال بعض الشيوخ: قوله: «إنما الأعمال بالنيات» يرجع إلى معنين: أحدهما: تحرير العمل من الشرك بالله بخاص التوحيد، والآخر: تحريره بخاص السنّة. وكان السلف يستحبون أن يكون للرجل خبيثة من عمل صالح، لا يعلم بها إلا الله، قال الزبير: "مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَيْئَةً مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ"<sup>(٣)</sup>، لأن يتصدق بصدقه فيخفىها حتى لا تعلم شمله ما انفقت يمينه، أو أغاثة ملحوظ به أو جاهه، أو اعانته مريض ببنفة علاجه، واعلم ان الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار توسلوا الى الله بخبايا اعمالهم.

الاخلاص عزيز وأهل الاخلاص والمتابعة قليل فكن من هؤلاء القلة لفوز برضاء الله والجنة اللهم ارزقنا الاخلاص لك والمتابعة لنبيك صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ.

(١) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ٣)، رقم ٥٧٠

(٢) شرح النووي على مسلم، (ج ١٣ / ص ٥٤)

(٣) احمد بن حنبل، الزهد، (ص: ١١٩)، رقم ٧٧٨

## ٢. التوكل على الله

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُبَيَّنَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَأَدَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأفال: ٢]

مصلحة الانسان تقوم على جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والتوكل على الله من اعظم الاسباب في حصول الخير، ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

قال ابن رجب: "حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الامور كلها إليه، وتحقيق الايمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه" (١).

التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

واما عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأننته إليه، وتفويضه وتسليميه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. ورضاه بتصرّفه له فوق رضاه بتصرّفه هو لنفسه.

وصحة الاسلام والايمان متوقة على صحة التوكل فجمع تعالى بين التوكل والاسلام في قوله تعالى: (إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) [يونس: ٨٤] وبين التوكل والايمان قال تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمْنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَنَا) [الملك: ٢٩] وقال تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة: ٢٣] فشرط الصدق في الايمان التوكل على الله وحده.

قال ابن القيم: "وان قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الايمان وضعفه، وكلما قوي ايمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الايمان ضعف التوكل" (٢)

واقترن التوكل بالهدایة والتوكّل متلازمان، كما قال رسول الله عليهم الصلاة والسلام لأئمهم: (وَمَا لَنَا أَلَّا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُّنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا

(١) ابن رجب، تفسير ابن رجب، (ج ٢ / ص ٤٨٤)

(٢) ينظر، ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين ص: ٢٥٧

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) [إبراهيم: ١٢]

وَجْعَ بَيْنَ التَّوْكِلِ وَالْعِبَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: (فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هُودٌ: ١٢٣]، فَلَكِّلَ إِنْسَانٌ غَايَةً يَطْلُبُهَا، وَوَسِيلَةٌ تَوَصِّلُهُ إِلَى تَلْكَ الغَايَةِ، وَأَشْرَفَ غَايَةً لِلْإِنْسَانِ وَأَجَلَّهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ هِيَ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ وَيَنْبِئَ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تَعِينُهُ عَلَى عَبُودِيَّتِ اللَّهِ أَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَيَسْتَعِينَ بِهِ.

وَجْعَ بَيْنَ التَّوْكِلِ وَالتَّقْوَىِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَتَقَبَّلْ لَهُ مُخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَكْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٢ - ٣]

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِتَأكِيدِ عَبُودِيَّةِ التَّوْكِلِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ التَّوْكِلَ أَصْلُ لِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَلِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ.

وَلَا تَتَمَّ حَقِيقَةُ التَّوْكِلِ إِلَّا بَعْدَ أَمْوَارٍ<sup>(١)</sup>: فَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ وَصَفَاتِهِ مِنْ قَدْرَتِهِ، وَكَفَايَتِهِ، وَقِيَومِيَّتِهِ، وَانتِهَاءُ الْأَمْوَارِ إِلَى عِلْمِهِ، وَصَدُورُهَا عَنْ مُشَيَّئَتِهِ وَقَدْرَتِهِ. وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ أَوَّلُ دَرْجَةٍ يَضُعُ بِهَا الْعَبْدُ قَدْمَهُ فِي مَقَامِ التَّوْكِلِ.

الْدَرْجَةُ الثَّانِيَةُ: التَّوْكِلُ لَا يَنْافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، فَالْتَّوْكِلُ عَمَلُ الْقَلْبِ وَالْأَسْبَابِ عَمَلُ الْبَدْنِ وَمَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ لَمْ يَسْتَقِمْ مِنْهُ التَّوْكِلُ. وَمَنْ تَمَّ التَّوْكِلُ عَدَمُ الرُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَقَطَعَ عَلَاقَةَ الْقَلْبِ بِهَا، فَالْبَدْنُ يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْبَابِ وَالْقَلْبُ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ. قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسَلْ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَعْقَلْهَا وَتَوَكَّلْ»<sup>(٢)</sup>

الْدَرْجَةُ الثَّالِثَةُ: رَسُوخُ الْقَلْبِ فِي مَقَامِ تَوْحِيدِ التَّوْكِلِ. فَمَا دَامَتْ فِيهِ عَلَاقَةُ الشَّرِكِ، فَتَوَكَّلَهُ مَعْلُولٌ مَدْخُولٌ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَتَى التَّفَتَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ أَخْذَ ذَلِكَ الْالْتِفَاتَ شَعْبَةً مِنْ شَعْبِ قَلْبِهِ، فَنَقْصَ منْ تَوَكِّلَهُ عَلَى اللَّهِ بِقَدْرِ ذَهَابِ تَلْكَ الشَّعْبَةِ.

الْدَرْجَةُ الرَّابِعَةُ: اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتِنَادُهُ إِلَيْهِ، وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ، وَعَدَمُ السُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالسُّكُونِ إِلَى مُسَبِّبِهَا، كَحَالِ الطَّفْلِ الرَّضِيعِ فِي اعْتِمَادِهِ وَسُكُونِهِ وَطَمَانِيَّتِهِ

(١) يَنْظَرُ، مَدَارِجُ السَّالِكِينَ، (ج٢ / ص١١٨)

(٢) صَحِيحُ ابنِ حَبَّانَ، (ج٢ / ص٥١٠)، رَقْم٦٣١، قَالَ شَعِيبُ الْأَرْناؤْوَطُ: حَسْنٌ لِغَيْرِهِ

بشيء أمه لا يعرف غيره كذلك المتكفل لا يأوي إلا إلى ربّه سبحانه.

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله عزّ وجلّ. فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

الدرجة السادسة: استسلام القلب لتدبير الرب لك. كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده، وانقياده له، وترك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح عند قيامه للتهجد في حديث ابن عباس رضي الله عنها: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَبْتَأْتُ، وَبِكَ خَاصَّمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقْدِمُ، وَأَنْتَ الْمُؤْخِرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ" <sup>(١)</sup>

الدرجة السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقةه. وهو إلقاء أمره كلّها إلى الله، وإنزاحها به طلباً واختياراً، لا كرها واضطراراً. عن البراء بن عازب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا آتيت مضمحةك، فتوضاً وضوءك للصلوة، ثم اضطجع على شقّك اليمين، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجحّث ظهري إليك، رغبة ورّهبة إليك، لا ملجاً ولا منجاً منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنيّك الذي أرسّلت، فإن مثمن ليتاك، فأنت على الفطرة، واجعلهم آخر ما تتكلّم به» <sup>(٢)</sup>.

الدرجة الثامنة: الرضا وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنهما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله. وهذا معنى قول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به. فباستكمال هذه الدرجات الشمانية يستكمل العبد مقام التوكل، وتثبت قدمه

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٤٨)، رقم ١١٢٠

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٥٨)، رقم ٢٤٧

فيه، ولو كاده من في الأرض جمِيعاً لوجد الله معيناً له وكافياً له، قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ هُمُ الْنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَوْكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . فَإِنَّقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]

\* \* \* عن جابر رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمُنا الاستخارَةَ في الأمورِ كُلّها، كالسورة من القرآن: «إِذَا هَمَ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَقْدِرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَأَقْدِرْهُ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»<sup>(١)</sup> قال ابن القيم: "وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارَة\*: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ»

فهذا توكل وتفويض. ثم قال: «فإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ». فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والمحول والقوّة، وتوسّل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتسلون، ثم سأله ربّه أن يقضي له ذلك الامر إن كان فيه مصلحته، عاجلاً أو آجلاً، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرّته، عاجلاً أو آجلاً، فهذا هو حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له، فقال: «وَأَقْدِرْهُ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»، فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الالهية، والحقائق الابياتية، التي من جملتها التوكل والتفويض، قبل وقوع المقدور، والرضا بعده. وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضى له، فتفويضه معلول فاسد»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٨١)، رقم ٦٣٨٢

(٢) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ١٢٣)

### ٣. معرفة العدو وكيده

قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [فاطر: ٦]

لقد حذر الله تعالى أبانا آدم وأمنا حواء من الشيطان وقال عز وجل: (يا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَشَقَّى) [طه: ١١٧]

وبين لبني آدم عداوته لهم وعقوبة اتباعه وقال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [فاطر: ٦]، وأمر تعالى بالاستعادة منه واللجوء إلى الله ليكونوا في حماية ربهم فقال تعالى لبنيه وأتباع نبيه (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [فصلت: ٣٦]

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: "فشيطان كل انسان هو الامر له بالمعصية، المزيّن له فعلها، الحاض له عليها، فلا بدّ من النظر إليه وملحوظته، واتخاذه عدوا، والاحتراز منه، والتحفظ واليقظة، والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر، فإنه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها الا إذا عجز عن الظفر به فيها"

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسالته عنه، فإنّه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها بصيرة الهدایة، وسلم معه نور الآیان طلبه على:

العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئاً، وبدعة المعتقد وبدعة العمل متلازمان، قل أن تنفك إحداهما عن الأخرى. فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلي صاحبها من الدين، كما تنسلي الشعرة من العجين،

(١) ينظر مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٢٣٧)، منقول بتصرف

فمفاسد البدع لا يقف عليها الا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمى (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [النور: ٤٠]

وهذه العقبة لا يقطعها الا بنور السنة والاعتصام بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وما مضى عليه السلف الاخيار، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوف به عن التوبة، وهو منها عليه بقوله: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة. فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها، طلبه على:

العقبة الرابعة: وهي عقبة الصغار، فأكثر منها عليه، وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما ارتكبت من الصغار، فإنها تکفر باجتناب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالا منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَمُحْكَرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثُلَّ مُحْكَرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَّلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَهُمْ بَعُودٌ وَجَاءَهُمْ بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْصَجُوا خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحْكَرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذُهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»<sup>(١)</sup>

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحثات التي لا حرج على فاعلها، {ومقصود المباحثات} من أمور الدنيا كالتجارات والصناعات والزراعة والسياحات فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات. فإن نجا من هذه العقبة ب بصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، طلبه العدو على:

العقبة السادسة: وهي عقبة الاعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسبا وربحا، كذلك يشغله بصلوة الليل فيفوت عليه صلاة الفجر او يشغله

(١) المسند، (ج / ٥) ص ٣٣١، رقم ٢٢٨٦٠، إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشیخین

بصدقه العلن عن صدقة السر فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجو عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الاحب إليه، وبالمرضى عن الأرضى له.

ولا ينجو منها إلا بفقهه في معرفة الأعمال ومراتبها عند الله، ولا يقطع هذه العقبة أهل البصائر والصدق من أولى العلم، السائرين على جادة التوفيق، الذين أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه. ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والآكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأولى.

\*\*\*العقبة السابعة: عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما اعلت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجندده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسلیط، وهذه العقبة لو نجا منها أحد لنجا منها رسول الله وأنبياؤه، وأكرم الخلق عليه، وفيها عبودية خواص العارفين، وهي عبودية المراجمة، ولا شيء أحلى الله من مraigمة وليه لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه قال تعالى: (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَآنٌ وَلَا نَصْبٌ وَلَا  
خَمْصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ تِلْأَاءً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ  
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [التوبه: ١٢٠] وقال تعالى في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (لَيَغِيظَهُمُ الْكُفَّارَ) [الفتح: ٢٩]، فسبحان من جعل صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغيسون الشيطان وأتباعه في حياتهم وبعد مماتهم، فمغايضة الشيطان وحزبه غاية محبوبة للرب مطلوبة له فيها كما العبودية لله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عن سجدي السهو «كَانَتَا تَرْغِيْبًا لِلشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup> [أي إغاظة له وإذلاكه]

فحق على كل مسلم أن يعاديه بطاعة الله سبحانه وتعالى ويستعيذ بالله منه حتى يحميه من كيده فهو ليس له سلطان على من آمن وتوكل على الله قال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ  
عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: ٩٩]

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٨٤)، رقم ١٣٠٠

## ٤. التفكير في آيات الله المتلوة والمشهودة

قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّا يُؤْلِي  
الْأَلَّابِ). الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْفَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِاطِّلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران ١٩٠-١٩١]

لقد أنزل الله تعالى الآيات وأمر بتدبرها والتفكير بها حتى يصل الإنسان الى الايمان الكامل بالله واسمائه وصفاته ووحدانيته في الربوبية والالوهية والتصديق بالبعث والنشور والحساب والصراط والجنة والنار ثم العمل بشرعه الذي أنزله رحمة للعالمين، قال تعالى: (سَنُزِّلِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ  
أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣]، والآيات نوعان:

أولاً: الآيات المتلوة: قال تعالى: (أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [العنكبوت: ٥١] وهي آيات القرآن وما تحمله من الاعجاز في لفظها ومعناها ونظمها وما فيها من أخبار الأمم السابقة والاخبار عن الامور المستقبلية وإخبار أهل الكتاب بما في كتبهم وما فيها من أحكام شرعية متوافقة مع فطرة الانسان قال تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)  
[البقرة: ٩٩] يعني: دلائل واصحات، يهدى بهم من أراد الله هدايته إلى الحق.

ثانياً: الآيات المشهودة: وهي الآيات الكونية التي تدعو الانسان الى التفكير في هذا الكون وبديع صنعه ونظامه مثل الشمس والقمر والارض والسماء وما فيها من دلالات على الخالق الحكيم وتفرده بالربوبية والالوهية وغناه عن الخلق وفقرهم اليه في السراء والضراء قال تعالى (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ  
وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَأَقْلَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ثَبِيرَةً وَذِكْرَى

لِكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) [ق: ٨: ٦]، ثم استدل بهذه الآيات على البعث والنشور فقال تعالى في آخرها: (كَذِيلَكَ الْخُرُوجُ ) [ق: ١١]

ومن الآيات ديار وأثار الامم السابقة التي طغت وتجبرت فأهلكها الله تعالى بذنبها قال تعالى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصفات: ١٣٧-١٣٨] ومن الآيات المشهودة آيات العجزات التي أعطاها الله تعالى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتكون دلائل على صدقهم وأنهم مرسلون من عند الله. مثل عصا موسى ونافقة صالح وانشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من العجزات.

ولا يتفعل بالآيات الا أصحاب العقول الذين يسمعون ويتفكرون ويعقلون فلذلك قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [يونس: ٦٧] قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [النحل: ١٠-١٢] قال تعالى: (كُلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) [طه: ٥٤] الذين قال الله تعالى فيهم: (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) [الفرقان: ٧٣-٧٤]، ولذلك فإن خزنة جهنم تسأل أهل النار عن الرسل وتبلغهم لهم بالآيات قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتَحْتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ كُلُّهُمْ خَرَّتْهَا أَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتَلَوُنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا أَبْلِي وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [الزمر: ٧١] ويعترفون بذنبهم وتقصيرهم عن السمع والتعقل قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) [الملك: ١٠-١١]، قال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى

آنفسِنا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَتَهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) [الأنعام: ١٣٠]

أَمَّا الَّذِينَ لَا يَؤْمِنُونَ بِالآيَاتِ فَهُمْ كَثِيرٌ وَكُلُّ رَدِّهَا حَسْبٌ مَا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ هُوَ إِلَهٌ وَشَيْطَانٌ:

أَوْلًا: الْكَافِرُونَ بِهَا وَالْمَكْذُوبُونَ عَنْهَا أَوْ حَسْداً أَوْ تَكْبِرَاً بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ قَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبِيِّنَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ طُلْلِيًّا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: ١٤-١٣]

ثانياً: المستهزئون بالآيات من السفهاء الذين لا يتفكرُون قال تعالى: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَأُوا السُّوَافِيْ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ) [الروم: ١٠] (ذلك جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوا) [الكهف: ١٠٦]

ثالثاً: المعرضون والصادرون عن الآيات فلا يلتقطون إليها وકأنَّ الأمر لا يعنيهم قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) [النساء: ٦١] فهم كالأنعام التي تسمع ولا تفقه قال تعالى: (صُمُّ بُكْمُ عُمُّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [البقرة: ١٨] وقال تعالى: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) [الأنعام: ٤] وقال تعالى: (وَكَأَيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) [يوسف: ١٠٥]

هؤلاء الكافرون والمستهزئون والمعرضون عن الآيات على اختلافهم لا يهتدون إلى الحق وهم في ظلمات الجهل لا يخرجون منها قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمُ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٣٩] صُمُّ لا يسمعون الهدى وَبُكْمُ لا يتكلمون به في الظُّلُمَاتِ فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة وأحوالهم كلها مظلمة وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة فالظلمة مستولية عليهم في جميع جهاتهم في الدنيا وفي القبور وعلى الصراط وفي جهنم فالظلمات في الإعراض عن آيات الله والهدى والنور في الوجه الكتاب والسنة قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُسَيِّدُنَّكُمْ كَثِيرًا مَا كُنْتُمْ تُخْفِيْنَ

مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ

[المائدة: ١٥-١٦]

\*\* قال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَنْتَلُوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) [الجاثية: ٦]

من لا يؤمن من آيات الله المتلوة والمشهودة يعقوب بعقوبتين فيهما خسارة الدنيا والآخرة العقوبة الدنيوية: عدم الهدایة لدینه فلا يوفدون لمعرفة الحق والعمل به، وعقوبة الآخرة العذاب الاليم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابُ الْأَلِيمِ) [النحل: ٤٠]

أما المصدقون بالآيات فقال تعالى فيهم: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأعراف: ٣٥] اكرمههم الله تعالى بالسلام والمغفرة والرحمة، وأمر نبيه ان يقول لهم (سلام عليكم) اكراما وتطيبا لقلوبهم وبشرهم برحمه الله الواسعة، ومعنى النص: وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا وأوجبها على نفسه الكريمة تفضلا وامتنانا واحسانا، ومن رحمته (أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا) أي ذنبنا (بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ) أي تاب واخلس توبته لله (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي: فشأنه أنه غفور رحيم يغفر لأهل الإيان ويرحمهم، (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران: ٥٣]

## ٥. معرفة عواقب الذنوب

قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِّيَّةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: ٣٠] سؤال يتكرر من كثير من الناس لماذا يصاب المسلمون بكل هذه المصائب ولا يعاقب الكفار بالرغم من كفرهم بمثل هذه العقوبات؟

ما ينبغي أن يعلم أن ما من شر في الدنيا والآخرة إلا بسبب الذنوب والمعاصي والبعد عن الله، فآخرَجَ آدم من الجنة بسبب الذنب وطردَ إبليس وأبدلَ بالرحمة لعنة، وأغرفَ الأرض في زمن نوح، وسلطَ الريح العقيم على قوم عاد، وأرسلَ على قوم ثمود الصيحة، ورفعَ قوماً لوط إلى السماء وجعلَ عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من سجيل منضود، وبالذنوب أهلك قوماً شعيب بعذاب يوم الظلة وأغرق فرعوناً وقومه في البحر وخسف بقارونَ ودارِه وأهله، وسلطَ على بني إسرائيل أنواع العذاب والعقوبات مرّة بالقتل والسيبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير<sup>(١)</sup>، قال تعالى: (فَكُلًا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٠]

وحذر الله تعالى المسلمين من نزول عقوبات الأمم السابقة بهم. فقال تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِعَاعًا وَيُذَيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَقْفَهُونَ) [الانعام: ٦٥]

قال المفسرون: {عذاباً من فوقكم: بالصواعق وغيرها، أو من تحت أرجلكم كالزلزال والخشف ويديق بعضكم بأس بعض: أي يقتل بعضكم ببعض}. ورغم التحذير أرتكت الذنوب ونزلت العقوبات وألقيت الآف الاطنان من القنابل على المسلمين، وحدثت الزلازل في ديار المسلمين، وحدث القتل بينهم بسبب التفرق شيئاً وأحياناً.

(١) ينظر ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي {الداء والدواء}، (ص ٢٧)

ونعود إلى السؤال لماذا نعاقب ولا يعاقب الكفار؟

أولاً: الكفر بالله ذنب بين الله وبين العباد، وتوعّد الله تعالى الكفار بالعذاب والخلود في جهنّم فقال تعالى: (لَا يُغْرِنَّكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَّاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْهُادُونَ) [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، فمن عدل الله سبحانه وتعالى أن يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته في الدنيا أو في الآخرة ولا يظلم ربّك أحداً، عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزِي بِهَا»<sup>(١)</sup>.

وهذا ينطبق على المسلم الذي يتغىّب بعمله الدنيا قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّتَهَا بُوْفُ الْيَهِيمِ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: ١٥-١٦]

ثانياً: من أسماء الله الحسنى الغفور الرحيم العفو الكريم فلا يجمع على عباده المؤمنين عقوبتين فما يصيب المؤمن من المصائب والهموم والغموم والاحزان والألام هي مكررات للذنوب في الآخرة، عن أبي سعيد وأبي هريرة أتّهمها سمعاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى اهْمِمُهُ الْكُفُّرُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>. {النصب: التعب، الوصب: الالم}.

عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَيْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَيْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافَّيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَبِهَذَا الإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قال : «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ١٣٥)، رقم ٧٢٦٧

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ١٦)، رقم ٦٧٣٣

(٣) سنن الترمذى، (ج / ٤ / ص ١٧٩)، ٢٣٩٦، وقال الألبانى: حسن صحيح

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه؟ قال فسألناه فتلا هذه الآية وما أصابكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ" قال: «ما عاقب الله تعالى به في الدنيا فالله أحل من أن يثنى عليه العقوبة يوم القيمة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيمة»<sup>(١)</sup>، من رضي بالله ربا لزمه ان يرضي بتديريه واختياره له وبمر قضايه وان يقنع بها قسم له من الرزق، وان يداوم على طاعته، ويحافظ على فرائضه، ويتجنب محارمه، ويكون صابرا عند بلائه، موطننا نفسه على ما يصيبه من الشدائيد، بعيدا كل وبعد عن نار الجزع التي تتأجح في قلب كل امرئ يجهل بارءه ومولامه. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وَاسْأَلْكَ رَبَّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمُوْتِ»<sup>(٢)</sup>

\* \* عن صحيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عَجَّبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَخْدِي إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(٣)</sup>

عن ابن عمر رضي الله عنهم، قال : قَلَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ جُلُسٍ حَتَّى يَدْعُ بِهؤُلَاءِ الدُّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ : «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَكُوْلُ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلَّغُنَا بِهِ جَتَّنَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوَّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبُ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاءِ اعْنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعُلْنَا وَارِثَ مَنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَنَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمَنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسْلِطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحُنَا»<sup>(٤)</sup>

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج ٧ / ص ٢٠٨)

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، (ص: ١٣٦)، رقم ٥٠٩، وقال الألباني: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢٢٧)، رقم ٧٦٩٢

(٤) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٥٢٨)، رقم ٣٥٠٢، قال الترمذى : حديث حسن

## ٦. الدخول في الاسلام كله

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوْا فِي السَّلْمِ كَافَةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: ٢٠٨]

الاسلام أمانة في أعناقنا وبه سعادتنا وعزّنا، وأعداؤنا بوجي من الشيطان يريدون عزله عن حياتنا ومسخ هويتنا الإسلامية لنكون تبعا لهم في كل شيء وهم يعملون على ذلك ليلاً ونهاراً، ولا يمكن أن نواجه مكرهم الا بالحافظ على هذه الأمانة التي شرّفنا الله تعالى بحملها، والأمين على شيء لا بدّ أن يحافظ عليه من الضياع أو التغيير أو التبدل وإلا كان خائناً لله ورسوله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَخُونُوا أَمَاناتِكُمْ وَإِنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: ٢٧]، والخيانة ضد الأمانة وقد اثمن الله العباد على ما أمرهم به ونهاهم عنه، كل مسلم مؤمن على ما فرض الله عليه، ان شاء اداها وان شاء خانها، وقال القتببي: "الخيانة ان يؤمن على شيء فلا يؤدي اليه، ثم سمي العاصي من المسلمين خائناً لأنّه قد اؤمن على دينه فخان" عن ابن عباس رضي الله عنها ان خيانة الله سبحانه بترك فرائضه والرسول صلى الله عليه وسلم بترك سنته وارتكاب معصيته<sup>(١)</sup> انزل الله تعالى هذه الرسالة رحمة بالناس ليحملها الأمانة من أمّة الاسلام امانة في اعناقهم حتى قيام الساعة ويعملون بها كلها لا جزء منها، يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويقيّمون شرع الله في جميع شؤون الحياة، ومن صفات الأمانة على دين الله:

أولاً: قبول الاسلام كله: فقد أمر الله تعالى المؤمنين بقبول الاسلام كله وقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوْا فِي السَّلْمِ كَافَةً)، قال مجاهد وقتادة: نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الاسلام كلها. والاختيار مرفوض قال تعالى: (وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ هُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

(١) الآلوسي، روح المعاني، (ج ٥ / ص ١٨٣)

وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا) [الأحزاب: ٣٦]

يقول شيخ الاسلام: "فلا بد أن نؤمن بالكتاب كله، ونتبع ما أنزل إلينا من ربنا جميعه، ولا نؤمن ببعض الكتاب ونکفر ببعض، وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة، وتتفر عن قبول بعضها بحسب العادات والاهواء، فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم، إلى صراط المغضوب عليهم والضالين" (١).

ثانياً: العمل به على قدر الاستطاعة: على المسلمين أفراداً وجماعة بذل الجهد واستفراغ الواسع للعمل بالإسلام، فكل حكم شرعي يستطيعه المسلم لا يعذر بتركه قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦]، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة، وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون كما قال الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: ٧٨] وَقَالَ تَعَالَى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٥٨]، فقبول الاسلام لا تسامح فيه أبداً العمل فحسب الاستطاعة والواسع واليسير ورفع الحرج، وهذا من رحمة الله تعالى المسلمين.

ثالثاً: رفض التوفيق بين الاسلام والكفر: التوفيق بين أحكام الاسلام وأحكام الكفر من صفات المنافقين وهو سبب هوية الامة قال تعالى: (أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمْرُوا أَنْ يُكَفِّرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) [النساء: ٦٠]، فمن الطبيعي أن يتحاكم الانسان إلى ما آمن به وإذا صد عن حكم الله والرسول كان منافقاً يظهر الآيات وبيطئ الكفر. قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً) [النساء: ٦١]، فالترقيع وأنصاف الحلول والدعوة إلى الالتقاء بين

(١) ابن تيمية، رفع الملام عن الانئمة الاعلام، (ج ١ / ص ٨٢)

الجاهلية والاسلام حبل من حبائل الشيطان زينه لكثير من المسلمين وجرّ عليهم الويلات والمصائب، قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّا أَرْدَنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) [النساء: ٦٢]

رابعاً: التبرؤ من سنن الجاهلية ورفضها حتى لا تكون بديلاً عن سنن الاسلام: نهى الله تعالى عن تحكيم سنن الجاهلية وعاداتها السيئة، وعن أخلاق المشركين واليهود والنصارى، وسننهم وألفاظهم وأحكامهم ونحو ذلك من أمورهم غير الموافقة للإسلام قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْلَمُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ) [المائدة: ٥٠] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مِّنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدْمَيَّ مَوْضُوعٍ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَصَعُّ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرٌ ضِعَافًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُدَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلَ رِبَا أَصَعُّ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»<sup>(١)</sup>

فكلّ ما خالف الاسلام فهو من أمر الجاهلية كالربا والثارات وحمى الجاهلية والتفاخر بالآباء والأنساب وتغيير الميراث وظلم النساء وتحكيم غير شرع الله واستبداله بقوانين الكفار أو سنن العشيرة أو سنن الآباء والاجداد، كل ذلك إن حلّ في عرف الناس وتقاليدهم يؤدي إلى إزاحة الاسلام شيئاً فشيئاً عن مفاصل الحياة حتى تحلّ الجاهلية من جديد وتصبح هي المسيرة لأمور الناس.

خامساً: عدم معارضته الاسلام بالآراء والافكار والاهواء: قال تعالى: (وَأَنْ احْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ) [المائدة: ٤٩]، قال ابن كثير رحمه الله: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كلّ خير، الناهي عن كلّ شرّ، وَعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية

(١) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ٣٩)، رقم ٣٠٠٩

يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأكولة عن جنكيز خان، الذي وضع لهم {الياسق}، وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَلَوْ كَرِهُ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٣]

لقد أبطل الله تعالى في كتابه الكريم عقائد الجاهلية وعباداتها وذمّ حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية وظنّ الجاهلية وحكم الجاهلية وأمر بمخالفة اليهود والنصارى والشركين والمجوس، فمن رضي بها أبطله الله وذمه فقد اكرامه عند الله تعالى فلا كرامة له عند الناس (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ) [الحج: ١٨] وأصبحت حاله كحال من تشبه به، عن ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

من تمسّك بهذا الدين وهو الحق من عند الله تعالى فهو الظاهر العالى، ومن ابتغى العزة في غيره، فقد ابتغى الذلّ، لأنّه لا ظهور ولا عزة ولا كرامة الا بالدين الحقّ، كما قال عمر رضي الله عنه: "إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمًا فَأَعْزَّنَا اللَّهُ بِالاسْلَامِ فَمِمَّا نَطُلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعْزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ"<sup>(٣)</sup>. فلا يمكن أن تتغير حال المسلمين وكثير منهم يختار من الاسلام ما يوافق هواه ويرفض ما تعارض مع مصالحة.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج ٣ / ص ١٣١)

(٢) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٧٨)، رقم ٣٣٤، وقال الألباني: حسن صحيح

(٣) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ١٣٠)، رقم ٢٠٧، صحيح على شرط الشيفيين

## ٧. الاسلام دين الرحمة

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]

الحمد لله الرحمن الرحيم ذي الفضل العظيم البر الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة وقال تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: ٥٤] واستوى على عرشه بصفة الرحمة وكتب بنفسه فوق عرشه {إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَصَبِي} <sup>(١)</sup>

الرحمن جل جلاله أسبغ على عباده نعمته وتفضيل عليهم برحمته فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، رأى النبي صلّى الله عليه وسلم امرأة أخذت صبياً في السيء، فلأصلقتنه بيطنه وأرضعته، قال صلّى الله عليه وسلم: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحُهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بُوَلَدَهَا» <sup>(٢)</sup>

ومن كمال قدرته وإحسانه ورحمته بخلقته أرسل رسلاه وختهم بسيدهنا محمد ﷺ الذي أرسلاه بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين حيث قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، وكان صلّى الله عليه وسلم يقول «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَأةٌ» <sup>(٣)</sup> وكان صلّى الله عليه وسلم رحيمًا بمن آذاه، ضرَّه قومٌ فآدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» <sup>(٤)</sup> ويوصي بالرحمة ويقول، «الرَّاجِحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» <sup>(٥)</sup>

وقد شملت رحمته صلّى الله عليه وسلم الأعداء حتى في قتالهم ومجahدتهم فنهى عن المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وحرق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلّى الله عليه

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١٢٥)، رقم ٧٤٢٢

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٨)، رقم ٥٩٩٩

(٣) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ٩١)، رقم ١٠٠ ، قال الذهبي: صحيح على شرطهما

(٤) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٧٦)، رقم ٣٤٧٧

(٥) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٤٠)، رقم ٤٩٤٣ قال الالباني: صحيح

وَسَلَّمَ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّاَنِ<sup>(١)</sup>

وكان يوصي اصحابه ويقول: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلا من كفر بالله اغزوا ولا تغدوا ولا تقتلوا ولا تقتلون ولایدًا»<sup>(٢)</sup>

ومن صفات المؤمنين الرحمة قال تعالى: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْرَّحْمَةِ) [البلد: ١٧]، المتواصون بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم، ونصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى فأكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم رحمة، كما قال تعالى في أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم: (مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩]

عَنْ أَبِي مُوسَى الْashْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحُمُوا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّمَا لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدٍ كُمْ وَلَكُمْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن رحمة العامة رحمة المسلم وغير المسلم والعاصي والمبتلى والحيوان والرحمة بالضعيف والصغير والكبير قال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحِمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا»<sup>(٤)</sup>

وأعلى درجات الرحمة تكون بين المؤمن وأخيه المؤمن فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَااطُفِهِمْ مَثُلُ الْجَسَدِ إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عُضُوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَّ»<sup>(٥)</sup>

وأكثر الناس اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالناس بعد صحابته رضي الله عنهم هم أهل السنة والجماعة الذين أنعم الله عليهم بمعرفة دين الرحمة والعمل به قال الموصلي: "إن أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق فلهم نصيب واخر من

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ٦١)، رقم ٣٠١٥

(٢) سنن أبي داود، (ج ٢ / ص ٣٤٢) رقم ٢٦١٥، وقال الالباني: صحيح

(٣) المستدرك على الصحاحين، (ج ٤ / ص ١٨٥)، رقم ٧٣١٠ صحيح على شرط الشييخين

(٤) المسند، (ج ٢ / ص ١٨٥)، رقم ٦٧٣٣، تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح

(٥) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢٠)، رقم ٦٧٥١

العلم والرحمة، وربهم تعالى وسع كل شيء رحمة وعلما، وأهل البدع يكذبون بالحق و<sup>وَيُكَفِّرُونَ</sup> الخلق، فلا علم عندهم ولا رحمة وإذا قامت عليهم حجة أهل السنة عدلوا إلى حبسهم وعقوبهم إذا أمكنهم، ورثة فرعون فإنه لما قامت عليه حجة موسى ولم يمكنه عنها جواب قال: (أَئِنَّا تَحْدَثُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَا مِنَ الْمُسْجُونِينَ) [الشعراء: ٢٩]<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون لهم يدعون الناس إلى الإسلام ويدخلونهم فيه وأهل البدع على اختلاف عقائدهم يدعون الناس إلى بدعتهم ويخرجون الناس من الإسلام بمخالفتها.

\*\*\*عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم الصادق، المصدق وصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب هذه الحجرة يقول: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِّي»<sup>(٢)</sup> شقيت الأمة عندما فقد أفرادها الرحمة بخلق الله لأن الرحمة في الخلق علامه الإيمان ومن لا رحمة عنده لا إيمان له ومن لا إيمان له شقي في الدنيا والآخرة.

قال المناوي: "فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك، ولا تستبدل بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والدليل بجاهلك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوك، والبهائم بعطفك، فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه، فمن كثرت منه الشفقة على خلقه والرحمة على عباده رحمه الله برحمته"<sup>(٣)</sup>.

فكل ما تفعله من خير دق أو جل ف الصادر عن صفة الرحمة، واعلم أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»<sup>(٤)</sup>. اللهم رحمتك نرجو أصلاح لنا شأننا كلّه ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين لا إله إلا أنت.

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص ٦٠٤

(٢) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٤١)، رقم ٤٩٤٤، قال الالباني: حسن

(٣) السفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، (ج ٢ / ص ٥٠)

(٤) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١١٥)، رقم ٧٣٧٦

## ٨. الاسلام دين العدل

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ٥٨]

لقد أمر الله تعالى بأمرتين فيهما صلاح أمّة الاسلام حكاماً ومحكومين وفيهما استقامة أمور الدنيا للكفار العاملين بها وهما الامانة والعدل، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)، أي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الامانات والعدل إن الله كان سميعاً لأقوالكم بصيراً بأعمالكم.

والحكم في الاسلام مبني على أساسين: الامانة والعدل وهذه الآية أوجبت أداء الامانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذا جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَ وَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: ٢٧] وقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون: ٨]

فالأمانة عظيمة القدر في الدين، وضياعها من علامات زوال الدنيا وقيام الساعة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا ضُيِّعَتِ الامانة فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قال: كيف إضااعتها يا رسول الله؟ قال: «إِذَا أُسْبِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»<sup>(١)</sup>. وكل أوامر الشرع أمانة في رقبة المسلم، والمسلم لا بد أن يكون أمينا على أموال الكفار كما هو أمين على أموال المسلمين.

أما العدل ففيه قوام الملك، ودوام الدول ورأس كل مملكة سواء كانت نبوية أو إصلاحية، والله تعالى أمر بالعدل، وعلم سبحانه وتعالى أن كل الناس ليست تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل، فقد أمر به تعالى بقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٤)، رقم ٦٤٩٦

تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠]، قال ابن مسعود: "هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير أو لشر". فلو وسع الخلق العدل ما قرن به الاحسان، فمن لا يصلح حتى يزداد على العدل كيف يصلح إذا لم يبلغ به العدل، والعدل ميزان الله في الارض، الذي به يؤخذ للضعيف من القوي وللمحق من المبطل.

فالعدل خيمة يستظل بها كل الناس يتساوى فيها عند الله عز وجل المؤمن والكافر والقريب والبعيد والعدو والصديق والغبي والفقير، والآيات آمرة بذلك قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ إِلَوَالَّدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِّيْا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ تُعَرِّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا) [النساء: ١٣٥]، عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ممن يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا ومن يحيثري عليه إلا أسامة حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم . فكلمه أسامة . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أهليكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها<sup>(١)</sup>، وفيه دليل على منزلة العدل في دين الاسلام . وكذلك بغض قوم أو حبهم لا يجعل المسلم يحيط عن العدل قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرُّ مَنْكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرُبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]، عن جابر بن عبد الله، أنه قال : "أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَبِيرًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْرَرُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْنَى الرَّبِّ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْعَضُ الْخَلْقِ

(١) صحيح مسلم، (ج ٥ / ص ١١٤)، رقم ٤٥٠٥

إِلَيْهِ، قَتَّلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَّبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسَقِّ مِنْ تَمَرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبْيَتُمْ فِلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخْدَنَا، فَأَخْرُجُوهَا عَنَّا»<sup>(١)</sup>.

\*\* قال تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

[المائدة: ٤٢]

جاء في الحديث الصحيح: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَنَا يَدِيهِ يَمِينُ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا»<sup>(٢)</sup> [ولوا: أي كانت لهم ولية]

قال ابن القيم: "ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كلامها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدتها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، وبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها أبداً"<sup>(٣)</sup>

فالعدل أساس الملك كما قال الحكماء، ولهذا قيل: إِنَّ اللَّهَ يَقِيمُ الدُّولَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً، وَاللَّهُ يَنْصُرُ الدُّولَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدُّولَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً ». فعاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة فأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام.

(١) المسند، (ج ٣ / ص ٣٦٧)، رقم ١٤٩٦٦، شعيب الأرناؤوط اسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ٧)، رقم ٤٨٢٥

(٣) بدائع الفوائد، (ج ٣ / ص ١١٧)

## ٩. الإسلام دين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُنَّاهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبه: ٧١]

نصيحة العباد وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر هو المراد من إرسال الرسل وإنزال الكتب وكذلك اتباع الرسل، وهو فرض على أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: ١٠٤]، قال بعض المفسّرين: كونوا كُلُّكم أمّة تدعون إلى الخير وتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر. وقال آخرون هو فرض على الكفاية فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كُلُّ قادر بحسب قدرته.

وهو قطب رحى الدين وعليه يدور بقاء الشريعة وهيمنتها وصلاح أهلها وسبب نزول الرحمة من الله تعالى وإذا تعطل دُبُّ الفساد في كُلُّ مفاصل حياة الأمة وأصبحت عرضة للزوال والطرد من رحمة الله ونزول اللعنة عليها، قال تعالى. (لِعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤَدَ وَعِيسَى بْنِ مَرِيمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة: ٧٩-٧٨].

وهو مسؤولية جماعية على الأمة إن قامت به نجت وإن تركته غرفت سفيتها بمن فيها، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «مَثُلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثْلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَا خَرَقْتُ فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا إِنَّ يَتُرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِن

أَخْذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»<sup>(١)</sup>

وقد حذر الصحابة رضي الله عنهم من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبروا أن ترکه سبب نزول العقاب بالأمة جميعها ومانع من استجابة دعائهما.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «أئنَا النَّاسُ إِنْ كُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِيهِ أُوْشَكَ أَنْ يَعْمَمُهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»<sup>(٢)</sup>. وعن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمُعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوْشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِّنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

ومن صفات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١— الاخلاص: أي يتغى بعمله وجه الله تعالى لتكون الكلمة الله هي العليا بين الناس.  
٢— العلم والفقه: فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، العلم إمام العمل والعمل تابعه.

٣— أن يكون رفيقا ولطيفا فيمن يأمره وينهاه: لأن النفوس تألف من يرفق بها وتنفر من يغليظ عليها ولو كاننبيا، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ هُنْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا الْقَلْبُ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران ١٥٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، (ج / ٣ / ص ١٣٩)، رقم ٢٤٩٣

(٢) المسند، (ج / ١ / ص ٧)، رقم ٣٠، وقال شعيب الأرناؤوط اسناده صحيح على شرط الشيixin

(٣) سنن الترمذى، (ج / ٤ / ص ٤٦٨)، رقم ٢١٦٩، وقال: حديث حسن

(٤) صحيح البخاري، (ج / ٩ / ص ١٦)، رقم ٦٩٢٧

٤— ولا بدّ أيضاً أن يكون حليها صبوراً على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر ما يصلح كما قال تعالى على لسان لقمان: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمُعْرُوفِ وَانه عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَرِ) [لقمان: ١٧]

\* \* \* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسانيه فإن لم يستطع فقلبه وذاك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>

قال الصناعي: " وشرطه: أنه لا يؤدي إلى الفتنة، فإن علم أنه يؤدي إليها لم يجب، ولا يندب، بل ربما كان حراماً، بل يلزم أنه لا يحضر المنكر، ويعزل في بيته لئلا يراه، ولا يخرج إلا لضرورة"<sup>(٢)</sup>. ومعنى قوله: {فقلبه}: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزاله وتغيير، بل هي كراهة له إذ ليس في وسعه التغيير إلا في هذا القدر، قال - صلى الله عليه وسلم - «إذا عمِلتُ الخطيئةَ في الأرضِ كَانَ مَنْ شَهَدَهَا فَكَرِهَهَا» وَقَالَ مَرَّةً «أَنْكَرَهَا». «كَمْ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَّهَا كَانَ كَمْ شَهَدَهَا»<sup>(٣)</sup>  
وأن عدم إنكار القلب دليل على ذهاب الإيمان منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه:  
"هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر"

تغيير المنكر واجب على كل قادر حسب استطاعته وهو افضل الجهاد قال سيدنا علي رضي الله عنه "افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وشنآن الفاسقين – أي بغضهم\_ فمن امر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر ارغم ائف المنافق ومن شنآن الفاسقين وغضب الله له"<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٠)، رقم ١٨٦

(٢) التحبير لإيضاح معاني التيسير، (ج ١ / ص ٣٢٦)

(٣) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٢١٨)، رقم ٤٣٤٧، وقال الألباني: حسن

(٤) الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (ج ١ / ص ٣٩٠)

## ١٠. الابلاء بالمصائب

قال تعالى: (وَلَنُبْلِوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

اقتضت حكمة الله تعالى أن يتيhi خلقه بما يشاء ليظهر بذلك كائن النّفوس الخيرة والشرّيرة، ليعلم من يطيعه من يعصيه، ابتلى الله النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ابتلى أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضرورب من البلاء في نفسه وأهله وماليه، من غير هوان به عليهم، ولكن اختبارا منه لهم، ليبلغهم منزلته التي أعدّها لهم تبارك وتعالى عنده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىَ اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»<sup>(١)</sup>

سئل الشافعي رحمه الله أيّها أفضل للرجل، أن يُمْكَن أو يُبْلِي؟ فقال: لا يُمْكَن حتى يُبْلِي، والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا ممكّنهم<sup>(٢)</sup>.

والمصائب درجات وأهون المصائب مصيبة المال لأنّه يعوّض بعد فقدانه، ثمّ مصيبة البدن كأن يصاب بمرض أو سجن وغيره، لكنّ أعظم مصيبة هي مصيبة الدين نسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه الحقّ، ومصائب الدين أمّا مهلكة مثل الكفر والشرك والشك وما أشبه ذلك وأمّا منقصة للدين كالمعاصي، ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينَنَا» أي لا تصبينا بما ينقص ديننا من اعتقاد السوء وأكل الحرام والفتنة في العبادة وغيرها.

وليعلم كل مسلم ان المال فداء النفس والنفس والمال فداء الدين والدين لا يفتدى به، ومن اعظم المصائب في الدين موت النبي صلى الله عليه وسلم لأن المصيبة به اعظم من

(١) صحيح ابن حبان، (ج ٧ / ص ١٨٤)، رقم ٢٩١٠، قال الالباني: حسن صحيح

(٢) زاد المعاد، (ج ٣ / ص ١٣)

كل مصيبة يصاب بها المسلم، لأنه بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيمة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد العرب عن الدين فهو أول انقطاع عرى الدين ونقصانه.

- يبتلي المؤمنون بأموالهم وأنفسهم وأذى الكافرين قال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [آل عمران: ١٨٦]

أن خبرهم تعالى بالابتلاء بالأموال والأنفس وأذية الظالمين لتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه عند وقوعه فقال الله تعالى تطيباً لقلوبهم: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثُلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسَّتُمُ الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَاءَ وَزُلِّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة: ٢١٤]

- قد يبتلي المؤمن بفقد أحبته كفقد أمّه وأبيه وزوجته ولده وصديقه، عن أبي موسى الأشعريّ، أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةً فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُ الْعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوْهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»<sup>(١)</sup>.

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَافِيهِ مِنْ أهْلِ الْأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَقَالَ: مَا أُمْرَ بِهِ بِشَوَّابٍ دُونَ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup> [صَفَيْيُ الرِّجْلِ: الَّذِي يَصَافِيهِ الْوُدُّ وَيُخْلِصُهُ لَهُ]

\*\* عنْ أُمّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللَّهُمَّ أُجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، الْآجَرُهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»

(١) سنن الترمذى، (ج / ٣ / ص ٣٣٢)، رقم ١٠٢١، وقال الالباني: حسن

(٢) سنن النسائي، (ج / ٤ / ص ٢٣)، رقم ١٨٧١، وقال الالباني: حسن

قالت: فَلَمَّا تُوْقِيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمْرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ  
لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>

وقد جعل الله تعالى كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب (انا الله وانا اليه راجعون) ملجاً وملاذا لذوي المصائب وعظمة للممتحنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة فيهيج ما سكن ويظهر ما كمن فإذا جأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة فان قوله (انا الله) توحيد وإقرار بالعبودية والملك وقوله (وانا اليه راجعون) إقرار بأن الله يملكون ثم يبعثنا فهو ايمان بالبعث بعد الموت وهو ايمان أيضاً بأن له الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى فهو من اليقين ان الأمر كله لله فلا ملجاً منه الا اليه<sup>(٢)</sup>

ولا ينبغي للعبد أن يتمنى البلاء بل هو مأموم أن يسأل الله العافية والاحتراز من المكاره وأسبابها فإن نزل البلاء تلقاه بالرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، قال صلي الله عليه وسلم «اسأّلوا الله العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةَ»<sup>(٣)</sup>  
فالعفو: محو الذنوب، والعافية: أن يسلم من الاسقام والبلايا.

عن ابن عمر رضي الله عنها قال: لم يكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُ هُؤُلَاءِ  
الكلمات إِذَا أَصْبَحَ إِذَا أَمْسَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي  
أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايِّي، وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ اسْتُرْ عُورَاتِي، وَأَمِنْ رُوْعَاتِي.  
اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شَمَائِلِي، وَمِنْ فُوقِي، وَأَعُوذُ  
بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ اغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٣، ص ٣٧)، رقم ٢١٦٦

(٢) المنجبي، تسلية اهل المصائب، ص ١١

(٣) سنن الترمذى، (ج / ٥، ص ٥٥٧)، رقم ٣٥٥٨، وقال الالباني: حسن صحيح

(٤) الادب المفرد، ص ٢٤٣، رقم ٦٩٨ وقال الالباني: صحيح

## ١١. الابتلاء بالنعم

قال تعالى: (أَلَمْ تَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ بِعَمَّهُ ظَاهِرًا وَبِإِتْنَاهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ) [لقمان: ٢٠]

الابتلاء: هو الاختبار والامتحان.

والابتلاءات أنواع لا يعلمها الا الله قال الله عز وجل (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنباء: ٣٥] ، نختبره بالخير والشر في أيام الدنيا ونجزيه يوم القيمة، بالثواب أو العقاب. والله تعالى يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب ومن حكمته أيضا الا يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) [آل عمران: ١٧٩] ، ومن انواع النعم:

**أولاً— نعمة الدين:** (قُلْ يَفْضِلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرُبُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: ٥٨] ، قال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله. وأفضل النعم إرسال الرسل رحمة بالناس، والامر بطاعتهم، والانقیاد لهم، والایمان بهم، واتّباع الاوامر والنواهي التي جاءوا بها ووعد الله تعالى للعباد على الایمان بهم الاجر العظيم والثواب الجزييل، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»<sup>(١)</sup> قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْسَاجٍ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الانسان: ٢] [نبتليه: نختبره بالتكليف] ، وفائدة الابتلاء، (حتى يميّز الحبيث من الطيّب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) [آل عمران: ١٧٩] ، يختبرهم وهو أعلم بهم ولا يطلعهم على الغيب.

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، رقم ٢١٧٤

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مؤمنين وكافرين وصنف ثالث هم المنافقون، فالعباد مطيعون وعاصيون ليرتب على ذلك الشواب والعقاب، وليظهر سبحانه وتعالي عدله وفضله، وحكمته خلقه.

**ثانياً - نعم الدنيا:** والنعم هي صحة الجسم والمال والأولاد والأمن والجاه والسلطان، وذلك كله ليرى الله تعالى شكر عبده على نعمه كما قال سليمان عليه السلام (هذا من فضل ربِّي) أي (لِيُلَوِّنِي) لينظر (أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُّرُ) أي ليختبرني أأشكر نعمته أم أكفرها (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أي لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها. والشكراً قيد النعمة الموجودة، وبه تنال النعمة المفقودة. (وَمَنْ كَفَرَ فَانْ رَبِّيْ غَنِيْ كَرِيمُ) أي عن الشكر (كَرِيمُ) في التفضل.

ويسأل العبد عن نعمة العلم والمال عن أبي بزرة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يسأل عن عمره فيما أفناؤه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أفقه، وعن جسمه فيما أبلأه»<sup>(١)</sup>.

وجاء في السير أنَّ أباً بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال: "يا أبا بكر أترى عمَّ أَنَّ الله قادر على إطعام هؤلاء؟" قال: نعم. قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الاغنياء بالإعطاء<sup>(٢)</sup>.

ومن النعم نعمة الصحة والفراغ، وهاتان النعمتان لا يفطن لها الكثيرون من الناس فيضيئونها في المنكرات والملهيات عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»<sup>(٣)</sup> أي إنهم

(١) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ١٩٠)، رقم ٢٤١٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٥ / ص ٣٧)

(٣) صحيح البخارى، (ج ٨ / ص ٨٨)، رقم ٦٤١٢

مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون لم يستمر هاتين النعمتين في طاعة الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَنْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجَدْرُ أَنْ لَا تَزَدِرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>

فإن العبد إذا نظر في دنياه إلى من هو دونه تنبه إلى نعمة الله عليه فسوف يحمد الله على ما فضله به ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه تنبه إلى تقديره وشمر للاقتداء به، أما من نظر إلى من هو فوقه في الدنيا فسوف يستصغر نعمته فلا يشكرها، قال بعض السلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن فصاحت الفقراء فاسترحت.

\* \* \* قال تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا شَكُرُونَ) [الملك: ٢٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرَثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَتَرَبَّعَ فَكُنْتَ تَطْنُ أَنْكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيَتِنِي»<sup>(٢)</sup>. {اليوم أنساك: اليوم أتركك في العذاب}.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاَكْنِزْ هُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّشِيتَ فِي الْاُمُورِ وَعَزِيزَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادِتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢١٣)، رقم ٧٦١٩

(٢) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٦١٩)، رقم ٢٤٢٨، وقال الالباني: صحيح

(٣) المستدرک على الصحيحين، (ج ١ / ص ٦٨٨)، رقم ١٨٧٢ صحيح على شرط مسلم

## ١٢. التغيير يبدأ من النفس

قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الانفال: ٥٣]

تبديل النعم وسلبها من العباد وتعذيب أهلها لا يكون الا إذا كفرت ومنع شكرها  
 قال تعالى: (وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زِدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [ابراهيم: ٧]، وكذلك تغيير الحال السيء لا يتم الا بتغيير العباد أنفسهم من الاسوء إلى الاحسن قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]  
 فالتغيير يبدأ من النفس ثم ينتشر إلى من هم تحت ولا ينتهي ثم إلى من حولك فيحدث الصلاح في الارض. أما إذا فسد الناس أفسدوا ولا يظهر صلاح في الارض لأن الله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٨١].

و قبل العمل اعرف نفسك، فمعرفة النفس تساعده على معرفة عيوبها وإصلاحها.

والنفوس ثلاثة أنواع كما ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم:

أولاً: النفس الامارة بالسوء: قال تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، وهي النفس التي دائمًا تأمر أصحابها بسيء الأقوال والافعال.

ثانياً: النفس اللوامة: قال تعالى: (وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامِةِ) [القيامة: ٢]، وهي التي تلومه على الخير والشر فتجده يندم على ما فعل من المعصية، وتلومه على ما فعل من الطاعة.

ثالثاً: النفس المطمئنة: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً).

فأدخل في عبادي. وادخل جنتي) [الفجر: ٢٧ - ٣٠]. المطمئنة بالإيمان وذكر الله، الراضية بقضاء الله، الموقنة بما وعد الله، الراضية بشواب الله، القانعة بعطاء الله، الشاكرة لنعماه، وهي التي تدخل الجنة برحمه الله راضية مرضية.

فإذا عرفت من أيّ النفوس نفسك فابدا بأول خطوة من خطوات التغيير وهي:

## زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

— إخلاص النية لله والتوكل عليه وطلب العون منه والعزم على المسير ومحاسبة النفس بالبحث عن الخصال الحسنة وتنميتها والتغفيش عن الخصال السيئة والتخلاص منها.

— البدء بالعلم الضروري الذي لا بد منه مثل معرفة أركان الإيمان وأركان الإسلام والحلال والحرام بأدلةها الشرعية ولا يعمل عملا الا بدليل شرعي من القرآن أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بها.

— ثم يبدأ بنقل هذا العلم وتعليمه إلى أهل بيته (يا أئمّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا نَفْسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [التحريم: ٦]، قال ابن عباس وغيره: ”آدبواهم وعلّموهم“ ومن ذلك تعليمهم تعظيم الله تعالى في قلوبهم وأنه ولئن نعمتهم وحق عليهم شكر نعمته بعبادتهم له، ورأس العبادات الصلاة فلا بد أن تكون العائلة كلها تصلي ولا يقبل من أحد عذر في ترك الصلاة. وعلى الأم ترغيب بناتها بالحجاب الشرعي، والعجيب أن تكون الأم محجبة والبنت سافرة وهذا من أسباب ضياع الدين.

— التزامه مع أهل بيته بالأذكار الشرعية في الصباح والمساء وعند النوم والاستيقاظ حتى يمحض نفسه من إبليس وشرور شياطين الأنس والجن، وعمل ملصقات للأذكار في غرف النوم والجلوس ليسهل تذكرها وحفظها، وقراءة صفحة واحدة من القرآن على الأقل وتدبر معناها ويفضل وجود تفسير للقرآن في البيت، والعمل على إلغاء الألفاظ غير الشرعية في العائلة كالحلف والسب والاستهزاء والتنابز بالألقاب.

— إصلاح بيته وتنظيفه من المنكرات التي فيه مثل التمايل وصور ذوات الأرواح ولا بأس بالمناظر الطبيعية، ومسح القنوات الفضائية المابطة والبقاء على القنوات التي تعلم القرآن والسنّة والتاريخ الإسلامي والقنوات الصحيحة والعلمية التي تدفع المسلم للتفكّر في خلق الله مع قناة هادفة للأطفال حتى يزداد علما في كل يوم واستغلال وقته أحسن استغلال في الطاعات ولا يضيعه في المنكرات والملهيّات.

— التعامل مع الجيران والأرحام والناس جيّعا بالأخلاق الإسلامية والمعاملات

الشرعية ليكون ذلك دافعاً لغيره للاقتداء به والعمل، ثم دعوة الناس لدين الله حسب استطاعته.

— التفكير بنصرة الإسلام: من المؤسف أن يعيش الإنسان في هذه الدنيا بدون هدف فلا يجد للحياة طعماً فالإنسان بدون هدف كسفينة تائهة وسط البحر لا تعرف أين تتجه واستسلم ركابها لقادارهم، أهل الدنيا واهل الباطل وأهل الفساد لهم أهداف ويفكرُون ويخططُون لتنفيذها، وكثير من أهل الحق بلا هدف ينتظرون النصر بدون الأخذ بالأسباب، عباد فقط، والعباد يهلكون كما يهلك الناس عند نزول العقوبات ولا ينجو إلا من يصلح قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْبَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهُمْ مُصْلِحُونَ) [هود: ١١٧]، على المسلمين عموماً والدعاة إلى الله خصوصاً التفكير بنصرة الإسلام وتحديد الأهداف والأخذ بالأسباب الشرعية للوصول إليها، ولتعلم الجميع أن الاعمال العظيمة تبدأ بفكرة.

\* \* \* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالمرأةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>.

فكل الناس مسؤولون عن رعاياهم فكل من له ولاية على أحد سئل عما وله الله تعالى الامراء، والوزراء، والعلماء، والأباء، والأمهات، والخدم. عن معمق بن يسار في مرضيه الذي مات فيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يخطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة»<sup>(٢)</sup>. اللهم صل على محمد وآل محمد اللهم اجعلنا هداة مهتدین صالحین مصلحین.

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١٢٠)، رقم ٢٤٠٩

(٢) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٦٤)، رقم ٧١٥٠

## ١٣. التوبة

قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ كُلِّيًّا أَئِنَّا مُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور: ٣١]

من أسماء الله الحسنى التي سمى بها نفسه سبحانه وتعالى (التوب)، والتوب في اللغة من صيغ المبالغة لكثره قبوله توبه العباد حالاً بعد حال. وقد ورد في القرآن في احدى عشرة آية، وفي تسعة مواضع مقتربنا بالترجمة قوله (التَّوَابُ الرَّحِيمُ) وسر الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين واضح، ذلك أن من آثار وثمار رحمة الله تعالى توفيقه لعباده إلى التوبة ثم قبولها منهم.

ولقد أمر الله تعالى عباده بالتوبة ورغبتهم بها ووعدهم بقبولها فقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) [الشورى: ٢٥]

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِّنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَلَّا»<sup>(١)</sup>، ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أنه فتح باب التوبة ليلاً ونهاراً إلى أن تطلع الشمس من مغربها، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَّلَ يَسْطِعُ يَدُهُ بِاللَّيلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطِعُ يَدُهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(٢)</sup>. أَنَّى رَجُلُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَدْ أَمَّ بِذَنْبٍ، فَسَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَلَحَظَهُ عَبْدُ اللَّهِ - أَوِ التَّفَتَ إِلَيْهِ - فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، وَقَالَ: «هَذَا أَوَانُ هَمَّكَ مَا جِئْتَ لَهُ، إِنَّ لِلْجَنَّةِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، كُلُّهَا تُفْتَحُ وَتُعْلَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا بَابُ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ بِهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا فَاعْمَلْ، وَلَا تَتَيَّسْ»<sup>(٣)</sup> وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرِّغِرْ»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج/٨، ص/٦٨)، رقم ٦٣٠٩

(٢) صحيح مسلم، (ج/٨، ص/٩٩)، رقم ٧١٦٥

(٣) ابن المبارك، الزهد والرقائق، (١/٣٦٨)، رقم ١٠٤٢

(٤) سنن الترمذى، (ج/٥، ص/٥٤٧)، رقم ٣٥٣٧ وقال الالباني: حسن

وسيّد الخلق سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم كان يستغفر ربـه ويتبـ إلى الله في كلـ يوم بل في كلـ مجلس، عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلـى الله عليه وسلم يقول: «والله إني لاستغفـر الله وأتوبـ إلـيـه في اليوم أكثرـ من سبعـين مرـة»<sup>(١)</sup> وعن ابن عمر رضـي الله عنهـما، قال: كـنـا نـعـذـلـ رسولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ المـجـلـسـ الواحدـ مـئـةـ مرـةـ: «ربـ اغـفـرـ ليـ وـتـبـ عـلـيـ إـنـكـ أـنـتـ التـوـابـ الرـحـيمـ»<sup>(٢)</sup>

فكـمـ مرـةـ يـجـبـ انـ نـتـوبـ إـلـيـ اللهـ نـحـنـ العـاصـينـ الغـارـقـينـ فـيـ الذـنـوبـ؟

أـوـلـ خطـوةـ فـيـ التـوـبـةـ هيـ الـمحـاسـبـةـ قـالـ تـعـالـيـ: (يـاـ أـئـمـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ أـتـقـوـاـ اللهـ وـلـتـنـظـرـ نـفـسـ مـاـ قـدـمـتـ لـغـدـ وـأـتـقـوـاـ اللهـ إـنـ اللهـ خـيـرـ بـمـاـ تـعـمـلـونـ) [الـحـشـرـ: ١٨]

فـلاـ تـصـحـ التـوـبـةـ معـ الجـهـلـ بـالـذـنـوبـ، فـأـمـرـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ عـبـدـهـ أـنـ يـنـظـرـ مـاـ قـدـمـ لـغـدـ وـذـلـكـ يـتـضـمـنـ مـحـاسـبـةـ نـفـسـهـ وـالـنـظـرـ أـيـصـلـحـ مـاـ قـدـمـهـ أـنـ يـلـقـيـ اللهـ بـهـ يـوـمـ الـقيـامـةـ أـمـ لاـ يـصـلـحـ؟ـ قـالـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ "ـحـاسـبـواـ أـنـفـسـكـمـ قـبـلـ أـنـ تـحـاسـبـواـ وـزـنـواـ أـنـفـسـكـمـ قـبـلـ أـنـ تـوـزـنـواـ وـتـزـيـنـواـ لـلـعـرـضـ الـأـكـبـرـ (ـيـوـمـ مـيـدـ تـعـرـضـوـنـ لـاـ تـخـفـيـ مـنـكـمـ خـافـيـةـ)ـ [ـالـحـاقـةـ: ١٨ـ]ـ".ـ وـالـتـوـبـةـ الـمـشـرـوـعـةـ هيـ الرـجـوعـ إـلـيـ اللهـ وـالـإـنـابـةـ إـلـيـهـ،ـ وـلـيـسـ التـوـبـةـ مـنـ

فعلـ السـيـئـاتـ فـقـطـ وـتـشـمـلـ:

- التـوـبـةـ مـنـ الـاعـقـادـاتـ الـفـاسـدـةـ - التـوـبـةـ مـنـ الـنـيـاتـ وـالـأـرـادـاتـ الـفـاسـدـةـ - التـوـبـةـ مـنـ التـقـصـيرـ فـيـ الـأـوـامـرـ الـشـرـعـيةـ - التـوـبـةـ مـنـ الـذـنـوبـ وـاـنـتـهـاكـ حـرـماتـ اللهـ .

فـحـقـيقـةـ التـوـبـةـ:ـ هيـ النـدـمـ عـلـىـ مـاـ سـلـفـ مـنـهـ فـيـ الـمـاضـيـ وـالـاقـلـاعـ عـنـهـ فـيـ الـحـالـ وـالـعـزـمـ عـلـىـ الـأـيـادـيـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ .ـ وـالـثـلـاثـةـ تـجـمـعـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ تـقـعـ فـيـ التـوـبـةـ فـإـنـهـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ يـنـدـمـ وـيـقـلـعـ وـيـعـزـمـ .ـ وـيـضـافـ إـلـيـ هـذـهـ الشـرـوـطـ شـرـطـ رـابـعـ هوـ إـعادـةـ حـقـوقـ الـآخـرـينـ أوـ استـحلـلـهـمـ مـنـهـاـ عـنـدـ تـعـلـقـ الذـنـبـ بـحـقـوقـ الـعـبـادـ .

فـإـذـاـ عـرـفـ الـعـبـدـ ذـنـوبـهـ وـاسـتـعـظـمـ جـرـمـهـ وـإـنـ كـانـ صـغـيرـاـ فـهـوـ لـاـ يـنـظـرـ إـلـيـ صـغـرـ الـمـعـصـيـةـ

(١) صحيح البخاري، (ج / ٨ / ص ٦٧)، رقم ٦٣٠٧

(٢) سنن ابن ماجه، (ج / ٢ / ص ١٢٥٣)، رقم ٣٨١٤، قال الالباني: صحيح

ولكن ينظر إلى عظمة من يعصيه وعلمه بكلّ أقواله وأحواله، ومتّه عليه بحمله فلم يعاجله بالعقوبة، وستره له فلم يبادره بالفضيحة أسرع العبد إلى التوبة والعودة إلى عبوديّته لخالقه ورازقه والتزام طاعته بعد أن خرج منها بارتکاب المعصية.

\* \* \* عن أبي سعيد الخدري أنَّ نبِيَّ الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالَمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلَقَ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبَدَ اللَّهَ مَعْهُمْ وَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمٍ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضِينَ فَإِلَى أَيْتَهَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَصَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ »<sup>(١)</sup>.

وقد يقول قائل كيف يغفر له وأنه ارتكب ذنباً يتعلق بحقوق العباد فكيف يغفر له بدون أن يعفو عنه صاحب الحق وهو مقتول لا يمكن إرضاؤه، قال العلماء: بأن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضاء خصمه.

«اللَّهُمَّ أَلْفُ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنَنَا وَاهْدِنَا سُبْلَ السَّلَامِ وَنَجِنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَائِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَرْجُانَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنْعَمْتَكَ مُثْنِينَ بِهَا قَابِلِيَّهَا وَأَعِنَّهَا عَلَيْنَا»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ١٠٣)، رقم ٧١٨٤

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ٣٩٧)، رقم ٩٧٧، صحيح على شرط مسلم

## ١٤. الاستغفار

قال تعالى: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَّعُكُمْ مَتَّاعًا حَسَنَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى  
وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ كَبِيرٌ) [هود: ٣]

الاستغفار: طلب المغفرة من الله وهو محظوظ الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، وكل شر في الدنيا والآخرة سببه الذنوب والمعاصي. وأمر الله تعالى بالاستغفار ورغم أنه ووعد عباده بالمغفرة، والاستغفار من أجل القربات، وأنفع الطاعات، وأعظم موانع إنفاذ الوعيد، (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣]، ولم يقتنط سبحانه وتعالى أحداً من مغفرته منها عظمت ذنبه، فقال تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣].

ومن أسماء الله الحسنى الغفور: سبحانه هو من يغفر الذنوب العظام.

والغفار: هو من يغفر الذنوب الكثيرة، غفور للكيف في الذنب، وغفار لكم فيه. وقرن بين اسم الغفور والودود، والغفور والرحيم، والعزيز والغفار، وتأمل سر اقتران هذه الأسماء مع بعضها في كثير من الآيات. فاقتران اسم الغفور باسم الودود في قوله تعالى: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) [البروج: ١٤]، واقتران الغفار بالعزيز في قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَارُ) [ص: ٦٦]، تجده من كنوز القرآن ولطائفه، فعادة الملوك المتجررين الظلم وعدم العفو وإن عفوا عنمن أخطأ بحقهم فهم لا يحبونه، وهو سبحانه مع عزته وجبروته وكرياته فهو الغفور الرحيم الودود يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبه ويرحمه فهو سبحانه المندود إلى عباده بنعمه قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود: ٩٠]

الاستغفار من صفات خواص خلق الله قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجْحَشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) [آل عمران: ١٣٥]،  
وما من نبيٍّ إلا استغفر ربه وأمر قومه بالاستغفار، عن أبي هريرة قالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَمْ تُذَنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذَنِبُونَ  
فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وينقسم الاستغفار إلى قسمين:

أولاً: استغفار من الذنوب: فالعبد يحتاج إلى الوقاية من شرها عن أي هريرة، عن النبيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يحكي عن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ  
وَيَاخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي  
أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَاخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ  
اَغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَاخُذُ  
بِالذَّنْبِ، اَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَرَّتْ لَكَ»<sup>(٢)</sup>.

عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذَنِبُ ذَنْبًا فَيُحِسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصْلِلُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ  
اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِحَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا  
اللَّهَ) [آل عمران: ١٣٥]<sup>(٣)</sup>

ثانياً: استغفار بعد الاعمال الصالحة، فيختتم به بعد الصلاة، عن ثوبان، قالَ: كَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٩٤)، رقم ٧١٤١

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٩٩)، رقم ٧١٦٢

(٣) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٦١)، رقم ١٥٢٣، وقال الالباني: صحيح

السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالاَكْرَامِ»<sup>(١)</sup>. وَقِيَامُ اللَّيلِ، قَالَ تَعَالَى: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الظَّلَلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: ١٨-١٧]، صَلَوَوا الْقِيَامَ ثُمَّ جَلَسُوا يَسْتَغْفِرُونَ. وَيَخْتَمُ بِالْحَجَّ قَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: ١٩٩]، وَتَخْتَمُ بِالْمَجَالِسِ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ»، فَهِيَ خاتَمَ لِذِكْرِي فِي الْمَجَالِسِ وَكُفَّارَةً لِلْغُوْفِيَةِ. فَهَذِهِ حَالُ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَغْفِرَةِ رَبِّهِ وَرَحْمَتِهِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفارًا كَثِيرًا»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \* قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا)

[النساء: ١١٠]

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الْاِسْتِغْفارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا أَسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ وَمَنْ قَاتَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَاتَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(٣)</sup>. وَهَذَا أَفْضَلُ الْاسْتِغْفارِ فَهُوَ مُقْتَرٌ بِالْتَّوْحِيدِ وَبِالْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَتَجْدِيدِ الْعَهْدِ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ بِالاعْتَرَافِ بِنِعْمَتِهِ، ثُمَّ يُتَنَبَّهُ بِالإِقْرَارِ بِذَنبِهِ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ وَلِذَلِكَ سَهَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الْاسْتِغْفارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَظُلْمَنَا وَهَزْلَنَا وَجِدَنَا، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعِبَادِ، وَشَيَاطِئِ الْاَعْدَاءِ.

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٩٤)، رقم ١٣٦٢

(٢) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٢٥٤)، رقم ٣٨١٨، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٦٧)، رقم ٦٣٠٦

## ١٥. الدعاء

قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَحِيُوا  
لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]

لقد أمر الله تعالى بالدعاء ودعا عباده لسؤاله والطلب منه وقال عز وجل: (وَقَالَ  
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ)  
[غافر: ٦٠]، ووعد بالاجابة للداعي ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «لَا يَرَأُلُّ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ  
بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحْمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِعْجَالُ قَالَ: «يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ  
وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِيَسْتَجِبْ لِي فَيَسْتَحِسِرْ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»<sup>(١)</sup>

والدعاء عبادة الله تعالى لا يشاركه فيها أحد. فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله  
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)<sup>(٢)</sup>

ونهى الله عز وجل أن يدعى أي مخلوق من دونه، فقال تعالى: (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) [الشعراء: ٢١٣] لأن ذلك شرك في العبادة قال تعالى: (وَالَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا  
اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ) [فاطر: ١٤-١٣]  
وقال تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ  
الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضَرٍّ فَلَآ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَآ رَادَ لِفَضْلِهِ  
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس: ٦-١٠] لأن المخلوق لا  
يملك أن يدفع عن نفسه ضرًا ولا يجلب لها نفعا، كيف ينفع غيره أو يضره، قال تعالى:  
(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَهْلَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا  
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) [الفرقان: ٣]

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨، ص ٨٧)، رقم ٧١١٢

(٢) الادب المفرد، ص ٢٤٩، رقم ٧١٤، وقال الالباني: صحيح

وأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ عَبْدُهُ، وَالْعَبْدُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَصْحُّ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَالَ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا مِثْلَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيُسْتَحِيُّوْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأعراف: ١٩٤]

إذن كيف ندعوه؟ قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) [الجن: ٢٠]، أفضل الادعية هي التي وردت في الكتاب والسنة لأن فيها جوامع الكلم وتحمل الخير كله وتدفع الشر كله والتي دعا بها الانبياء وخاتمهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم الادعية التي تدور حول معاني أدعية الكتاب والسنة مما دعا به الصحابة والتابعون والصالحون.

فخير الدعاء ما ذكر في كتاب الله مثل قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُرْغِبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ) [آل عمران: ٨]. وقوله تعالى: (رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاهِمِينَ) [المؤمنون: ١٠٩]. وقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المتحننة: ٥].

وخير الدعاء ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته والامة بعدهم كيف يدعون الله، وأمرهم بالثناء على الله عز وجل بما هو أهله، والصلاحة على النبي قبل الدعاء، فعن فضاله بن عبيده رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعوه في صلاته، لم يمجده الله تعالى، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز، والثناء عليه، ثم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بيها شاء»<sup>(١)</sup>.

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٥١)، رقم ٤٨٣، وقال الالباني: صحيح

\*\*\* قال تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

[غافر: ٦٥]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزُلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>

ومن رحمة الله بعده ان العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه ويعوضه خيرا منها، اما ان يصرف عنه بذلك سوءاً، او ان يدخلها له في الآخرة او يغفر له بها ذنبا.

قال أبو سعيد الخدري، عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطْعِيَّةِ رَحْمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قال: إذا نُكْثِرُ، قال: «الله أَكْثَرُ»<sup>(٢)</sup>

الدعاء عبادة تظهر فيها فقرك الى الله، عن أبي هريرة فتعبد الله بالدعاء، واجعل من الدعاء لوالديك برا لهم، واجعل من الدعاء لأرحامك صلة، وجليل انك احسانا، ولمن علمك وكان سببا في هدaitك جزاء، واجعل من الدعاء لاخوانك برهانا على حبك لهم فأحباب لا يحبك ما تحب لنفسك يقول النبي -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ «دَعْوَةُ الْمُرِئِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهَرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكُ كُلَّ مُوَكَّلٍ كُلَّمَا دَعَاهَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِنٌ وَلَكَ بِمِثْلِهِ»<sup>(٣)</sup>

قال تعالى معلمـا لنا من دعاء نوح: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارَأً) [نوح: ٢٨]

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٥٣)، رقم ١١٤٥

(٢) الادب المفرد، ص ٢٤٨، رقم ٧١٠ وقال: الالباني صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨٦)، رقم ٧١٠٥

## ١٦. وسائل استجابة الدّعاء

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٣٥]

لقد اعتاد الناس أن يتتوسلوا إلى الله تعالى بوسائل لاستجابة دعائهم منها ما هو مشروع ومنها غير مشروع، فتوسل المشركون بالآلهتهم وجعلوها وسائل بينهم وبين الله، وتوسل اليهود والنصارى بأنبيائهم وصالحיהם بعد أن حرفوا دينهم، ومنهم من توسل بالأصنام والاحجار والأشجار والكتاب والقبور. وجاء الإسلام فألغى كل الوسائل غير المشروعية وأثبت ما يقرب إلى الله تعالى من الوسائل الشرعية قال تعالى: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِنِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِي لَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغْوِيْنَ إِلَيْ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَعْشَعُهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذُورًا) [الاسراء: ٥٧-٥٦] وقال تعالى: (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيًّا مُأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٨٠]

قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزيز وغيرهما، فنهى الله عن ذلك، وأخبر تعالى أن هؤلاء يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ويتقربون إليه، وأئمّهم لا يملكون كشف الضّر عن الداعين ولا تحويله عنهم.

”فجماع الوسيلة التي أمر الله تعالى الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتّباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى ذلك إلا ذلك. فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب“<sup>(١)</sup>. ومن الوسائل التي جاءت في القرآن وعلّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

أولاً - التوسل إلى الله تعالى بتوحيده وأسمائه وصفاته: قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) [الأعراف: ١٨]. فمن عرف الله

(١) ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ج ١ / ص ٨٢)

بأسئلته وصفاته وأفعاله ودعا بها كان دعاؤه مستجابا. قيل لجعفر الصادق: مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه. فمعرفة الله تعالى تجعل دعائكم مستجابا. والدليل حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهدك أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت. الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال: قد سأله باسم الله الاعظيم الذي إذا سأله به أعطى، وإذا دعاه به أجاب<sup>(١)</sup>

فهذا توسل إلى الله بتوحيد وشهادة الداعي له بالوحدانية وثبت صفاتة المدلول عليها باسم (الصَّمَدُ) والصمد هو الكريم المقصود في الحوائج وهو كما قال ابن عباس: «العالم الذي كمل علمه القادر الذي كملت قدرته» وقال سعيد بن جبير: «هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله»

وعن أنس بن مالك، قال: مر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي عياش زيد بن صاميت الزرقاني وهو يصلّي، وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، يا منان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والأكرام، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد دعاك باسمه الاعظيم، الذي إذا دعاه به أجاب، وإذا سأله به أعطى»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً - التوسل بتوحيدك وعبودية العبد له:

وهي الاعتراف ب العبودية لله قبل الدعاء وشهادتك له بالوحدانية والاعتراف بالذنب وطلب المغفرة، وكان من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدعية الاستفتاح بالصلاحة.

عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «وجئت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركيين، إن صلقي، ونسكي، وحيائي، و McKay لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٥٤)، رقم ١٤٩٥، وقال الالباني: صحيح

(٢) المسند، (ج ٣ / ص ٢٦٥)، رقم ١٣٨٢٤، قال شعيب الأرناؤوط: حسن صحيح

الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي جَيْعَانًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لِيَكَ وَسَعَدِيَكَ وَاحْتَيْرُ كُلُّهٗ فِي يَدِيَكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ»<sup>(١)</sup>

قال ابن القيم: "وَجَعَلَتْ كَلِمَاتُ التَّحِيَّاتِ فِي آخِرِ الصَّلَاةِ بِمِنْزَلَةِ خُطْبَةِ الْحَاجَةِ امَامَهَا فَإِنَّ الْمُصْلِي إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ جَلَسَ جَلْسَةَ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ يَسْتَعْطِي مِنْ رَبِّهِ مَا لَا غُنْيَ بِهِ عَنْهُ فَشَرَعَ لَهُ اِمَامٌ يَسْتَعْطِيَهُ كَلِمَاتَ التَّحِيَّاتِ مُقْدَمةً بَيْنِ يَدَيِ سُؤَالِهِ ثُمَّ يَتَبعُهَا بِالصَّلَاةِ عَلَى مَنْ نَالَتْ اِمْتِهَ هَذِهِ النِّعَمَةَ عَلَى يَدِهِ وَسُعادَتِهِ فَكَأَنَّ الْمُصْلِي تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ سَبَّحَهُ بِعِبُودِيَّهِ ثُمَّ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشَّهادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِهِ بِالرِّسَالَةِ ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَلِيلٌ لِهِ تَخْيِيرٌ مِنَ الدُّعَاءِ أَحْبَهُ إِلَيْكَ فَذَاكُ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْكَ وَهَذَا الْحَقُّ الَّذِي لَكَ ... ثُمَّ شَرَعَ لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَنْخَارِهِ مِنْ مَصَالِحِ دُنْيَا وَآخِرَتِهِ وَالدُّعَاءُ فِي هَذَا الْمَحَلِ قَبْلَ السَّلَامِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدِ السَّلَامِ وَأَنْفَعُ لِلَّدَاعِيِّ، وَهَكُذَا كَانَتْ عَامَةً أَدْعِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا كَانَتْ فِي الصَّلَاةِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا"<sup>(٢)</sup>

\*ثالثاً- التوسل إلى الله بالإيمان والاعمال الصالحة: قال تعالى: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنَّ أَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّنَا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) [آل عمران ١٩٣]. (رَبَّنَا أَمَّنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران ٥٣].

هذه وسيلة أخرى ذكرها الله تعالى في كتابه وعلّمها النبي صلّى الله عليه وسلم لأصحابه حتى يستجيب الله تعالى دعاءهم. كما ورد في حديث الرهط الذين دخلوا الغار الذي

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٣٤)، رقم ٧٧١

(٢) الصلاة وحكم تاركها، ص ٢١٥

يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خرج ثلاثة نفريمشون فأصحابهم المطر فدخلوا في غار في جبل فانحاط عليهم صخرة قال فقال بعضهم ليعرض ادعوا الله بأفضل عمل عاملتموه فقال أحد لهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فارعى ثم أحجى فأحلب فأحيى بالحلاب فاتي به أبويا فيسير بان ثم أسيقي الصبية وأهلي وامرأتي فاحتبست ليلة فجهت فإذا هما نايتان قال فكرهت أن أوقطهما والصبية يتضاغون عند رجلي فلم ينزل ذلك دابي ودابهما حتى طلع الفجر اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفروج عنا فرجة نرى منها السماء قال فمرج عنهم وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء فقالت لا تناول ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجلها قالت أتق الله ولا تفتق الخاتم إلا بحقي فقمت وتركتها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفروج عنا فرجة قال فمرج عنهم الثلثين وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أحيرا بفرق من ذرة فاعطيتها وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال يا عبد الله اعطي حقي فقلت انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنهما لك فقال أستهزئ في قال فقلت ما أستهزئ بك ولذننك اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفروج عنا فكشف عنهم»<sup>(١)</sup>  
هؤلاء تعرفوا إلى الله في الرخاء ب أعمال صالحة وهي بر الوالدين والعفة من الزنا وإعطاء حق الاجر فمرج الله تعالى عنهم في الشدة كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه: «تَعْرَفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللهم ان كنت تعلم منا انا عملنا عملا نتغى به وجهك فمرج عنا ما نحن فيه من الكرب والشدائد يا أرحم الراحمين.

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٧٩)، رقم ٢٢١٥.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج ١ / ص ٥٦٩)، رقم ٢٩٦١

## ١٧. ما هو أفضل دعاء يدعو به العبد؟

قال تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [النور: ٤٦] اختلاف الناس في الدعاء فمنهم من يدعوا الله تعالى بالخير كصلاح أهله وذريته ودفع الشر عن نفسه وأمواله ومنهم من يسأل الجنة ويعود به من النار، ومنهم من يدعو بالشر أي هلاك نفسه وولده أو طلب شهواته ورغباته غير المشروعة (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) [الإسراء ١١]، ومن دعاء الإنسان بالشر قول النضر بن الحارث في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأనفال: ٣٢].

ولو عجل الله للناس الاجابة بالشر كما يعجل لهم الاجابة بالخير هلكوا قال تعالى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجِلُهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [يونس: ١١]

فما هو أفضل دعاء يدعو به المسلم؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في {إياك نعبد وإياك نستعين} [الفاتحة: ٥]<sup>(١)</sup>، وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعَنَ في دُبِّ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٢)</sup>

وقال تلميذه ابن القيم: «ما كان المهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعونة الحق وإيثاره على غيره وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق والبغى يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفا وبيانا وإرشادا وإهاما وتوفيقا وإعانته فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مریدا له قاصدا لاتباعه

(١) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ١٠٠)

(٢) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٦١) رقم ١٥٢٤، وقال الالباني: صحيح

فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم والضالين  
الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال<sup>(١)</sup>

فأفضل دعاء يدعوه به العبد هو طلب العون على مرضاته بمعرفة الطريق الموصلة اليه  
وهو ما أرسل من أجله الانبياء والرسل، وهو الدعاء الذي أمر الله تعالى عباده أن يسألوه  
كل يوم في صلاتهم سبع عشرة مرّة في الصلوات المفروضة من غير السنن. فمن هدي  
إلى الصراط المستقيم في الدنيا، وأعانه الله تعالى على السير فيه فتحت بوجهه أبواب الخير  
كلّها وأوصدت عنه أبواب الشر كلّها وثبت على الصراط المستقيم في الآخرة فهذا الصراط  
متصل بذلك الصراط من هدي إلهي في الدنيا وعمل به ثبت عليه في الآخرة وعبره إلى الجنة.  
- وفي الفاتحة يتولّ العبد بأفضل وسائله لاستجابة الدعاء وهم أسماء الله الحسنى  
وهما الله والرب والرحمن والرحيم ثم يتولّ الله تعالى بعبوديته له ويطلب العون على  
مرضاته فيقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ)، ثم يدعو بما يحقق ذلك وهو معرفة الطريق  
الموصلة اليه وهو سؤال هداية التوفيق إلى الصراط المستقيم، المتضمن للتعرّيف بالأمرتين  
على التفصيل، وإلهام القيام بها، وسلوك طريق السالكين إلى الله بها. والنّاس ثلاثة أقسام  
لا يخرج واحد مّن تراه من النّاس عن هذه الثلاثة وهم:

**النعم عليهم:** هم الذين عرفوا الحقّ وعملوا به وهم الرسل وأتباع الرسل الذين قال  
الله تعالى فيهم: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء ٦٩].

**المغضوب عليهم:** هم الذين عرفوا الحقّ وعملوا بغيره وهؤلاء أكثر الناس شبهها  
باليهود الذين عرفوا النبيّ صلّى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ولم يتّبعوه.  
**والضاللون:** هم الذين لم يعرفوا الحقّ ولم يبحثوا عنه ورضوا بما عندهم من الجهل

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد، (ج ٢ / ص ٣٢)

وعبدوا الله بعبادات ما أنزل الله بها من سلطان وهم أكثر شبهها بالنصارى.  
والفاتحة هي سورة الحمد وهي ألم الكتاب وألم القرآن والسبع المثاني، ومن عظيم فضلها  
أن الصلاة خداج إذا لم تقرأ فيها، ومن عظيم فضل الله قسمها بينه وبين عبد نصفين.

- عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِ الْقُرْآنِ فَهِيَ خَدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرٌ تَكَامٌ. فَقَيْلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْأَمَامِ؟ فَقَالَ: «اَقْرَأْهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَالَ: مَجَدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَعَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»<sup>(١)</sup>

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مریدا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزّة، والنفوس محبوكة على وحشة التفرد وعلى الانس بالرفيق، نبّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون، فلا تستوحش من قلة السالكين ولا تغترّ بكثره الهالكين، فأنس بالله وسر واعلم أنّ الذي يتظرك على رأس الصراط الانبياء و محمد و صحبه وآل بيته.

\* قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦]

من تأمل أدعية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد الكثير منها يدور على طلب الهدایة

من الله تعالى والعون على مرضاته قال الحسن بن علي رضي الله عنهم: عَلِمْنِي رَسُولُ اللهِ كَلِمَاتٍ أَقُوْهُنَّ فِي الْوَتْرِ فِي الْقُنُوتِ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّتَ وَبَارِكْ لِي فِيهَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُفْضِي عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذَلُّ مَنْ وَالْيَتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»

قال ابن القيم: والقصد: أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد، ويبحث على السير والتشرم للحاق بهم. وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت<sup>(١)</sup> «اللهم اهدني فيمن هديت» أي أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهدية أي قد أنعمت بالهدية على من هديت، وكان ذلك نعمة منك، فاجعل لي نصيبا من هذه النعمة، واجعلني واحدا من هؤلاء المنعم عليهم، فهو توسل إلى الله بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل للكريم: تصدق على في جملة من تصدق عليهم، وعلمني في جملة من علمته، وأحسن إلى في جملة من شملته بإحسانك<sup>(٢)</sup> وفي حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتفى، والعفاف والغنى»<sup>(٣)</sup>.

سعادة الدنيا والآخرة بالهدى: وهو العلم النافع، والتقوى: وهو العمل الصالح وترك الحرام والعفاف عن الخلق والاستغناء عنهم والغنى بالله والقناعة برزقه، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك واغتنا بفضلك عن سواك.

(١) المسند، (ج ١ / ص ١٩٩)، رقم ١٧١٨، قال شعيب الأرناؤوط : اسناده صحيح ورجاله ثقات

(٢) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٦)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨١)، رقم ٧٠٧٩

## ١٨. كيف نهتدي إلى الحق

قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحُقْقُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) [يوسوس: ١٠٩]

في هذا الوقت الذي كثرت فيه الفتنة وتعددت فيه الفرق والاحزاب والجماعات وظهر فيه الشر وأهله، وكل منهم يدعى أنه على الحق وأصبح الدين كأنه سلعة تباع وتشترى بعرض من عروض الدنيا.

وأخبر فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي يرويه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْعَمَالِ فَتَنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup> زمن كثرة فيه الاتباع والمتبعون وعادى بعضهم بعضا وأصبح الولاء للحزب أو للجماعة أو للعشيرة أو للقومية وليس للإسلام وال المسلمين، أما البراء من الكفار فهو تبع للمصالح والمنافع الشخصية. كل ذلك بسبب أناس من أبناء جلدتنا ارتكبوا لأنفسهم أن يكونوا دعاة إلى جهنم كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان الذي يقول فيه: «كان الناسُ يَسَّالُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَا كَنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْبِيٍّ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٌ قَالَ نَعَمْ دُعَاءً عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدْفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَنَا وَيَتَكَبَّمُونَ بِالْسِتَّنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ ادْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَنْزُمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ

أن تعَضِّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَ الْمُوتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ<sup>(١)</sup>

في مثل هذه الحال التي كثرت فيها السبل، والتبس فيها الحق بالباطل لابد من معرفة طريق الهدایة الذي ينجي الانسان من الضلال، والهدایة هدایتان:

**أولاً: هدایة الارشاد والدعوة والبيان:** وهذه هي مهمّة الانبياء والرسل قال تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أي بینا لهم الطريق. ومنه قوله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)، أي الخير والشر، وقال تعالى عن سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، أي دين الاسلام، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم عندما يخطب يقول «أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاهُ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٢)</sup>. ويقوم بها أيضاً أتباع الانبياء والرسل الذي يهدون بهديهم ويستنون بسنتهم، (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف ١٠٨]. وقد أمر الله تعالى بالاقتداء بهم فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فِيهَا هُمْ افْتَدَهُ)[الأنعام: ٩٠].

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «بَلَّغُوا عَنِي وَلَوْ آتَيْهُ وَحَدُّثُوا عَنْ بْنِ إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلَيُتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: هدایة التوفيق:** وهي هدایة القلوب بالبيان، فهذه لا يملکها أحد الا الله سبحانه وتعالى. قال الله عز وجل: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦]، وقد جمع الله بين الهدایتين في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [يونس: ٢٥]، يدعو الناس ببيان الصراط المستقيم عن طريق الانبياء والرسل، وهو سبحانه يهدي هدایة التوفيق، فالبيان للأنبياء والرسل والهدایة للله وحده.

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٩٩)، رقم ٣٦٠٦

(٢) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ١١)، رقم ٢٠٤٢

(٣) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٧٠)، رقم ٣٤٦١

\* قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا إِيمَانٌ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا مُهَدِّي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطٍ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) [٥٢-٥٣]

عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «صَرَبَ  
اللَّهُ مُثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتِي الصِرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ  
سُتُورٌ مُرْخَأَةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : أَكُلُّهَا النَّاسُ، اذْخُلُوا الصِرَاطَ جَمِيعًا وَلَا  
تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ :  
وَيُخَاهَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، وَالصِرَاطُ إِلْسَامٌ، وَالسُورَانِ : حُدُودُ اللَّهِ،  
وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ : حَمَارُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِرَاطِ : كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي  
مِنْ فَوْقِ الصِرَاطِ : وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>

ذكر ابن جرير الطبرى: أن رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا  
محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد،  
وثم رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على  
الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ)<sup>(٢)</sup>  
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ»<sup>(٣)</sup>

الهدى: العلم النافع، والسداد: الصواب في القول والعمل باتباع السنة، يشبه سداد  
السهم نحو الهدف. اللهم اهدنا ويسر الهدى لنا وسدد خطانا واصلاح اعمالنا.

(١) مسنـد احمد، (ج ٤ / ص ١٨٢)، رقم ١٧٦٧١، وقال شعيب ارناؤوط: حديث صحيح

(٢) جامـع البـيان، (ج ١٢ / ص ٢٣٠)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨٣)، رقم ٧٠٨٧

## ١٩. أسباب الهدایة

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُشَرِّعُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الاسراء: ٩]

الهدایة أمر ربّاني لا يحصل الا بتوفيق من الله تعالى. ولا بدّ من أراد الهدایة من مقدمات تبدأ من جهته حتى يوفق من الله تعالى لسلوك طريق الحق واجتناب سبل الباطل ومن أسباب الهدایة المتعلقة بالعبد:

**أولاً: الانابة إلى الله تعالى والرجوع إليه:** بما ان هداية التوفيق هبة من الله تعالى فلا بدّ من الرجوع إليه وطلب توفيقه للهدایة لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه يقلّبها حيث شاء، قال تعالى: (فَلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى: (اللَّهُ يَعْجِزُ بِإِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى: ١٣] فقد بين سبحانه في هاتين الآيتين أنه يهدي من اتصف بالإنابة، وهي صفة يوصف بها من أقبل على الحق ورجع عن الباطل. حيث اقتضت حكمته تعالى أن يهدي من طلب الهدایة وسعى لها، جاء في الحديث القديسي: «يا عبادي كُلُّكُمْ ضالٌّ الا منْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»<sup>(١)</sup>. أي اطلبوا الهدایة متى أهدكم. على عكس من سار في طريق الباطل ولم يفكّر في معرفة الحق وطلبه فإنه يقع في طريق الضلال لأنّه لم يلجم إلى الله ويطلب التوفيق منه.

**ثانياً: الهدایة لا تكون الا بالوحى الكتاب والسنة بفهم الجيل الأول:**

قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُحْفَظُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُخِرِّجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ)

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٦)، رقم ٦٧٣٧

[المائدة: ١٥-١٦]، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ « لَا أَفْيَنَ أَحَدَكُمْ مُتَكَبِّلاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمْرَتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّعْنَاهُ »<sup>(١)</sup>

لقد حدد الله تعالى الهدایة بالكتاب والسنّة، وكلّ الطرق مسدودة الا من جهتها، والايّان لا يصح الا كما آمن جيل الصحابة قال تعالى : (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُفِّرُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٣٧]

فالقرآن يبيّن سبيل المهدىين لاتّبعها وسبيل الجرميين لاجتنابها، والنبيّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو لسلوك طريق الايّان واجتناب طرق الضلال، والصحابة هم من فهموا قول النبي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملوا به على عينه وأقرّهم أو صلح لهم. فإذا رکن العبد إلى الكتاب والسنّة واستقى منها العقائد والشائع وأصبح قوله وعمله تبعاً لقول رسول الله صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنُ اللَّهِ قَلْبَهُ بِنُورِ الإِيمَانِ وَأَبْعَدَهُ عَنْ سُبُلِ الضَّلَالِ.

### ثالثاً: لا يقدّم ما يقوله العقل على الكتاب والسنّة

لا بدّ لـكلّ مسلم التسلیم لما جاء به الوحي {القرآن والسنّة} وعدم الخوض في الامور الغيّية التي لا مجال للعقل فيها، فلم يلغ دور العقل ولم يحکمه في جميع أموره كما فعل أهل الضلال. وإنما توزن الامور بموازين الشرع فما جاء به فهو حقّ وصدق ولا يمكن للعقل أن يخالف الصحيح المنقول عن الرسول صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: (وَإِنْ كَثِيرًا لَّيُضْلُلُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِلِينَ) [الأنعام: ١١٩].

يقول الإمام الغزالى: "فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبيّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرّف ولازم الاتّباع فلا تسلم الا به والسلام"<sup>(٢)</sup>. فمن أراد الهدایة يجب عليه الا يعارض الوحي بالعقل أو

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٢٩)، رقم ٤٦٠٧، وقال الالباني: صحيح

(٢) الغزالى، إحياء علوم الدين، (ج ١ / ص ٦٣)

الرأي ففي كل مسالة يقول رأيي كذا أو هذه المسألة بعقلي كذا، هذا كلّه يسّد عليه باب التوفيق للهداية.

رابعاً: قبول الحق بغض النظر عن قائله: فالحق مقبول لذاته من أي ملة كان والباطل مردود لذاته وإن كان من أهل ملتك والدليل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَّاَةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخْذَتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ إِذَا أَوْيَتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرُأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَكْ نَيْزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظُّ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُضْبِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup> فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق منه بالرغم من كذبه في أمور أخرى، فالحق يقبل من المسلم وغير المسلم سواء كان إنسياً أم جنّياً. وصعب على النفس قبول الحق من كل شخص، أو الرجوع عن الخطأ إلا من وفقه الله لذلك، قال بعض الصحابة: أقبل الحق من قاله وإن كان بغيضاً، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

الخامس: الحق لا يعرف بالرجال ولكن يعرف الرجال بالحق: التعصب للرجال يعمي عن معرفة الحق، فمن الناس من يقلد شيخاً أو عالماً ويأخذ كلّ كلامه على أنه حق. والحق ما وافق الكتاب والسنة من غير التفات إلى الشيخ أو المذهب أو الكثرة. قال عليّ رضي الله عنه "إِنَّ الْحَقَّ لَا يَعْرِفُ بِالرِّجَالِ اعْرِفُ الْحَقَّ تَعْرِفُ أَهْلَهُ". فلا نقول هذا حق لأنّ فلاناً قاله وإنّما نقول فلان على الحق الموافق للكتاب والسنة. وكلّ واحد يعرض كلامه على الكتاب والسنة بما وافقها فهو مقبول وما خالفها فهو مردود.

وقال مالك رحمه الله: "كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ إِلَّا صَاحِبُ هَذَا الْقُبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٢٣)، رقم ٣٢٧٥

(٢) السخاوي، المقاصد الحسنة ص: ٥١٣

\* قال تعالى: (رَبَّنَا لَا تُرْغِبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ) [آل عمران: ٨]

- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال سأله عائشة أم المؤمنين بأبي شئع  
كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يفتح صلاته إذا قام من الليل قال إذا قام من  
الليل افتح صلاته «اللهم رب حبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض  
عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه مِنْ  
الحق يا ذنوك إنك تهدي من شاء إلى صراط مُستقيم»<sup>(١)</sup>.

وهذا توسل إلى الله عز وجل بربوبيته لجبريل وميكائيل وإسرافيل، وهم من أشراف  
الملائكة، وقيل: إنه ذكر هؤلاء الثلاثة وتوسل إلى الله عز وجل بربوبيته لهم لأن جبريل موكل  
بالوحى الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأبدان، وإسرافيل  
موكل بالنفح في الصور الذي به الحياة بعد الموت والبعث بعد الموت، ثم بعد ذكر ربوبيته  
لجبريل وميكائيل وإسرافيل أثنى على الله عز وجل بما هو أهلها فقال: [فاطر السموات  
والأرض). يعني: فاطرهما وموجدهما. قوله: [عالم الغيب والشهادة) ] يعني: يعلم  
ما غاب وما خفي، ما كان علانةً وما كان سراً وخفياً، كما قال تعالى: يعلم خائنة الأعين  
وما تخفي الصدور [غافر: ١٩] يعلم السر وأخفى [طه: ٧]. قوله: [أنت تحكم بين عبادك  
فيما كانوا فيه يختلفون)]. يعني: أنت المرجع في الحكم، لا حكم إلا حكمك. والله عز وجل  
والله عز وجل يقول: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله [الشورى: ١٠]، ويقول عز  
وجل: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كُنْتُمْ تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك  
خير وأحسن تأويلا [النساء: ٥٩]. ثم بعد ذلك وصل إلى الغاية وهي السؤال؛ لأن هذا كله  
تمهيد وكله توطئة وكله تقديم بين يدي السؤال.

## ٢٠. سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة

قال تعالى: (وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحُقْقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ) [سورة العصر]

النجاة مطلب كل الناس، لكن القليل منهم من هداه الله ليسلك طريقها ويسعى لها سعيها، والكثير منهم من تكاسل عن السير وركن إلى الدنيا وشواغلها عن النجاة.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ..... إن السفينة لا تجري على الييس

قال ابن القيم: ”كمال الانسان إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح وهم المهدى ودين الحق وبتكامله لغيره في هذين الامرین كما قال تعالى: (وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحُقْقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ) [سورة العصر]

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيها: ”لو ما أنزل الله حجة على خلقه الا هذه

السورة لكتفهم“<sup>(١)</sup>.

في سورة العصر ين سبحانه وتعالى أن كل إنسان خاسر، واستثنى من الخسارة من كان فيه أربع صفات، اثنان في نفس العبد واثنان بينه وبين الناس:

**الصفة الاولى: الإيمان:** (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما يتبع ذلك من معرفة الله، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الاسلام بأدلة الشرعية. وهذا الذي يسأل عنه الانسان في قبره، وهذا العلم الذي يجب التصديق به بالقلب واعتقاده وهو الإيمان ولا يكفي الامع ما بعده وهو:

**الصفة الثانية: العمل الصالح:** (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، أي العمل الصالح فالإيمان من غير عمل كالشجرة من غير ثمر، فالإيمان عند السلف الصالحة اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. والادلة على ذلك من الكتاب والسنّة:

(١) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٣٠)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا آمَنًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَمَمْتُؤْمِنُ فُلُوْبِهِمْ) [المائدة: ٤١]، (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء: ١٢٤]، يزيد بالطاعة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيمَانَنَا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا) [الفتح: ٤] وينقص بالمعصية، عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ «لَا يَرْزَنِي الرَّازِنِي حِينَ يَرْزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْحَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَالْتَّوْبَةُ مَعْرُوفَةٌ بَعْدُ»<sup>(١)</sup>. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِلَيْكُمْ بِضُعْ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضُعْ وَسَتُّونَ شَعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدَنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وصلاح القلب إنما يكون بامتلائه بالعقائد الصحيحة، فإذا أشرب القلب الحقائق  
الإيمانية كان قلبا سليما مندفعا إلى كل ما يرضي ربّه.

الصفة الثالثة: التواصي بالحق: (وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ) أي الدعوة إليه، وهذا هو أساس دعوة الانبياء والرسل التي أرسلا من أجلها قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنْ قَوْلًا مِنْ دُعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣]

وكذلك أتباعهم، فوظيفة الداعية في أعلى مراتب الشرف، إذ أنها تبلغ دعوة الله تعالى، ومتابعة مهمّة الرسل، والسير على طريقهم، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ بَصِيرَةٌ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨]

وبيّن تعالى أن الفلاح في الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: ٤٠]، عن عبد الله بن عمرو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «بَلْغُوا عَنِي وَلَوْ آتَيْ

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٥)، رقم ٢١٧

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٤٦)، رقم ١٦٢

وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ مُتَعَمِّدًا فَلْيَبْرُوْا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

**الصفة الرابعة: التواصي بالصبر على الاذى فيه:** (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) في الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من حصول اذى لأنّ أهل الباطل المعاندين يؤذون من يدعوا إلى الله، لذلك أوصى ربنا بالصبر على الحق وتبلیغه فقال تعالى: (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) [المدثر: ٧] فمن قام الله حتى أوذى في الله حرم الله عليه الانتقام لنفسه، لأن الله تعالى قد اشتري منه نفسه وماليه وعرضه بأعظم الثمن فإن أراد أن يسلم إليه الثمن فليسلم هو السلعة ليستحق ثمنها، فلا حق له على من آذاه، ولا شيء له قبله، إن كان قد رضي بعقد هذا التبایع، فإنه قد وقع أجره على الله. فلا يتصرّ لنفسه عند الاذى، ولا يطلب تعويضاً ماله وعرضه كما قال لقمان لابنه، (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان: ١٧] إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور، يقول: مما أمر الله به من الأمور. ولذلك لم ينتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه عندما فتح مكة، فعفا عنهم وقال اذهبوا فانتم الطلقاء ولم يرد على الصحابة اموالهم التي نهبتها قريش لأنهم تركوها الله.

والصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها وصبر على الأقدار والاقضية حتى لا يتسلطها وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في فتوح الغيب: "لا بد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه"<sup>(٢)</sup>

**فالاول: صبر على الأوامر والطاعات:** بأن يؤدي الانسان ما أمر الله تعالى به، وإن كان فيه مشقة عليه، وإن كانت نفسه ت يريد الراحة فإنه يصبر، فيقوم للصلوات الخمس وصلاة الليل ويترك النوم، ويصوم ويترك الطعام والشراب، ويتصدق طاعة الله سبحانه وتعالى، وي jihad في سبيل الله ويصبر على ملاقاۃ الاعداء.

**الثاني: صبر عن المناهي والمخالفات:** فيتجنب ما نهى الله تعالى عنه، والنفس تنزعه تريد

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٧٤)، رقم ٣٤٦١

(٢) ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٢٨

الشهوات المحرّمة، وكذلك شياطين الانس والجحّ يدعونه ويرغّبونه ويحسّنون له القبيح، فهو يصبر على حبسها عنها وإمساكها عما يدعو إليه أهلسوء.

والثالث: صبرٌ على الاقدار والاقضية: فإن أصابهه مرض أو أصابته مصيبة في ماله أو ولده أو في قريبه فإنه يصبر ولا يجزع، هذا من الآيات بالله، قال تعالى: (وَلَنَبُلوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحُوْفِ وَالْجُوْعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧]، يعرفون أنّ هذا من الله، وأنّه بقضاء الله وقدره، فلا يجزعون ولا يتخطّون.

\* \* قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَأَبِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

[آل عمران: ٢٠٠]

قال النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرٌ حَمْسِينَ مِنْكُمْ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : بَلْ مِنْكُمْ»<sup>(٣)</sup>  
 أي: من ورائكم أيامًا يُحْمَد فيها الصبر عن المحارم فمن صَبَرَ في تلك الأيام كان كمن قبضَ على الجمرة، او صلَّى الله عليه وسلم بالصبر والتمسك في الدين في أيام الفتنة وبين عظيم الأجر عليه، لقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠]  
 وعن عائشة، أنّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجُنَاحَ وَمَا قَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ فَضَيْهُ لِي خَيْرًا»<sup>(٤)</sup>

(٣) السلسلة الصحيحة، (ج / ١ / ص ٨٩٢)، رقم ٤٩٤

(٤) سنن ابن ماجه، (ج / ٢ / ص ١٢٦٤)، رقم ٣٨٤٦، وقال الالباني: صحيح

## ٢١. العلم النافع

قال تعالى: (أَمْ مَنْ هُوَ قَاتُّ آنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَاتِمًا يَخْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٩]

إن شرف العلم من شرف المعلوم، وإن أشرف العلوم ثلاثة يسأل عنها الانسان في قبره وهو بحاجة إلى معرفتها في الدنيا ليجيب عنها عند سؤال الملكين له في قبره وهي:

من ربّك؟، وما دينك؟، ومن نبيّك؟

كما في حديث البراء بن عازب الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم ... « وَيَأْتِيهِ مَلَكًا فِي جِلْسَانِهِ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعِثْتَ فِيْكُمْ قَالَ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَّا تُبَهِّ وَصَدَّقْتُ » وإن الكافر... فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: « وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكًا فِي جِلْسَانِهِ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعِثْتَ فِيْكُمْ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي »<sup>(١)</sup>

من هذا الحديث يتبيّن أنّ أصول العلم الشرعي هي معرفة المرسل والرسول والرسالة أي أن يكون المسلم على معرفة بالله، ومعرفة بنبئه صلّى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الاسلام بالادلة، وهذا هو الميراث النبوي، وإن العلماء هم ورثة الانبياء الذين ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظّ وافر، ومن سلك طريقة يطلب به علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وأهل العلم هم أخشى الناس لله وأقربهم منه وأعلاهم منزلة في الدنيا والآخرة. ومعنى معرفة الله: أن يتعرّف العبد على ربّه بما تعرّف به إلينا في كتابه وعلى لسان رسوله -صلّى الله عليه وسلم- من أسمائه وصفاته وأفعاله. والانسان لا يكون على حقيقة من دينه الا بالعلم بربّه، وهذا كان أساس دعوة الرسول عليهم الصلاة والسلام، معرفة الله بأسمائه

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٨٣)، رقم ٤٧٥٥، وقال الالباني: صحيح

وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رحمه الله: "مفتاح الدعوة الالهية، معرفة الرب تعالى"<sup>(١)</sup>  
وهذه المعرفة تؤدي إلى:

أولاً: رفع الجهل والقرب من الله تعالى: فالجهل يحجب العبد عن ربّه ويبعده عنه،  
يقول الغزالي: "إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة له إليه هو العلم  
والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله"<sup>(٢)</sup>

ثانياً: تعظيم الله تعالى ومحبّته: ولا يعظّم الله حقّ تعظيمه من هو جاهم بأسمائه وصفاته  
ومعرفة الله أحد مهمّات الدين، والجهل به سبّحانه من التفريط في أمور الدين، قال ابن  
القيّم رحمه الله: "وقد ذم الله تعالى من لم يعظّمه حقّ عظمته ولا عرفه حقّ معرفته ولا  
ووصفه حقّ صفتة فقال تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا)" [نوح: ١٣]<sup>(٣)</sup>

ومن سلك الطريق الموصى إليه تعالى، سلك طريق معرفته، وعلى قدر معرفة الله  
يكون تعظيم الرب في القلب، ومن عرف الله أحبّه، قال ابن القيم رحمه الله: "من عرف  
الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبّه لا محالة"<sup>(٤)</sup>

ثالثاً: صلاح القلوب بمعرفة الله: يقول ابن رجب الحنبلي: "فلا صلاح للقلوب حتى تستقر  
فيها معرفة الله وعظمته ومحبّته وخشيتُه ومهابته ورجاؤه والتوكُل عليه، ومتلىء من ذلك،  
وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها  
الذي تأله وترى وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له، ولو كان في السماوات والارض  
إِلَهٌ يُؤْلَهُ سوى الله، لفسدت بذلك السماوات والارض، كما قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا  
اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢]<sup>(٥)</sup>

(١) الصواعق المرسلة، (ج ١ / ص ١٥١)

(٢) احياء علوم الدين، (ج ٤ / ص ٢٠)

(٣) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ٤٩٥)

(٤) مدارج السالكين، (ج ٣ / ص ١٧)

(٥) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (ج ١ / ص ٧٥)

رابعاً: معرفة الله سبب السعادة في الدارين: فلا سعادة ولا فلاح للعبد إلا بمعرفة ربّه  
 قال شيخ الاسلام رحمه الله: "اللذة والفرحة، والسرور وطيب الوقت، والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والايمان به"<sup>(١)</sup>  
 «فإنه من ذاق حلاوة معرفة الله والقرب منه، والانس به لم يكن له أمل في غيره، وإن تعلق أمله بسواء، فهو لإعانته على مرضاته ومحابيه، فهو يؤمّله لأجله، ولا يؤمّله معه»<sup>(٢)</sup>  
 يقول الامام الغزالى رحمه الله: «إن مقصد الشرائع كلّها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وإنّه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الاشارة بقوله تعالى (وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون) أي ليكونوا عباداً ليكون العبد عبداً ملماً يعرف ربّه بالربوبيّة ونفسه بالعبوديّة ولا بدّ أن يعرف نفسه وربّه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء»<sup>(٣)</sup>

\*\*\* عن عائشة، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذِكْرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»<sup>(٤)</sup>

قوم عرفوا الله بأسمائه وصفاته وافعاله فأحبوه فمن تعالي عليهم بحبه لهم.  
 اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك اللهم  
 اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي ومن الماء البارد على الظماء.

(١) الفتاوى، (ج ٢٨ / ص ٣١)

(٢) مدارج السالكين، (ج ٣ / ص ٩٣)

(٣) إحياء علوم الدين، (ج ٤ / ص ١٩)

(٤) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٢٠٠)، رقم ١٩٢٦

## ٢٢. العلم بالاسماء الحسني

قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: ٢٤].

لو سألنا هذا السؤال لكل مسلم، كم اسمًا يعرف من أسماء الله الحسني، وكم معنىًّا يعلم من معانيها؟

سوف يختلف الناس في الإجابة، وعلى قدر علمهم بها وشهاد قلوبهم لها تكون معرفتهم بربهم، وتعظيمهم له، ومحبّتهم منه، وحبّهم له.

العلم بالاسماء الحسني أصل كل معلوم، فكل المعلومات سواء إما أن تكون خلقاً له، أو أمراً من عنده بما شرعه. ومصدر الخلق والامر صادر عن اسمائه الحسني، فهو المحمود على خلقه وهو المحمود على أمره حمد شكر وعبودية وحمد ثناء ومدح ويعجمها التبارك ولذلك ذكر هذه الكلمة عقب الخلق والامر، فقال تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ) [الأعراف: ٥٤] وفي الاستفتاح {وتبارك اسمك}

ويكفي العبد شرفاً معرفته بالاسماء الحسني وجعل الله تعالى الجنة جزءاً من أحصاها كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً الْأَوَّلَ حَدَّدَهُ وَالْآخِرَاتُ مَوْلَانَا»<sup>(١)</sup>

يقول ابن القيم: "مراتب إحصاء اسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح."

المরتبة الاولى: إحصاء ألفاظها وعددتها

المরتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها

المরتبة الثالثة: دعاوه بها كما قال تعالى: (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١٩٨)، رقم ٢٧٣٦

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيْجُزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١٨٠]، وهو مرتبان إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة: فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل إلا بها... يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. فدعاء الله بها مرتبط بحال العبد ومطلبه وما يناسب حاجته فالضعف يدعو الله باسمه القادر المقدّر القويّ، والفقير يدعوه باسمه الرّازق الرّزاق الغنيّ والمقهور المظلوم يدعوه باسمه الحيّ القيّوم، إلى غير ذلك مما يناسب أحوال العباد. ولا تخرج عنّا أظهر لهم من أسمائه الحسنى. ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا<sup>(١)</sup>

فأعرف خلقه به وأحبّهم له صلّى الله عليه وسلم يقول: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٢)</sup>، ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصافكم كالملاك لاستدعت منه المحبّة التامة عليها، وهل مع المحبّين محبّة إلا من آثار صفاتكم له... وإنّها تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبّته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به. فأعرفهم بالله أشدّهم حباً له، ولهذا كانت رسالته أعظم الناس حباً له من غيره والخليلان {إبراهيم ومحمد صلّى الله عليهما وسلم} من بينهم أعظمهم حباً، وأعرف الأمة به أشدّهم له حباً، ولهذا كان المنكرون لحبّه من أجهل الخلق به<sup>(٣)</sup>. فمن عرف أسماء الله وصفاته وأفعاله وشاهدها بقلبه تقلب في رياض هذه المعرفة وأحبّه لا محالة.

ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، فهو محسن يحب المحسنين شكور يحب الشاكرين جليل يحب الجمال طيب يحب كل طيب... رحيم يحب الرحماء وترحب به الوتر ويحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها

(١) ابن القيم، بداع الفوائد، (ج ٢ / ص ٢٧٥)

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٥١)، رقم ١١١٨

(٣) طريق المجرتين وباب السعادتين، ص ٣١٨

ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثنى عليه بها ويحمده ويمدحه بها كما في الصحيح عن النبي لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أثني على نفسه ولا أحد غير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وفي حديث آخر صحيح لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ولحبيته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجتها ومقتضاها فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو الجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكرا والحلم والأناة والتثبت ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها فإنما أغض من اتصف بالكفر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحده، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكرا فإنها لا تناهى العبودية، بل اتصف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ يَبْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الاسراء: ١١٠]

عن ابن مسعود، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما قال أحد قط إذا أصابه هم أو حزن اللهم إني عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيديك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمنه أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدل م مكان حزنه فرحا، قالوا : يا

زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

رسول الله يُبَغِّي لَنَا أَن نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلُ، لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَن يَتَعَلَّمَهُنَّ»<sup>(١)</sup>

هذا الدعاء يتضمن أربعة أسباب لنيل السعادة وزوال الهم والغم والحزن

الأول: فهو تحقيق العبودية لله و تمام الانكسار بين يديه، والخضوع له واعترافه بأنّه مخلوق لله مملوكٌ له هو وآباؤه وأمهاته، «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمِّكَ» فالكلٌ ماليك الله، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

وأمّا الأصل الثاني: ايمان العبد بقضاء الله وقدره، وأنّ ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن، وأنّه سبحانه لا مُعَقِّبٌ لحكمه ولا رادٌ لقضائه «ناصيتي بيديك، ماضٍ في حُكمك، عَدْلٌ في قضاياك» يتناول جميع أقضيته سبحانه في عبده من كُلِ الوجوه، من صحة وسُقم، وغُنى وفقر، ولذة وألم، وحياة وموت، وعقوبة وتجاوز وغير ذلك، فكُلُّ ما يقضي على العبد فهو عَدْلٌ فيه (وما رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ)

الثالث: الإيمان بأسماء الله وصفاته كُلُّها ما عَلِمَ العبد منها وما لم يعلم، وهذا أحّبُّ الوسائل إلى الله سبحانه، {وَاللهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}، وهو أعظم ما يطُرُّدُ الهمَّ والحزنَ والغمَّ لهذا قال: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لِكَ سَمِّيَّتْ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»

والأصل الرابع: هو الإيمان بالقرآن الكريم، المستعمل على الهدایة والشفاء والکفایة والعافية فهو شفاء الابدان من الاسقام وشفاء القلوب من الهم والغم والحزن وفيه الطمأنينة وراحة الصدر لهذا قال في هذا الدعاء: «أَن تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْيَعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حَزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي». ومن آمن بهذه الأسباب وسعى في تحقيقها نال موعد الله الكريم وفضله العظيم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم «إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حَزْنِهِ فَرْحًا»<sup>(٢)</sup>

(١) السلسلة الصحيحة، (ج ١ / ص ٣٨٣)، رقم ٣٥٢٨، قال الالباني : صحيح

(٢) ينظر، البدر، فقه الادعية والاذكار، (ج ١ / ص ١٨٦)

## ٢٣. معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله

قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يُعْلَمُ مُتَقَلَّبُكُمْ وَمَثُواكُمْ) [محمد: ١٩].

لا إله إلا الله : هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والاسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الكلمة الطيبة، وهي مفتاح دعوة الرسل وحاجتها من قالها دخل الاسلام وعصم دمه وماليه ومن ختم بها حياته عند الموت دخل الجنة قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]

وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وهي الكلمة التي نجى الله تعالى بها يونس من بطن الحوت عندما قال لا إله إلا أنت سبحانه إنّي كنت من الظالمين، وهي الكلمة قامت بها الأرض والسماءات، وخلقـت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسـله وأنزل كتبـه وشرع شـرائعـه، وأجلـلـها نصـبتـ المـوازـين ووضـعـتـ الدـدواـين وقام سـوقـ الجـنـةـ والنـارـ، وبـها انـقـسـمتـ الخـلـيقـةـ إـلـىـ مؤـمنـينـ وكـفـارـ، فـهيـ منـشـأـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ وـالـثـوـابـ وـالـعـقـابـ، وـعـلـيـهاـ نـصـبـتـ الـقـبـلـةـ، وـعـلـيـهاـ أـسـسـتـ الـمـلـلـةـ، وـأـجـلـلـهاـ جـرـدتـ سـيـوـفـ الـجـهـادـ، وـهـيـ حـقـ اللهـ عـلـىـ جـمـيعـ الـعـبـادـ، فـهـيـ كـلـمـةـ الـاسـلامـ، وـمـفـاتـحـ دـارـ السـلامـ، وـعـنـهـ يـسـأـلـ الـأـوـلـونـ وـالـآخـرـونـ، فـلـاـ تـرـوـلـ قـدـمـاـ الـعـبـدـ بـيـنـ يـدـيـ اللهـ حـتـىـ يـسـأـلـ عـنـ مـسـالـتـينـ: {مـاـذـاـ كـتـمـ تـعـبـدـونـ، وـمـاـذـاـ أـجـبـتـمـ الـمـرـسـلـيـنـ}، وـجـوابـ الـأـوـلـىـ بـتـحـقـيقـ لـإـلـهـ إـلـاـ اللهـ مـعـرـفـةـ وـإـقـرـارـاـ وـعـمـلاـ، وـجـوابـ الـثـانـيـ بـتـحـقـيقـ مـحـمـدـ رـسـولـ اللهـ مـعـرـفـةـ وـانـقـيـادـاـ وـطـاعـةـ<sup>(١)</sup>

وهـذـهـ الـكـلـمـةـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ رـكـنـيـنـ: نـفـيـ وـإـثـبـاتـ.

فالـنـفـيـ هـوـ قـوـلـنـاـ «ـلـاـ إـلـهـ»ـ وـالـإـثـبـاتـ هـوـ قـوـلـنـاـ «ـإـلـاـ اللهـ»ـ

فـ «لا إله» نفي جميع ما يعبد من دون الله تعالى، «والا الله»: إثبات جميع أنواع العبادة لله رب العالمين وحده لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في ملكه، وربوبيته، وفيها إذن براءة من كلّ ما يعبد من دون الله تبارك وتعالى، وفيها تحقيق العبودية لله وحده.

وذلك يعني أن لا معبد بحقّ الا الله. وقد جاء معنى الكلمة العظيمة في آيات كثيرة من كتاب الله قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوهُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْكُكَذِبِينَ) [النحل: ٣٦] فقوله تعالى: (أن اعبدوا الله) هو معنى قوله «الا الله» وقوله: (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) هو معنى قوله «لا إله»

"الطاغوت": كلّ ما تجاوز به العبد حدّه من معبد أو متبع أو مطاع. فطاغوت كلّ قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم إذا تأمّلتها وتأمّلت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامّة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد<sup>(١)</sup>

والعبادة باعتبار ما أمر الله به: اسم جامع لكلّ ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولذلك قال الله تعالى لنبيه: (فُلْ إِنْ صَلَاتِي وَسُكْيِي وَمَحِيَّيِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢]، فالأعمال الصالحة كلّها عبادة خالصة لله تبارك وتعالى لا حظّ لغيره فيها لا من الملائكة المقربين ولا من الانبياء المرسلين ولا من الأولياء الصالحين ولا من غيرهم وهو تعالى يجزي عليها برحمته وفضله.

فلا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من أن يكون المتكلم بها عارفاً لمعناها، عملاً بمقتضها

(١) ابن القيم، اعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج ١ / ص ٥٠)

باطنا وظاهرا، ولا بد من العلم واليقين بمدلولها كما قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). [محمد ١٩] قوله: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف ٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بها تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح غير نافع بالإجماع.

يقول ابن رجب: ”تحقيق هذا المعنى وإياضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، وإنما هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوکلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا الله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك ... وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكما له“<sup>(١)</sup>

\* \* قال تعالى: (تَسْجَدُ فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمُضَارِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [السجدة: ١٦]

عن عبادة بن الصامت، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دُعَا، اسْتُحِيْبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبْلَتْ صَلَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

التوحيد هو روح الإسلام فمن لم يعرف التوحيد لم يعرف الإسلام وانما حظ المسلم من إسلامه بقدر حظه من كلمة التوحيد، فبقدر استقرار كلمة التوحيد واسرارها في القلب تخرج ثمراتها في القول والعمل والحال في العبادات والمعاملات والأخلاق.

(١) ابن رجب، كلمة الإخلاص، (ص: ٢٣)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٥٤)، رقم ١١٥٤

## ٤٤. أركان التوحيد

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنباء: ٢٥]

لقد خلق الله الخلق لغاية عظيمة وهي عبادته وحده لا شريك له، فقال عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالإِنْسَانَ إِلَّا لِعِبْدِهِ) [الذاريات: ٥٦]، أي: خلقهم لعبادته وحده ونهاهم عن عبادة كُلّ مَنْ سواه، والعبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد، والتوحيد أساس العبادة وأوجب ما يجب على العبد معرفته والتسليم له، وضد الشرك الذي إذا خالط العبادة أحبط العمل حتى وإن كان عمل الانبياء قال تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَيْتَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [ال Zimmerman: ٦٥]، والشرك هو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى الا بالتوبة منه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنْهَا عَظِيمًا) [النساء: ٤٨]

والتوحيد هو حق الله على العبيد وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً عن معاذبٍ جَلَّ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعاذِ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْءًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذَّبُهُمْ»<sup>(١)</sup>

وللتوحيد ثلاثة أركان: توحيد الربوبية، وتوحيد الالوهية، وتوحيد الاسماء والصفات.

أولاً: توحيد الربوبية: فعل الرب: وهو الاقرار بأنّ الله سبحانه وتعالى رب العالمين خالق كل شيء ومالكه ورازقه ومدير أمره وهو المحيي الميت قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدْبِرَ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقْلَ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١١٤)، رقم ٧٣٧٣

الحق فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّالُّ فَأَنَّى تُضَرِّفُونَ] [يونس: ٣٢-٣١]، وقد أفرّ به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يدخلهم في الاسلام وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحلّ دماءهم وأموالهم.

ثانياً: توحيد الالوهية: ويقال توحيد العبادة وتوحيد الارادة والقصد وتوحيد الطلب وهو فعل العبد: وهو إخلاص التأله لله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والندر والنحر والرجاء والخوف والتوكّل والرغبة والرهبة والانابة ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسلاً، فضلاً عن غيرهما. وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥]

وتوحيد الألوهية أول ما دعا إليه الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأن الناس مcroftون بالربوبية لله وحده قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْنا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّالَّةُ) [النحل: ٣٦]

وأول ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس إليه، عن ابن عباس يقول: لمابعثَ النبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلَ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَيْكُنْ أَوْلُ مَا تَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَسْنَ صَلَواتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْتَهُمْ، فَإِذَا صَلَوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاءً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ عَنِيهِمْ فَتَرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَوْا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>

والادلة متظاهرة في الكتاب والسنّة على وجوب الاخلاص لله ونفي الشريك معه في العبادات، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يُبَدِّلُوا اللَّهَ تُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ) [البيعة: ٥]

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٥١)، رقم ١٩

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ويقال توحيد الخبر وتوحيد المعرفة والآيات: وهو الإيمان بأن له الكمال المطلق له الأسماء الحسنة والصفات العلى كما وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تكليف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، قال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه: ٨]

كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكليف عنها في كتابه في غير موضع فقال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، ففي قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد للإلحاد والتعطيل. وتضمنت سورة الإخلاص للتوحيد القولي والعملي، (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) [الإخلاص ١-٤]، و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة.

وتضمنت سورة الناس مقامات التوحيد الثلاثة قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) [الناس ١ - ٣]، فالرب هو الذي يخلق وينعم، والملك من أسمائه الحسنة، وأفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته وهو الذي يأمر وينهى ويخصم، والإله هو المعبود والله تعالى هو المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره، فمن أكمل هذه المقامات الثلاثة أتم دين الإسلام يقول ابن القيم : ”وهذه المقامات الثلاث هي أركان التوحيد: أن لا يتخد سواه ربًا، ولا إلها، ولا غيره حكمًا“<sup>(١)</sup>. فهو يخلق وينعم ويوامر وينهى ويخصم ويعبد ولا شريك له في كل ذلك، والكون كله آيات بينات شاهدة على توحيد ناطقة بحمده، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافُ الْسِّتَّكُمْ وَآلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِلْعَالَمِينَ) [الروم: ٢٢]<sup>(٢)</sup>

(١) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ١٧٩)

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، (ج ١ / ص ٢٢٥)

قال ابو العتاهية:

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصِي الَّهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحُدُهُ الْجَاحِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدْلُّ عَلَى أَنْهُ وَاحِدٌ

\* قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهَتَّدُونَ)

[الأنعم: ٨٢]، أي لهم الأمان في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَّلَتْ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شَقَّ  
ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا لَا يَظْلِمُنَا نَفْسَهُ قَالَ «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشَّرُكُ  
أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظِهُ (يَا بْنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)»<sup>(١)</sup>  
عَنْ أَنَّسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَتَرَكُهُ اللَّهُ،  
وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، فَإِمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرُكُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَإِمَّا الظُّلْمُ  
الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَإِمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتَرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ فَيَقْتَصُ  
الَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»<sup>(٢)</sup>

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ: «لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،  
وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقتَ، وَلَا تَتَرَكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا، فَقَدْ بَرِئَتْ  
مِنْهُ الذِّمَّةُ، وَلَا تَشْرِبُ الْحَمْرَ، فَإِنَّمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج / ٤، ص ١٦٣)، رقم ٣٤٢٩

(٢) صحيح الجامع الصغير، (ج ٢ / ص ٧٤٢، ٣٩٦١)، الصحيح، (ج ٤ / ص ٥٦٠)، ١٩٣٧.

(٣) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٣٣٩)، رقم ٤٠٣٤، قال الالباني: حسن

## ٢٥. آية الكرسي

قال تعالى: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) [البقرة: ٢٥٥]

هذه الآية أعظم آية في كتاب الله وتضمّنت التوحيد والصفات العلي، وفيها اسم الله الأعظم الذي تجاذب به الدعوات، وتفرج به الكربات، وفيها مغفرة الذنوب ودخول الجنة وهي خمسون كلمة، وفي كلّ كلمة خمسون بركة، وهي تعدل ثلث القرآن.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَئِيْ أَيَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَئِيْ أَيَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ «وَاللَّهِ لِيَهُنَّكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»<sup>(١)</sup>

فيها اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به اجاب و اذا سئل به اعطي، عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَّ بِهِ أَجَابَ، فِي سُورَةِ ثَلَاثَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عُمَرَانَ، وَطَهِ» قال الْقَاسِمُ أبو عبد الرحمن: فالتمسّتها فوجدت في «سورة البقرة» آية الكرسي: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وفي «سورة آل عمران» فاتحتها: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وفي «سورة طه» (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)<sup>(٢)</sup>

وفيها مغفرة الذنوب قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٩٩)، رقم ١٩٢١

(٢) السلسلة الصحيحة، (ج ٣ / ص ٣٧١)، رقم ٧٤٦

هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفرَانًا وَإِنْ كَانَ فَرَّارًا مِنَ الرَّحْفِ<sup>(١)</sup>

ومن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وهي مشتملة على عشر جمل، كل جملة لها معنى عظيم جداً.

(اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) - وهو إخبار بأنه تعالى هو المتفرق بالالوهية لجميع خلقه ولا أحد يستحق هذا الوصف الا الله سبحانه وتعالى وهو الذي يستحق أن يعبد دون سواه، والاله بمعنى مألوه، والمألوه بمعنى المعبد حبّاً، ورجاء وخوفاً وتعظيمها.

(الْحَيُّ الْقَيُّومُ) - هذان اسماي من أسمائه تعالى، وهما جامعان لكمال الاوصاف، والاعمال، فكمال الاوصاف في (الحيّ)، وكمال الاعمال في (القيوم)، لأنّ معنى (الحيّ) ذو الحياة الكاملة الحيّ في نفسه لا يموت أبداً، ويدلّ على ذلك «ال» المفيدة للاستغراب. و(القيوم): أصلها من القيام، وزن قيّوم فيقول؛ وهي صيغة مبالغة، فهو القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه، والقائم على غيره فكلّ أحد يحتاج إليه، وهو القائم بتدبیر أمر عباده، يكلوهم ويحفظهم ويرعاهم ويرزقهم، ولا قوام للمخلوقات بدون أمره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥] (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةً وَلَا نَوْمً) - لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، ومن تمام القيومة أن لا يعتريه سنة ولا نوم، لأنّ اعتراء النعاس والوسن دليل على العجز والضعف.

(اللهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) - وهو إخبار بأنّ جميع من في الكون عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه، وهو المتصرف بشؤونهم، الحافظ لوجودهم.

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) - ومن عظمته، جل شأنه وعلا، لا يجرؤ أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا إذا أذن له بالشفاعة، فالنبيّ صلّى الله عليه وسلم يوم القيمة وهو

(١) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٥٦٠)، رقم ١٥١٩، وقال الألباني: صحيح.

أعظم الناس جاها عند الله، ومع ذلك لا يشفع الا بإذن الله لكمال سلطانه جل وعلا، وهبته، وكلما كمل السلطان صار أهيب للملك، وأعظم، حتى إن الناس لا يتكلّمون في مجلسه الا إذا تكلّم وأذن بالكلام.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ) - وهذا دليل على إحاطته علما بكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو يعلم أمور الدنيا التي خلفوها، وأمور الآخرة التي يستقبلونها. (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) ولا يطلع أحد من خلقه على شيء من علم الله الا ما علّمه الله، وأطلعه عليه، وأذن له به. ولا يعرف إذنه تعالى الا بالوحى منه.

(وَسَعَ كُرْسِيُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) - والكرسيّ غير العرش، وهو أصغر منه. قال صلى الله عليه وسلم «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقة بأرض فلة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»<sup>(١)</sup>

(وَلَا يُؤْوِدُهُ حِفْظُهُمْ) - ولا يعجزه حفظ السموات والارض وما فيها وما بينها بل هو سهل عليه يسير، فلا يعزب عن علمه شيء، ولا يغيب عنه شيء.

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) - العلي الذي ليس فوقه شيء والقاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير<sup>(٢)</sup>

آية الكرسي تعرف العبد بربه بذكر اسمائه وصفاته وتذكره بعظمته وقدره وترفرده بالملك والربوبية والألوهية في الدنيا والآخرة، فتتعلق القلوب به حبا وخوفا ورجاءً.

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ : لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرًا إِلَيْهِ الْبَحْرِ، قَالَ : أَلَا تُحَدِّثُنِي بِأَعْجَيِّ مَا رَأَيْتُ بِأَرْضِ الْجَبَشِ ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسُ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَاثِرِ رَهَابِنِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتَّيَنِهِمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّةُهَا، فَلَمَّا

(١) الالباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، (ج ١ / ص ٢٢٣)، رقم ١٠٩

(٢) الجزائري، أيسر التفاسير لكتاب العلی الكبير، (ج ١ / ص ٢٩٣)

اِرْتَفَعَتِ التَّقَنَّتُ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا عُذْرٌ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرَيْتَ وَأَمْرُوكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «صَدَقْتُ، صَدَقْتُ كَيْفَ يَقْدِسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَؤْخُذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»<sup>(١)</sup>

\* \* \* عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبِرَ كُلَّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»<sup>(٢)</sup>.

عن أنس بن مالك، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيلُكَ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيْوُمْ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغْيِثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»<sup>(٣)</sup>

اعظم آية في القرآن، ليس في القرآن آية تضمنت ما تضمنته آية الكرسي فيها اعظم اجر وهو مغفرة الذنوب ودخول الجنة، وفيها الاجارة من الشيطان وكيده، وفيها الحفظ من الجن ومكرهم، من قرأها غدوة أجير من الشيطان حتى يمسى، ومن قرأها حين يمسى أجير من الشيطان حتى يصبح، ومن قرأها عند النوم لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وقد ورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: "ما أرى احدا يعقل بلغة الاسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخراتيم سورة البقرة، فاما من كنز تحت العرش"<sup>(٤)</sup>

اعظم آية في القرآن فيها اعظم اجر وهو مغفرة الذنوب ودخول الجنة فلا تغفل عنها وقل «يَا حَيُّ يَا قَيْوُمْ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغْيِثُ»

(١) سنن ابن ماجه، (ج / ٥ / ص ١٤٣)، رقم ٤٠١٠ وقال الالباني: حسن

(٢) صحيح الجامع الصغير، (ج / ٢ / ص ٧٣)، رقم ٦٤٦٤، وقال الالباني: صحيح

(٣) المستدرك على الصحيحين، (ج / ١ / ص ٧٣٠)، رقم ٢٠٠٠ وقال: صحيح على شرط الشیخین

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج / ١ / ص ٧٣٥)

## ٢٦. العبودية

قال تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُونِ) [العنكبوت: ٥٦]

ما هي أفضل صفة يتتصف بها الانسان عند ربّه؟

أفضل صفة يتتصف بها الانسان هي أن يكون عبداً لله تعالى. فكيف يكون المسلم عبداً لخالقه ورازقه ومربيه بالنعم؟

العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

فال العبودية العامة: عبودية أهل السماوات والارض كلّهم الله، بربّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا) [مريم: ٩٣]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: العبودية الخاصة وهي عبودية الطاعة والمحبة، واتّباع الاوامر قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُحُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا) [الفرقان: ٦٣]

فالخلق كلّهم عبيد ربّيته. فهم محتاجون إلى نعمه ورعايته ورزقه وحفظه. وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته و هوؤلاء محبوّن له أذلاء له مطيعون محتاجون لقربه.

وقد وصف تعالى صفة خلقه الانبياء والمرسلين بصفة العبودية. فقال تعالى: (وَإِذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) [ص: ٤٥]

ووصف أكرم خلقه عليه النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلم، وأعلاهم عنده منزلة بالعبودية في أشرف مقاماته، فذكره بصفة العبودية في مقام إنزال الكتاب والاسراء فقال تبارك وتعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) [الفرقان: ١] (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) [الاسراء: ١]

ووصف بصفة العبودية خواص خلقه من غير الانبياء والرسل وجعل الله سبحانه وتعالى البشارة المطلقة لهم فقال تعالى (فَيُشَرِّ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ). [الزمر: ١٧-١٨] وجعل لهم الامن

الاتام فقال تعالى: (يَا عِبَادِ لَا خُوفُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُنُونَ) [الزخرف: ٦٨]  
وعزل الشيطان عن سلطانه عليهم خاصة، وجعل سلطانه على من تولاه وأشرك به،  
قال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) [الحجر: ٤٢]

ومن أراد أن يكون عبداً لله فعليه أن يتأمل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْفَقَرَاءُ  
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥] «فهذه الآية تورث العبد علمين شريفين،  
تعرفُ الإنسان بنفسه وتعرفه بربه، فيعتقد أنَّ له الفقر التام ولربه الغنى التام، فيستحيل  
أن يكون العبد الا فقيراً، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه الا غنياً، كما أنه يستحيل أن  
يكون العبد الا عبداً والرب الا رباً»<sup>(١)</sup>

وثمرة هذين العلمين: أن لا تشهد لنفسك ملكاً مع الله فالمملوك لله وأنت موكل  
بعضه، وأن لا تشهد لك عملاً ينجيك يوم القيمة الا طلب رحمة الله، فأنت فقير إلى الله،  
لأنك لا تملك شيئاً وأنك فقير إلى رحمة الله سبحانه وتعالى لأنَّ عملك لا ينجيك يوم  
القيمة، فلو حصل بيد هذا العبد من الأموال والأسباب ما حصل لم ير له فيها شيئاً، بل  
يراه كالوديعة في يده، وأنها أموال سيده وخزائنه ونعمه بيد عبده، مستودعاً متصرفاً فيها  
لسيده لا لنفسه، كما قال عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه: «مَا أُعْطِيْكُمْ وَلَا أُمْنَعُكُمْ  
إِنَّمَا أَنَا قَارِئٌ أَصْبَعُ حَيْثُ أَمْرُتُ»<sup>(٢)</sup>، فهو متصرف في تلك الخزائن تصرف العبد المحسوس.  
ونفي النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخول الجنة بالعمل، فعن عائشة عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّمَا لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الجنةَ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنَا  
رَسُولُ اللهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»<sup>(٣)</sup>

وكان النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقربُ الخلقِ إلى اللهِ وسيلةً وأعظمُهم عندَه جاهًا

(١) ينظر، طريق المجرتين وباب السعادتين، ص ٢٢-٢٣

(٢) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ٨٥)، رقم ٣١١٧

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٩٨)، رقم ٦٤٦٧

وأرفعهم عنده منزلة، لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربّه عزّ وجلّ، وكان: «يُقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>.  
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدَنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاتِكُمْ، لَا يَسْتَهِنُنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ قَوْلًا «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارِكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»<sup>(٣)</sup>، فَهُوَ أَكْمَلُهُمْ عِبُودِيَّةً وَأَعْظَمُهُمْ شَهُودًا لِفَقْرِهِ وَضُرُورَتِهِ وَحاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ وَعَدْمِ استغْنائِهِ عَنْهُ طرفة عين، وكذلِكَ صَحَابَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ رِبَّاهُمْ عَلَى العِبُودِيَّةِ لِلَّهِ، فَالْعَبْدُ فَقِيرُ إِلَى اللَّهِ مُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَمَنْ مُنْاجَاهُ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ وَزَادَهُ مِنْهُ قُرْبًا، سَيِّدي كَفَانا شُرُفًا أَنْ نَكُونَ لَكَ عَبِيدًا وَكَفَانا عَزًا أَنْ تَكُونَ لَنَا رِبًا.

حَكِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارِ أَنَّهُ مِنْ بَقْصَرِ يَعْمَرِ، فَسَأَلَ الْأَجْرَاءَ عَنْ أَجْرِهِمْ، فَأَجَابَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا كَانَتْ أَجْرَتِهِ، وَلَمْ يَجِدْهُ وَاحِدًا، فَقَالَ: مَا أَجْرُكَ؟ فَقَالَ: لَا أَجْرَ لي. فَقَالَ: وَلَمْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا يَنْبَغِي لِي عَبْدٌ صَاحِبُ الْقُصْرِ. فَقَالَ مَالِكٌ: إِلَهِي مَا أَسْخَاكَ، الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدُكَ، كَلْفَتُهُمُ الْعَمَلُ وَوَعَدْتُهُمُ الْأَجْرَ.

\*\*\* عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَسُسْكِيَّ، وَمَحْيَايَيِّ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمُلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٦٧)، رقم ٣٤٤٥

(٢) المسند، (ج ٣ / ص ١٥٣)، رقم ١٢٥٧٣ ، اسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٧٧)، رقم ٦٣٥٨

بِذَنْبِي، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَيْعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْخَلَاقِ  
 لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَيْكَ  
 وَسَعَدِيَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدِيَكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ،  
 أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكْعَتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ،  
 خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَخُنْقِي، وَعَظَمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ  
 الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا بَيْنَهُما، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ»، وَإِذَا  
 سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَاجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ،  
 وَصَوْرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ يَنْ  
 الشَّهَدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا  
 أَسْرَرْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤْخَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.

عن أفلح، مولى محمد بن علي الباقي، قال: خرجت مع محمد بن علي حاجا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلورفت بصوتك قليلاً قال: ويحك يا أفلح، ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إلى منه برحمه فأفوز بها عنده غداً قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى رکع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا  
 موضع سجوده مبتل من دموع عينيه<sup>(٢)</sup>

الصلاوة شاهد العبودية وهي أفضل العبادات ويجب أداؤها على أحسن صورها ولا يكن ذلك إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أركانها وواجباتها ومستحباتها ففي كل ركن من أركانها وواجب من واجباتها ومستحب من مستحباتها شاهد للعبودية تستسلم به الجوارح لبارئها حالاً ويشهد به اللسان قوله ويستحضره القلب ذلاً وخضوعاً.

اللهم اجعلنا من عبادك برحمتك وفضلك يا كريم.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٢ ص ١٨٥)، رقم ١٨٤٨

(٢) صفة الصفوة، (ج ١ / ص ٣٦٣)

## ٢٧. حقيقة العبودية

قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّ أُوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النّمل: ١٩]

تحقيق العبودية لله دأب الصالحين وغايتهم لأنّ من رضيه الله أن يكون عبدا له فقد فاز في الدنيا والآخرة. فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجه أو أنّ الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق بل من أضلّهم. كما ادعى النصارى خروج المسيح من العبودية ونسبوه ولدا لخالقه وكذلك من قال الملائكة بنات الله وكذلك من قال إن الصالحين يتصرّفون في الكون ويعلمون الغيب ويشفعون لمن يريدون سبحانه الله عما يقولون علواً كبيراً فقال تعالى: (لَنْ يَسْتَكِفَ الْمُسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) [النساء: ١٧٢] وقال عن المسيح (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّيَنِي إِسْرَائِيلَ) [الزخرف: ٥٩] فجعل غايتها العبودية لا الإلهية، وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يُسْقِيُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا مِنْ أَرْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيشَةِ مُشْفِقُونَ) [الأنباء: ٢٦-٢٨] فكيف يتحقق المسلم العبودية لله؟

أولاً: تحقيق كلمة التوحيد: وروح هذه الكلمة وسرّها إفراد رب جل شناوه، وتقدّست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتتابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة، فلا يحلف إلا باسمه، ولا ينظر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يتحسّب إلا به، ولا يستغاث في الشدائدين إلا به، ولا يلتتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ)<sup>(١)</sup>

(١) الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي، ص: ١٩٦

ثانياً: حقيقة العبودية مبنية على أصلين: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحظوظ، تقول العرب طريق معبد أي قد ذللته الاقدام وسهّلتة، والعبادة تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، والعبودية التامة لا تكون الا بتكميل هذين الأصلين:

- تكميل مقام الحب التام وهو أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله، والشرك الذي لا يغفره الله تعالى هو أن يشرك به في الحب والتعظيم فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمها قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَجَّلُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ) [البقرة: ١٦٥]

فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الذلة كما يحب الله تعالى، وأن المؤمن أشد حبا لله من كل شيء، وقال أهل النار في النار: (تَاهُوا إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ) [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومن المعلوم أنهم إنما سووههم به سبحانه في الحب والتآلله والعبادة<sup>(١)</sup>

ولو تأملت العبودات الباطلة التي عبدها البشر تجدها ليس فيها صفات حمد فأماماً أن تكون حبرا أو شجرا لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وأماماً أن تكون بشرا مثلنا عاجزا عن الخلق أو ميتا لا حول له ولا قوة: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) [الاعراف: ١٩٤] (لَا يَحْكُلُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُحْكَلُونَ أَمْوَاتٌ عَيْرٌ أَحْيَاءٌ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ) [النحل: ٢٠-٢١] فالمحظوظ لذاته هو الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن أسماءه أسماء حسنة، وصفاته صفات حمد، وأفعاله كلها عدل وحكمة ورحمة وفضل وإحسان، فكل حمود ولو بصفة حمد واحدة فهو محظوظ، فكيف وكل صفات الحمد في الكون هي لله، فالحمد كله لله رب العالمين فهو أهل أن يحمد وهو أهل أن يحب ويعبد.

- تكميل مقام الذل والانقياد للعزيز الرحيم، وакمل الخلق عبودية اكملهم ذلا لله وانقيادا وطاعة، فإن الله سبحانه يحب من عبده أن يكمل مقام الذل له وهذه هي حقيقة العبودية. والذل أنواع أكملها ذل المحب لمحبوبه، الثاني ذل الملوك لمالكه، الثالث ذل الجاني بين يدي

المنعم عليه المحسن إليه المالك له، الرابع ذل العاجز عن جميع مصالحه و حاجاته بين يدي القادر عليها التي هي في يده وبأمره . وتحت هذا قسمان أحدهما ذل له في أن يجلب له ما ينفعه، والثاني ذل له في أن يدفع عنه ما يضره على الدوام . ويدخل في هذا ذل المصائب كالفقر والمرض، وأنواع البلاء والمحن، فهذه خمسة أنواع من الذل إذا وفاتها العبد حقها وشهدها كما ينبغي وعرف ما يراد به وقام بين يدي رب مستصحبا لها شاهدا الذل من كل وجه ولعزه رب وعظمته وجلاله كان قليل أعماله قائما مقاما الكثير من أعماله غيره<sup>(١)</sup>

\*\*\* عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَتَعَاقِبُونَ فِي كُمْ مَلَائِكَةً بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةً بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَرْجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِي كُمْ، فَيُسَأَّلُونَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكُوكُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاكُمْ وَهُمْ يُصَلِّونَ، وَأَتَيْنَاكُمْ وَهُمْ يُصَلِّونَ»<sup>(٢)</sup>.

فالعبادة أعظم شاهد للعبودية والصلة أفضل عبادة بعد الاقرار بالشهادة وهي أجمع خصلة من خصال الدين لتعظيم قدر الله، ومحبته والذل له وأدل شيء على إجلاله عز وجل وتعظيمه ففيها التكبير والتسبيح والتهليل والتحميد وفيها التحيات وفيها الصلاة على الرسول حبا له وتعظيمها للمرسل وفيها ذل المعصية وطلب الاستغفار وفيها ذل النفس وإظهار الفقر للواحد القهار في جلب النفع ودفع الضر وشر الاشرار وليس هذه الخصال بإجماعها في شيء من العبادات أجمل منها في الصلاة، فلذلك قال صل الله عليه وآله وسلم: «وَجُعِلَتْ قُرْآنِيَّةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>

وقرة عين العبد نعيمه وطيب حياته، فمن قررت عينه بصلاته في الدنيا قررت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة وقررت عينه أيضا به في الدنيا، ومن قررت عينه بالله قررت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

(١) مفتاح دار السعادة (ج ١ / ص ٢٨٩)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص: ٣٥٨

(٢) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١٤٢)، رقم ٧٤٨٦

(٣) سنن النسائي، (ج ٧ / ص ٦١)، رقم ٣٩٤٠، وقال الالباني: صحيح

## ٢٨. صفات عباد الرحمن

قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمَيْنَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١] ابتدأ سورة الفرقان بذكر عبودية النبي صلى الله عليه وسلم وتكريم الله تعالى له بإنزال القرآن ليذر به العالمين ليكونوا عبيداً لله، وانتهت بذكر صفات عباد الرحمن الذين يريدون أن يقتدوا بنبيه صلى الله عليه وسلم ويكونوا عبيداً لربهم عز وجل.

قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوْنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: ٦٣]، فهم عبيد الله في مشيهم وفي سلوكهم يمشون بالوقار، والسكينة والتواضع لا يتكلّرون على الناس ولا يتجرّرون ولا يفسدون.

(قالوا سلاما) حلماء، لا يقابلون الجاهل بجهله. ولا يلتقطون إلى حماقة الحمقى وسفهاء. هذا نهارهم مع الناس، فاما ليلهم فهو التقوى ومراقبة الله، والشعور بجلاله، والخوف من عذابه، (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِياماً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاعَةٌ مُسْتَقْرَأً وَمُقَاماً)

وهم في حياتهم نموذج القصد والاعتدال والتوازن: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرُفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً) إنفاقهم بين الإسراف والتقتير.

ومن صفاتهم أنهم يترفّعون عن الكبائر من الذنب (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَرْزُقُونَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثَاماً)، وهذه الكبائر فسادها كبير، فالشرك فيه فساد الدين بالكلية، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض. ومن رحمته سبحانه وتعالى لم يقنط من فعلها من الدخول في عبوديته وجعل باب التوبة مفتوحاً ورغبه عز وجل بالتوبة بقوله: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا)

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أي: لا يحضرن الزور، فيجتنبون كل قول وفعل محظوظ لا يفعلونه ولا يقولونه وشهادة الزور داخلة في قول الزور. (وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَاماً) لا

يقصدون مجالس الزور التي لا فائدة فيها، دينية ولا دنيوية، وإذا صادف أن مرّوا بها نزّهوا أنفسهم وأكرموا عن مشاهدتها ورأوا ذلك سفها منافياً للكارم الأخلاق.

(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكْرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) [الفرقان: ٧٣] أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها، والصمم عن سماعها، كما يفعله من لم يؤمن بها ويصدق بها، وإنما حال هؤلاء الأخيار عند سماعها كما قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكْرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [السجدة: ١٥]

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا) أي: قرناً من أصحاب وأخلاق وأقران وزوجات، (وَدُرِّيَّاتِنَا قَرَّةً أَعْيُنٍ) لم يطلبوا الذرية فقط وإنما طلبوا الذرية الصالحة التي تقرّ بها أنفسهم لأنّ صلاحهم يعود إلى نفع المسلمين عموماً.

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) : أي أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمّل من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين يقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

ولما كانت هممهم وأعمالهم عالية كان الجزء من جنس العمل، فجازاهم من جنس عملهم فقال: (أُولَئِكَ يُجْرِيُونَ الْغُرْفَةَ) أي: المنازل العالية الرفيعة في الجنة (وَلَيَلَقَّوْنَ فِيهَا تَحْمِيَةً وَسَلَامًا) من ربّهم، ومن الملائكة الكرام، ومن بعضهم على بعض. (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا) إِلَّا قِيلًا سلامًا سلامًا [الواقعة: ٢٥-٢٦] ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال والإكرام.

\* قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنُ) [الذاريات: ٥٦-٥٨]

الخلق جميعاً فقراء إلى الله محتاجون إليه، والله هو الغني الحميد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥] ، فقر إلى ربوبيته وهو فقر المخلوقات بأسرها، وفقر إلى ألوهيته وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده الصالحين.

ومن شواهد العبودية اظهار فقر العبد إلى ربه بدوام التذلل إليه بطاعته وسؤاله له في كل

حاجاته والبراءة من الحول والقوة الا به، فـأكمل الخلق أكمالهم عبوديةً أعظمهم شهوداً لفقره وضرورته و حاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: ”أصلح لى شأنى كله، ولا تكلنى إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك“، وكان يدعو: ”يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك“. يعلم صلى الله عليه وسلم أن قلبه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئاً، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء كيف وهو يتلو قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٤]، فضورته صلى الله عليه وسلم إلى ربه وفاقتـه إليه بحسب معرفته به، وحسب قربـه منه و منزلـته عندـه<sup>(١)</sup>

ومن شواهد فقر العبد اللجاجـ إلى الله في جلبـ الخـير ودفعـ الضرـ عن عائشـةـ أـن رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـمـهـاـ هـذـاـ الدـعـاءـ: «اللـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ مـنـ الـخـيـرـ كـلـهـ عـاجـلـهـ وـآجـلـهـ،ـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ وـمـاـ لـمـ أـعـلـمـ،ـ وـأـعـوـذـ بـكـ مـنـ الشـرـ كـلـهـ عـاجـلـهـ وـآجـلـهـ،ـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ وـمـاـ لـمـ أـعـلـمـ،ـ اللـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ مـنـ خـيـرـ مـاـ سـأـلـكـ عـبـدـكـ وـنـيـكـ،ـ وـأـعـوـذـ بـكـ مـنـ شـرـ مـاـ عـاذـ بـهـ عـبـدـكـ وـنـيـكـ،ـ اللـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ الـجـنـنـةـ وـمـاـ قـرـبـ إـلـيـهـاـ مـنـ قـوـلـ أـوـ عـمـلـ،ـ وـأـعـوـذـ بـكـ مـنـ النـارـ وـمـاـ قـرـبـ إـلـيـهـاـ مـنـ قـوـلـ أـوـ عـمـلـ،ـ وـأـسـأـلـكـ أـنـ تـجـعـلـ كـلـ قـضـاءـ قـضـيـتـهـ لـيـ خـيـرـاـ»<sup>(٢)</sup>

عن طاووس قال: ”رأيت عليـاـ بنـ الحـسـينـ سـاجـداـ فيـ الحـجـرـ فـقلـتـ:ـ رـجـلـ صـالـحـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـ طـيـبـ،ـ لـأـسـمـعـنـ ماـ يـقـولـ.ـ فـأـصـغـيـتـ إـلـيـهـ فـسـمـعـتـهـ يـقـولـ:ـ عـبـيـدـكـ بـفـنـائـكـ،ـ مـسـكـيـنـكـ بـفـنـائـكـ،ـ سـائـلـكـ بـفـنـائـكـ،ـ فـقـيرـكـ بـفـنـائـكـ،ـ فـوـ اللهـ مـاـ دـعـوتـ اللهـ بـهـاـ فـيـ كـرـبـ الـاـ كـشـفـ اللهـ عـنـيـ“<sup>(٣)</sup>.ـ اللـهـمـ صـلـىـ اللهـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـ مـحـمـدـ،ـ اللـهـمـ نـحـنـ عـبـيـدـكـ فـقـراءـ الـيـكـ جـئـنـاكـ إـلـىـ بـيـتـكـ بـمـنـةـ مـنـكـ وـفـضـلـ سـائـلـيـكـ رـفـدـكـ وـفـضـلـكـ وـانتـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ وـانتـ اـكـرـمـ الـأـكـرـمـيـنـ وـانتـ خـيـرـ الـراـزـقـيـنـ وـانتـ خـيـرـ الـغـافـرـيـنـ وـانتـ اـرـحـمـ الـراـحـمـيـنـ وـانتـ ذـوـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ.

(١) طريق المحررتين وباب السعادتين، (ص ١٠)

(٢) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٢٦٤)، رقم ٣٨٤٦، وقال الألباني: صحيح

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوـةـ، (ج ١ / ص ٣٥٧)

## ٢٩. معرفة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم

قال تعالى: (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) [المؤمنون: ٦٩].

إنّ معرفة رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم في سيرته وفي سنته وفي شـئـله من أهم الأمور التربوية التي تساعدنا على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن القيم: ”اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفرح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقواهم وأعمدهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها“<sup>(١)</sup> ومن العلم الواجب على المكلف تعلمه {معرفة نبـيـه} محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ رسـالـة الله، ومعرفته تستلزم قبول وامتثال ما جاء به من عند الله، من الهدى ودين الحق.

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبـيـنا أفضل الصلاة والسلام. عن وائلة بـنـ الأـسـقـعـ قالـ: قـالـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «إـنـ اللهـ اـصـطـفـيـ كـنـانـةـ مـنـ وـلـدـ إـسـمـاعـيـلـ وـاـصـطـفـيـ قـرـيـشـاـ مـنـ كـنـانـةـ وـاـصـطـفـيـ بـنـيـ هـاـشـمـ مـنـ قـرـيـشـ وـاـصـطـفـاـنـيـ مـنـ بـنـيـ هـاـشـمـ فـاـنـاـ سـيـدـ وـلـدـ آـدـمـ وـلـاـ فـخـرـ وـأـوـلـ مـنـ تـشـقـ عـنـهـ الـأـرـضـ وـأـوـلـ شـافـعـ وـأـوـلـ مـسـفـعـ»<sup>(٢)</sup>

(١) زاد المعاد في هـدـيـ خـيـرـ العـبـادـ (جـ ١ـ /ـ صـ ٦٨ـ)

(٢) الألبـانيـ، التعـلـيقـاتـ الحـسـانـ عـلـىـ صـحـيـحـ اـبـنـ حـبـانـ (جـ ٩ـ /ـ صـ ٧٢ـ)، وـقـالـ: صـحـيـحـ

فهو الصادق الامين عند أهل الجاهلية وهو أمين الله على وحيه بعدبعثة، وكان أهل الجاهلية يستأمنونه على أعزّ أموالهم وعندما اختلفوا في وضع الحجر الاسود عند إعادة بناء الكعبة حكموه ورضوا بحكمه، وقالوا هذا الصادق الامين رضينا بحكمه فحكموه، وهو سيد البشر بشهادته لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو رحمة للعالمين بشهادة ربّه عز وجل قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنياء: ١٠٧]، فالإسلام رحمة ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة وأمته الأمة المرحومة من الله تعالى، وهو رحمة لجميع الخلق، للمؤمن رحمة بالهدى، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب.

وذكر الله تعالى قريش بشرف النبي ونسبه فيهم ووصفه بعده أوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة فقال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبه: ١٢٨]. (حرirsch علیکم) أي على إيمانكم وصلاح أحوالكم، والحرص شدة الطلب لشيء والاجتهد فيه.

قال ابن عباس: «سماه الله باسمين من أسمائه»، وقال جعفر الصادق «وأليسه من نعمته الرأفة والرحمة» وما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (لَعَمِرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الحجر: ٧٢]، وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف فإن الأقسام لا تقع إلا على المعظمين والمجّلين والمكرّمين، فهو أفضلخلق وأكرمهم عليه، آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيمة فهو كما قال صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرٌ، وَمَا مِنْ بَيْنِ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد نوّهت الكتب السابقة بشرفه صلى الله عليه وسلم والتّعرّيف بفضله وفضل أمته كما في الحديث الصحيح عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص

(١) سنن الترمذى، (ج/ص ٥٨٧)، رقم ٣٦١٥، وقال: حسن صحيح

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: «أَجْلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يُوصَفُ فِي التَّوْرَاةِ بِعَضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الاحزاب: ٤٥]، وَحِرْزاً لِلَّامِيْنَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتَكَ الْمَوْكِلَ لَيْسَ بِغَنِيٍّ وَلَا عَلِيِّظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْاسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضْهُ اللَّهُ حَتَّى يُقْيِمَ بِهِ الْمَلَةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُّنَا عُمِيًّا، وَآذَانَا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»<sup>(١)</sup>

فهو المشهود له عند الله بالفضل، وعند الناس بالأمانة والصدق، وعند أهل الكتاب بمكارم الأخلاق، فيما خسارة من لا يعرف نبيه ويما حسرته يوم القيمة.

\* \* قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران: ٨١]

أخذ الله العهد على النبيين جميعا قبل مبعثه بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فآمن من آمن وكفر من كفر، قال صلى الله عليه وسلم «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصَارَائِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>، قوله عليه السلام: «ولم يؤمن بالذى أرسلت به» إشارة إلى أن الإيمان بجميع أحكام الإسلام واجب عقيدة وشريعة، فلا نجاة لأحد إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ).

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٦٦)، رقم ٢١٢٥

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٩٣)، رقم ٤٠٣

### ٣٠. صفات النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم الخلقية

قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِاهُمْ) [محمد: ٢]

من أجل التعرّف على نبينا صلى الله عليه وآلـه وسلم في صورته التي خلقه الله عليها والتي كانت متتهي الكمال الانساني في كلّ أوصافه ﷺ. وخير من وصفته على صورته أمّ معبد الخزاعيّة عاتكة بنت خالد عند مروره عليها في طريق الهجرة: عَنْ حِزَامَ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ هِشَامَ بْنِ حُبَيْشَ بْنِ حُوَيْلٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فَهْيَرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا الْلَّيْثِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرِيقَطٍ مَرُوا عَلَى خَيْمَتِي أُمّ مَعْبِدِ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَرَزَّةً جَلْدَةً { يَرِيدُ أَنْهَا خَلَا لَهَا سِنٌّ فَهِيَ تَبْرُزُ، لَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَحْجُوبَةِ } تَحْتَبِي بِفَنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمَرا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْتَيْتِينَ، { يَرِيدُ قَدْ نَفَدَ زَادُهُمْ أَيْ دَاخِلِينَ فِي السَّنَةِ، وَهِيَ : الْجَدْبُ وَالْمَجَاعَةُ } فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاءٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ، { الظَّلُّ الَّذِي فِي جَانِبِ الْخَيْمَةِ } فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاءُ يَا أُمّ مَعْبِدِ؟» قَالَتْ: شَاءٌ خَلَفَهَا الجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَتَأْذِنُنَّ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟» قَالَتْ: يَأْبِي أَنْتَ وَأَمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَاهَا، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاءِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ { أَيْ فَتَحَتْ مَا بَيْنِ رِجْلِيهَا وَدَرَّتْ أَرْسَلَتِ الْلَّبَنَ وَاجْتَرَّتْ مِنَ الْجَرَّةِ وَهِيَ مَا تَخْرُجُهُ الْبَهِيمَةُ مِنْ كَرْشَهَا بِمَضْغَهَا بِهِ } فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرِبُّضُ الرَّهْطُ { مَا بَيْنِ الْثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ } فَحَلَبَ فِيهِ ثَجَّا { يَرِيدُ سِيَلاً } حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ { يَرِيدُ عَلَا الْأَنَاءِ بِهَاءَ الْلَّبَنِ، وَهُوَ وَبِيَصْ رَغْوَهُ يَرِيدُ أَنَّهُ مَلَاهًا } ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِبَ آخِرَهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا { يَرِيدُ : شَرِبَوا حَتَّى روَوا

فتقعوا بالريّيّ، ثمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى هَدَدَةٍ حَتَّى مَلَأَ الْأَنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَ مَا لِبِثَتْ حَتَّى جَاءَهَا زُوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ لِيُسُوقَ أَعْتَراً عِجَافًا يَسَاوِرُ كُنْ حُزَّالاً مُخْمَنَ قَلِيلٌ {إِيْ عَمْهُنَ الْهَزَالُ أَيْ قَلَةُ الْلَّحْمِ} فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبِدِ الْبَنَ أَعْجَبَهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ وَلَا حَلُوبَ فِي الْبَيْتِ؟ {عازب: بعيدة المرعى، حائل: لم تتحمل في هذه السنة}، قَالَتْ: لَا وَاللهِ إِلا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِيفِيَّهُ لِي يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرًا الْوَضَاءَةَ، {تريد: ظاهر الحال} أَبْلَاجَ الْوَجْهِ {مشرق الوجه مضيقه} حَسَنَ الْخُنْقِ، لَمْ تَعْبُهُ شَجَلَةُ {وفي لفظ البيهقي نحلة أبي الدقة والضمير} وَلَمْ تُزْرِيهِ صَعْلَةُ، {والشجلة: عظم البطن واسترخاء أسفله. والصعلة: صغر الرأس}، وَسِيمُ قَسِيمٌ، {الوضيء وكذلك القسم} في عينيه دَعْجٌ {السوداد في العين وغيره} وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفْ {وهو أن تطول الاشفار ثم تتعطف}، وَفِي صَوْتِهِ صَهَّلٌ، {أي كالبحة، وهو أن لا يكون حادا} وَفِي عُنْقِهِ سَطَعٌ {أي طول}، وَفِي لَحْيَتِهِ كَثَاثَةُ، {الكث الغزير والكثيف} أَزْجُ أَقْرَنُ، {الأزج: المتقوس الحاجبين، الأقرن: المتصل رأس حاجبيه}، إِنْ صَمَتْ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَهَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، {يريد علا برأسه أو يده} أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُو الْمُنْطِقِ فَصَلَّا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ {النذر: القليل: والهذر: الكثير غير المفيد}، كَانَ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظَمٍ، يَتَحَدَّرُنَّ، {الخرز: حبات تنظم في عقد تضعه المرأة في رقبتها لتتنزين به} رَبْعَةُ {ليس بالطويل ولا بالقصير} لَا تَشَنَّاهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنُ مِنْ قِصرٍ، غُصْنُ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، لَا تَحْتَرِهِ وَلَا تَزْدَرِهِ}، فَهُوَ أَنْصُرُ الشَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ، قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَكْفُونَ بِهِ، {يستدرون حوله}، إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمْرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، {عجلوا وتسارعوا} مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ، {محفوظ محسود: أي أن أصحابه يخدمونه ويحيطون عليه، لاعبس: متوجه وجه المفتنة: الضعيف الرأي} قال أبو معبد: هذا والله صاحب فرئيس الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن

وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا<sup>(١)</sup>

قالت أم معبد: لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله ﷺ ضرعها إلى عام الرمادة - وهي سنة ثانية عشرة من الهجرة - وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً، وما في الأرض قليل ولا  
كثير [الصبوح: شراب الصباح، والغبوق: ما يشرب بالعشى]

فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر فرأه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هونبي الله، قالت: فأدخلنني عليه، قال: فأدخلنها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطها، زاد ابن عبдан في روايته:-  
قالت: فدلني عليه، فانطلقت معه، وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب،  
قال: فكساها وأعطها. قال: ولا أعلم إلا قال: وأسلمت<sup>(٢)</sup>

\* \* \* عن أنس قال كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفاً ولا ميسنت ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ . {أزهر: أبيض مشرب بحمرة}

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمل الناس خلقاً وأحسنهم خلقاً عن جابر بن سمرة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان (مضيئه مقمرة) وعلية حلقة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلما رأته أحسن من القمر»<sup>(٤)</sup>

فهو كما قال حسان بن ثابت فيه:

وأحسن منك لم تر قط عيني... وأجمل منك لم تلِد النساء  
خلقتك مبدأ من كل عيب... كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) المستدرك على الصحيحين، (ج ٣ / ص ١٠) رقم ٤٢٧٤ ، تعليق الذهبي: صحيح . وما بين المعقوتين { } ليس من الحديث وإنما شرح لمفردات الحديث من كتب اللغة .

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، (ج ٢ / ص ٢٥٩)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٧ / ص ٨١)، رقم ٦٢٠٠

(٤) مختصر الشمائل (ص: ٢٦)

### ٣١. خُلُقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: (نَّوَالْقَلْمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤-٦]

لقد بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وكمله بأحسن الأخلاق فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، سئلت عائشة عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن، وكان قرآناً يمشي على الأرض، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق فقال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩]

قال جعفر بن محمد: "أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"، وما ساءت أخلاق المسلمين إلا بابتعادهم عن القرآن والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وأمر الله تعالى بحسن الخلق من أيام الدعوة الأولى وما من سورة مكية إلا وهي تأمر الناس بالتوحيد وتحثهم على مكارم الأخلاق وذلك لما لحسن الخلق من أثر عظيم في تأليف قلوب الناس على الإسلام، لأن الفطرة السليمة تميل إلى اتباع صاحبخلق الحسن، فالأخلاق الحسنة تؤثّر في الأعداء قبل الأصحاب، وما أخطر على الدعوة من داعية لا يتمثل بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أصول الأخلاق الفاضلة وأئمّتها تقوم على أربعة أركان فقال: "الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل"<sup>(١)</sup>. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى المنازل الإنسانية في هذه الصفات.

فالصبر: يحمله على الاحتياط وكظم الغيط، وكفّ الأذى، والحلم والانتهاء والرفق، وعدم الطيش والعجلة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيـر الناس وأحلـم الناس. ومن صفاتـه في الكتب السابقة أنه لا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر.

(١) ينظر، مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ٢٩٤)

عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدُ نَجْرَانٌ عَلَيْهِ حَاطِشَةً فَأَدْرَكَهُ إِعْرَائِي فَجَبَدَهُ بِرَدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى صَفْحَةِ عَاقِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثْرَتْ بِهَا حَاطِشَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"<sup>(١)</sup>

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياة؛ وهو رأس كل خير، وتنعنه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

وكان ﷺ عفيفاً حياً في قوله وفعله عن أبي سعيد الخدري، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ»<sup>(٢)</sup>

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندي، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيط والحلم، كما قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرُعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»<sup>(٣)</sup>. وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه. قال البراء: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَ الَّذِي يُحَاجِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسيطه فيها بين طرفين الافراط والتفرط، فيحمله على خلق الجود والمسخاء الذي هو توسيط بين الامساك والاسراف والتبذير، وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسيط بين الجبن والتهور، وكان من عدله صلبي الله عليه وسلم يوصي بالعدل ويقيمه ولو على أقرب الناس اليه، وقطع يد المرأة المخزومية وبني مخزوم من قريش ولم يرده عن إقامة الحد عليها أنها من قريش، ولم ترده شفاعة حبه أسمة بن زيد وخطب الناس بعد أن قطع يدها وقال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُ فِيهِمُ الْشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا

(١) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ١٤٦)، رقم ٥٨٠٩

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٢٦)، رقم ٦١٠٢

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٢٨)، رقم ٦١١٤

(٤) صحيح مسلم، (ج ٥ / ص ١٦٨)، رقم ٤٧١٦

زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

**سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»<sup>(١)</sup>**

وكان صلٰى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود بالخير من الريح المرسلة. عن أنسٍ بن مالٍ، قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ"<sup>(٢)</sup>

\*\*\* عن سعدٍ بن هشامٍ بن عامرٍ، قال: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤] قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَّلَ، قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، أَمَا تَقْرَأُ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١]؟ فَقَدْ تَرَوْجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ وُلِّدَ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

فأَخْلَاقُهُ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ وَأَشْرَفُهَا وَأَفْضَلُهَا كَانَ صلٰى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا، وَأَلْيَنُوهُمْ كَفًا وَأَطْبَيْهُمْ رِيحًا، وَأَحْسَنُوهُمْ عَشْرَةً، وَأَكْثَرُهُمْ تَوَاضِعًا وَأَشَدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً. وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، يَمْيِنُهُ كَالْرِيحُ الْمَرْسُلُ. وَكَانَ إِذَا عَرَضَ لَهُ مَحْتَاجًا آثَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، تَارِةً بِطَعَامِهِ، وَتَارَةً بِلِبَاسِهِ. وَكَانَ يَنْوِي فِي أَصْنَافِ عَطَائِهِ وَصِدْقَتِهِ، فَتَارَةً بِالْمَهْبَةِ، وَتَارَةً بِالصَّدَقَةِ، وَتَارَةً بِالْمَهْدِيَّةِ، وَتَارَةً بِشَرَاءِ الشَّيْءِ ثُمَّ يَعْطِي الْبَايْعَ الثَّمَنَ وَالسَّلْعَةَ جَمِيعًا، كَمَا فَعَلَ بَعْيَرْ جَابِرْ وَتَارَةً كَانَ يَقْرَضُ الشَّيْءَ فَيَرِدُ أَكْثَرُ مِنْهُ وَأَفْضَلُ وَأَكْبَرُ، وَيَشْتَرِي الشَّيْءَ فَيَعْطِي أَكْثَرَ مِنْهُ، وَيَقْبِلُ الْمَهْدِيَّةَ وَيَكْفَى عَلَيْهَا بِأَكْثَرِ مِنْهَا أَوْ بِأَضْعافِهَا، تَلْطِفًا وَتَنْوِيَّا فِي ضَرُوبِ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَكَانَ مِنْ خَالِطِهِ وَصَاحِبِهِ وَرَأْيِهِ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدِيِّ<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٥ / ص ١١٤)، رقم ٤٥٠٦

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٧ / ص ٧٢)، رقم ٦١٤٦

(٣) مسنـدـ أـحـمـدـ، (ج / ٦ / ص ٩١)، رقم ٢٤٦٤٥، تعليـقـ شـعـيبـ الـأـرـنـاؤـوـطـ: حـدـيـثـ صـحـيـحـ

(٤) يـنـظـرـ، اـبـنـ الـقـيـمـ، زـادـ الـمـعـادـ فـيـ هـدـيـ خـيـرـ الـعـبـادـ، (ج / ٢ / ص ٢٢)

## ٣٢. معجزات النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم

قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

[النساء: ٨٢]

لقد أرسل الله تعالى الرسل وأيدهم بالمعجزات الحسية المادية والآيات الدالة على صدقهم فيما يبلغون عن ربهم، والمعجزة: هي الامر الخارق للعادة المقرن بالتحدي الدال على صدق الانبياء- عليهم الصلاة والسلام- الواقع على وفق دعوى المتحدي بها مع أمن المعارضة وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها.

ولقد أيد الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الكبرى القرآن «كلام الله تعالى المترزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - المتبع بدلا وته».

عن أبي هريرة، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمَّنْ عَلَيْهِ الْبَشُرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْ حَكَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>

قال الشعراوي رحمة الله: "وفي القرآن خاصية تفرد بها عن الكتب السابقة، حيث نزل جامعاً بين أمرتين: أنه منهج سماوي ينظم حركة الحياة، وهو في الوقت نفسه معجزة مصاحبة للمنهج لا تنفك عنه إلى قيام الساعة"<sup>(٢)</sup>.

فهو المعجزة الباقية الخالدة التي تحدى بها الامم من زمن قريش الى أن تقوم الساعة أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة.

قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) [الطور: ٣٣-٣٤] وقال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [هود: ١٣]

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٩٢)، رقم ٤٠٢

(٢) تفسير الشعراوي، (ج ١٤ / ص ٨٧٢٨)

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةً مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: ٣٨] ثم أخبر تعالى بعجز الجن والأنس عن الإتيان بمثله إلى يوم القيمة قال تعالى: (فُلَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِلُ ظَاهِرًا) [الإسراء: ٨٨]

حکی الأصمیي أنه سمع كلام جارية، فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت : أو يعد هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمٌّ مُوسَى أَنَّ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: ٧]،  
فجمع في آية واحدة بين أمرین ونهیین وخبرین وبشارتين.

فالقرآن معجز في بلاغته وفصاحته ونظمه وأسلوبه وإخباره بالغيب المستقبلة وإخباره عن الأمم السابقة والقرون البائدة واعجازه في هديه وتشريعيه بالإضافة إلى الاعجاز العلمي الذي ظهر حديثاً ففي القرآن أكثر من ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون ولفت الانظار إلى قدرة الله وتفرد بالربوبية والالوهية واثبات البعث والنشور.

أما المعجزات الحسية: ما من معجزة لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام إلا نبينا صلّى الله عليه وسلم مثلها مع زيادة شرف له شرفه الله تعالى، فكلم الله تعالى موسى في الأرض وكلم نبينا في السماء السابعة وفيها زيادة رفعة وانشق البحر لموسى وانشق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والمعجزات التي شاهدها الصحابة رضي الله عنهم لا تقاد تحصى مثل حنين الجند وتكثير الطعام وإنزال المطر ببركة دعائه ونبع الماء من بين أصابعه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحَدِيْبِيَّةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْنَ يَدِيهِ رِكْوَةً فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءً نَتَوَضَّأُ وَلَا نَسْرَبُ إِلَّا مَا يَبْنَ يَدِيَّكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يُثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَمَثَالِ الْعِيُونِ، فَشَرَبَنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةً

أَلْفٌ لِكَفَانَا، كُنَّا حَمْسَ عَشْرَةً مِائَةً<sup>(١)</sup>

قال المزني: "نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ في العجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم"<sup>(٢)</sup>.

وقد حصل لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الكرامات وكل كرامات لولي هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم ما حصلت لهم الكرامة الا باتباعه، ومن كرامات الأولياء من هذه الامة عن أنسٍ رضي الله عنه: "أَنَّ رَجُلَيْنِ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِذَا نُورُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، حَتَّى تَفَرَّقَا، فَنَفَرَقَ النُّورُ مَعَهُمَا"<sup>(٣)</sup>

\* \* \* عنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ الْمَالُ وَجَاءَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدِيهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ فَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْتَزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادِرُ عَلَى حِيطَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمُطَرِّنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ - أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ الْبَيْنَاءُ وَغَرَقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدِيهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالِيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا نَفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي فَنَأَةً شَهْرًا، وَلَمْ يَجِدْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ<sup>(٤)</sup>.

وَأَبَيْضُ يُسْتَسْقَى الْعَيْمَ بِوَجْهِهِ ... تَهَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٩٣)، رقم ٣٥٧٦

(٢) القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنج المحمدية، (ج ٢ / ص ٢٨١)

(٣) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ٣٦)، رقم ٣٨٠٥

(٤) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١٢)، رقم ٩٣٣

### ٣٣. هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوْكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠].

ما اعتاد عليه أهل الباطل أن يواجهوا أهل الحق بثلاث أسلحة هي السجن أو القتل أو الارχاج من الديار، وهذه الفكرة تتكرر على مر الأزمان والعصور وملازمة لدعوة الانبياء والرسل وأتباعهم، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحِي إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِّكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) [ابراهيم: ١٣ - ١٤]

إبراهيم عليه الصلاة والسلام ترك دياره من ظلم أهل الباطل (وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [العنكبوت: ٢٦]

لوط عليه السلام أخرجه قومه: (فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرِيْتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [النمل: ٥٦]، والجريمة هي أنهم أناس يتظاهرون.

شعيب عليه السلام وأتباعه: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلُو كُنَّا كَارِهِينَ) [الأعراف: ٨٨]

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءت به خديجة إلى ورقة بن نوفل أخبره بأنّ قومه سيخرجونه فقال له ورقه: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُحْرِجٍ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ يُمْلِّ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَأَنْ يُدْرِكْنِي يَوْمَكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا<sup>(١)</sup>). فكلّ من يتبع الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بدّ أن يعادى من خالفهم.

ومكر به كفار قريش ليقتلوه واضطروه للخروج وقاموا بتعذيب أصحابه وقتل بعضهم. وقابلهم الله على مكرهم أن مكرهم وجعل خروجه نصر الإسلام على أعدائه.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٧)، رقم ٣

فالمigration تقديراً ربانياً حكيمًا للحفاظ على الدعوة وتربية أهلها في مجتمع منفصل تتوافر فيه أسباب بناء الإنسان وإعداده الاعداد السليم الذي يليق بحامل الدعوات الربانية. ونستطيع أن نتلمّس من خلال الآيات وسيرة المصطفى بعض مقاصدها:

أولاً: إظهار الولاء للمسلمين والبراءة من المشركين. فبالمigration يظهر الولاء المطلق لهذا الدين وربط مصير المسلم المهاجر بالدعوة وأهلها، والبراءة من المشركين، ولذلك فإنّ أظهر علامات الولاء والبراء هي الهجرة مع النبي صلّى الله عليه وسلم. وذلك لقوله تعالى: (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلَيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ). [النساء: ٨٩]

قال: «إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقْيِمُ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكَيْنَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَمْ  
قال: «لَا تَرَأَءَى نَارَهُمَا»<sup>(١)</sup>

ثانياً: الهجرة علامة على حبّ الله ورسوله وتقديمه على حبّ الدنيا وملذاتها قال تعالى:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةُ تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُوْهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْفَوْقَمِ الْفَاسِقِينَ) [التوبه: ٢٤]

ثالثاً: ضرورة انفصال المسلم عن الجاهلية ومعتقداتها وعباداتها وأخلاقها حتى لا تفسده. فإنّها لا تقبل من المسلم أن يكون هو في حاله وهي في حالها، فإذا كانت ظاهرة عليه فإنّما أن تقتله أو تعиде خادماً لها. قال تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُوُكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُقْلِحُوا إِذَا أَبَدَأُوا) [الكهف: ٢٠]

فلذلك ذمّ الله تعالى القاعدين عن الهجرة وسماهم ظالمي أنفسهم وذلك لتكاسلهم عن الهجرة حبّاً بالأموال والأوطان وقال: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فَيَمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَمَّ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَا جَرُوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ٩٧] وفي هذا إشارة كافية لمن يرغب في

(١) الطبراني، المعجم الكبير، (٣٠٣ / ٢)، رقم ٢٢٦٤، وقال الالباني: حسن، الصححية ٦٣٦

السكن في دار الكفر واستبدالها بدار الاسلام فإنّه لا يأمن على دينه أو أبنائه في دار الكفر، فلا بد أن يتلطّخ بأوساخ ذلك المجتمع مهما كان حريصا على دينه.

قال ابن حجر: ”فلا تجُب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة الأول قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم الثالث عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتتجاوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتتكلف الخروج منها أجر“<sup>(١)</sup>

رابعاً: من مكر أهل الباطل إخراج الرسل وأتباعهم ومن مكر الله تعالى بهم لأنّ عملهم هذا سبب لإنزال العقوبات بهم فهم يأتون بأسباب هلاكهم ولا يشعرون. وإنزال النصر لا يمكن أن يكون والمجتمع المسلم مختلط بالمجتمع الجاهلي فلا تنزل العقوبة بالكافار رحمة بال المسلمين الذين معهم، لذلك لم يعاقب الله تعالى مشركي قريش وبعض المسلمين بين أظهرهم، بالرغم من تقصيرهم بالهجرة ووجود معدورين منهم قال تعالى: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْئُوهُمْ فَتُصْبِيْكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِعَيْرٍ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفتح: ٢٥]، [لو (تَزَيَّلُوا) أي لو تميّزوا بافتراق، تباينوا وتفرقوا].

خامساً: إقامة الحياة الاسلامية بكل تفاصيلها لا يمكن أن تكون الا بمجتمع إسلامي مؤمن بهذه العقيدة شرعة ومنهاجا. فبهذا المجتمع الاسلامي تتحقق مقاصid الشريعة بأحسن صورها وهي المقاصد الضرورية في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، فإذا كان المجتمع غير مؤمن بدين الله كثرت الانتهاكات لهذه المقاصد.

لكل هذه الاسباب والحكم التي علمناها وكثير غيرها لم نعلمها أمر الله تعالى بالهجرة.

(١) فتح الباري، (ج ٦ / ص ١٩٠)

ومدح الله المهاجرين ومدح من أعادهم على الهجرة من الانصار في كثير من الآيات القرآنية وقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبه: الآية ١٠٠]، وعدهم جميعاً بالغفرة والرحمة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آتَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: ٧٤]

\* قال تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَبَوَّأْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرُوا إِلَيْهَا أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١]

عنْ مجاشع بْنِ مسعودٍ البهريِّ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنِ أَخِيهِ لِيُبَايِعَهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا بَلْ يُبَايِعُ عَلَى الْاسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ» قَالَ: «وَيَكُونُ مِنَ النَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ»<sup>(١)</sup>.

لقد انقطعت الهجرة بفتح مكة واقامة الدين فيها ومن فضل الله تعالى على من جاء بعد المهاجرين ان جعل بيتهم على الاسلام و لهم اجر اتباعهم والسير في طريقهم.

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

أي أن المسلم الكامل في إيمانه ودينه هو من حسنة معاملته للناس ابتغاء مرضاه الله، فحافظ على حقوق خلقه، وكف أذاه وشره عن عباده، « والمهاجر الكامل الصادق في هجرته هو من ترك كل ما نهى الله عنه من المعاصي، سواء كانت من الأقوال الكريهة، أو الافعال الذميمة.

(١) المسند، (ج ٣ / ص ٤٦٨)، رقم ١٥٨٨٧ ، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجال ثقات

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٢)، رقم ٦٤٨٤

## ٣٤. شفاعة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم

قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بِلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا حَلَفُهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيشَةِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: ٢٦-٢٨]

لقد تفضل الله تعالى على عبادة المؤمنين بشفاعة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم فهو صاحب الشفاعة الكبرى وحامل لواء الحمد والمقام المحمود له يوم القيمة. ولا ينكر شفاعة النبي إلا أهل البدع والضلالة. فالشفاعة ثابتة بنص الكتاب والسنة فمعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ الانبياء يشفعون، والشهداء يشفعون، والصالحين يشفعون، وأفراد من الأمة يشفعون، والقرآن والصوم يشفعون، وتبقى بقية لا تناهم الشفاعة، فيخرجهم رب العالمين برحمته، ولا يبقى في النار إلا الكفراة بعد خروج العصاة.

والنبي صلى الله عليه وآلـه وسلم صاحب الشفاعة الكبرى يوم القيمة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبُعُ بَيْهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانَ اشْفُعْ يَا فُلَانَ اشْفُعْ حَتَّى تَتَّهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ»<sup>(١)</sup>. ولا ينال الشفاعة إلا من كان من أهلها الذين فيهم شرطها وهي:

أولاً: التوحيد شرط الشفاعة: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَنَعْجَلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي أَخْبَاتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>

فالتوحيد اهم اسباب الشفاعة واسعد الناس بالشفاعة من وحد الله خالصا من قلبه، عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَّتُ يَا أَبَا هَرِيرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْ مِنْكَ

(١) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٨٦)، رقم ٤٧١٨

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١١١)، رقم ٥١٢

لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،  
خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الاذن في الشافع والمشفوع له من الله: إنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي يَشْفَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَهِيَ كَرَمٌ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْكَرِيمُ لَرْفَعَ مِنْزَلَةَ الشَّافِعِ أَمَامَ الْخَلَائِقِ بِتَجَاوِزِهِ عَنِ الْمَشْفَوْعِ لَهُ وَلَا تَحْصِلُ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [آيةُ الْكَرْسِيِّ]

ثالثاً: رضاه عن المشفوع: كما قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَحْسِنَتِهِ مُشْفِقُونَ) [الأَنْبِيَاءُ: ٢٨]، وَاللهُ تَعَالَى لَا يَرْضِي مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ، مُوَافِقًا لِشَرِيعَهُ. وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الثَّابِتَةُ، قَالَ تَعَالَى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)

[طه: ١٠٩]

وليس النّاس هم الذين ينصبون شفعاء من أنفسهم وهذه شفاعة منفيّة قال تعالى (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولُوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ. قُلْ اللهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الزمر: ٤٣ - ٤٤]، عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاتَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي عَضِيَّةٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ هَذَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هَذَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هَذَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هَذَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا هَذَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيَوْدُنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَمِّدًا أَحْمَدُهُ هَذَا لَا تَحْضُرُنِي إِلَّا فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ وَأَخِرُّهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفِعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانِكَ فَأَنْطَلِقْ فَأَغْفُلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفِعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَمَّتِي فَيَقُولُ

انطلق فآخر جه منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فآخر جه فانطلق فأفعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسأله تعط واسفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول انطلق فآخر جه من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فآخر جه من النار فانطلق فأفعل<sup>(١)</sup>

\* \* عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صل على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تُبغي إلا عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألي الوسيلة حللت له الشفاعة»<sup>(٢)</sup>

يقول ابن القيم<sup>(٣)</sup>: "في إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتمل حديث عبد الله بن عمرو على ثلاثة منها والرابعة أن يقول ما رواه مسلم عن سعيد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضي بالله ربنا وبمحمد رسوله وبالإسلام ديننا. غفر له ذنبه»<sup>(٤)</sup>، والخامسة أن يدعو الله بعد إجابة المؤذن وصلاته على رسوله صلى الله عليه وسلم وسؤاله له الوسيلة لما في سنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو أن رجلاً قال يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تعطه»<sup>(٥)</sup>". «اللهم صل على محمد وأزواجه وذرتيه كما صلنت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذرتيه كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد حميد»<sup>(٦)</sup>. اللهم إنما نسألك شفاعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١٤٦)، رقم ٧٥١٠

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٤)، رقم ٨٧٥

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، (ص: ٣٧٣)

(٤) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٤)، رقم ٨٧٧

(٥) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٢٠٧)، رقم، وقال الألباني: حسن صحيح

(٦) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٤٦)، رقم ٣٣٦٩

## ٣٥. حقوق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الرَّكَأَةَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ) [النور: ٥٦]

لقد أرسل الله تعالى رسوله محمداً صلوات الله وآياته عليه بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين فقال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنباء: ١٠٥]

ولقد فرض الله تعالى على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات التي تثبت صدق شهادتهم بأنّ محمداً رسول الله التي تعني في مجملها: "طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر والا يعبد الله الا بما شرع". ولزاماً على كلّ مسلم أن يعرف تلك الحقوق ويلتزم بها اعتقاداً وقولاً وعملاً ويتعبّد الله بها ليفوز برضى الله سبحانه وتعالى. ومن هذه الحقوق:

أولاً: الإيمان به وتصديقه فيما جاء به ولا يتم الإيمان بالله من دون الإيمان به ولا تحصل النّجاة والسعادة من دون اتباعه، إذ هو الاهادي للطريق إلى الله سبحانه، قال تعالى: (فَامْنُوا  
بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ) [التغابن: ٨]

ثانياً: وجوب محبتة صلوات الله وآياته عليه: عَنْ أَنْسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُؤْمِنُ  
أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(١)</sup>

ثالثاً: تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله وتقديره: قال تعالى: (فَالَّذِينَ آتَمُوا  
لَهُ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف:  
١٥٧] قال البيهقي: "ولا خلاف في أن التعزير هنا التعظيم وقال تعالى: (لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ  
وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفتح: ٩]"، فأبان أنّ حق رسول  
الله صلوات الله وآياته عليه في أمته أن يكون معززاً مهيباً ولا يعامل بالاسترسال والمباسطة كما يعامل  
الاكفاء بعضهم بعضاً، وهذه منزلة فوق المحبة، لأنّه ليس كلّ محبّ معظّماً... فحقّ علينا  
إذاً أن نحبّه ونجلّه ونعظمّه ونحييه أكثر من إجلال كلّ عبد سيده وكلّ ولد والده، وبمثل

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢)، رقم ١٥

هذا نطق الكتاب، ووردت أوامر الله جل ثناؤه<sup>(١)</sup>

رابعاً: وجوب طاعته عليه وليه والتحاكم إليه والرضا بحكمه: فمن آمن به وأحبّه وعظمه وجّب عليه طاعته ولا تتم طاعة الله تعالى الا بطاعته فجعل تعالى طاعة رسوله طاعة له، فقال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ) وفي طاعته الهدایة (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)، والرحمة (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) والتحاكم اليه والى شريعته علامه على صدق الآيات قال تعالى: (فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيهَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [ النساء: ٦٥]

خامساً: وجوب اتباعه وامثال سنته والاقتداء بهديه في أقواله وأفعاله وأحواله، وهذا علامه على حب الله عز وجل (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران: ٣١]، أي تدعون محبته وتريدون موذنه (فَاتَّبِعُونِي) أي: اتبعوا شريعتي وستي (يُحِبِّكُمُ اللَّهُ)، وحبه منه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وذلك قوله: (وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، قال صلى الله عليه وسلم: «... فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْنَةِ الْخَلَفَاءِ الْمُهَدِّيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَصُّوَا عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدِّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدُعَةٍ وَكُلَّ بِدُعَةٍ ضَلَالٌ»<sup>(٢)</sup> وقال عليه «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٣)</sup>

قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأناقل: ٣٣]، الرسول عليه هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أمتت سنته فانتظر البلاء والفتنة.

سادساً: الصلاة عليه والتسليم عليه كلما جرى ذكره قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦] عن أنس

(١) البيهقي، شعب الآيات، (ج ١ / ص ٥٢٧)

(٢) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٢٩)، رقم ٤٦٠٩، وقال الألباني: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ٢)، رقم ٥٠٦٣

بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِئَاتٍ»<sup>(١)</sup>. اللهم صل على محمد وآل محمد.

من عرف النبي صلى الله عليه وآلها وسلم حق المعرفة احبه ومن احبه طلب مرافقته في الجنة كما في حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال كنت أبيب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأتته بوضوئه وحاجته فقال لي «سل» فقلت أسألك مرافقتك في الجنة. قال «أَوَغَيْرَ ذلِكَ» قلت هو ذاك. قال «فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٢)</sup>

وبعد ان سأله اعرابي ناقة يركبها وأعنزا يحلبها رغب النبي صلى الله عليه وسلم محبيه على سؤال مرافقته في الجنة، قال عليه السلام: «أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»؟ قالوا: يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل؟ قال: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مَضْرَرٍ ضَلُّوا الطَّرِيقَ» فقال: ما هذا؟ فقال علما بهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موئلاً من الله أن لا نخرج من مضر حتى نتقل عظامه معنا قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قال: عجوز من بنى إسرائيل بعث إليها فاتته فقال: دلني على قبر يوسف قال: حتى تعطيني حكمي قال: وما حكمك؟ قال: أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه: أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقالت: أنضبوها الماء فانصبواه فقالت: احنفروا فاحتقرروا فاستخر جعوا عظام يوسف فلما أقبلواها إلى الأرض وإذا الطريق مثل ضوء النهار<sup>(٣)</sup>، أي كانوا مثل هذه العجوز ذات الهمة العالية التي تطلب أعلى المراتب، وهي مرافقة موسى عليه السلام في الجنة ولم تطلب الدنيا الفانية، مثل طلب الاعرابي الذي لم يكن همه إلا ناقة يركبها أو اعنزا يحلبها.

(١) المسند، (ج ٣ / ص ١٠٢)، ١٢٠١٧، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح اسناد حسن

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٥٢) رقم ١١٢٢

(٣) الألباني، التعليقات الحسان، (ج ٢ / ص ١٤٥)، رقم ٧٢١، وقال: صحيح لغيره، [العرب يطلقون العظام ويريدون البدن كله، لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء]

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

\* \* عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال «ثلاثٌ منْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمُرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ يَكُرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>

ومن علامات ذلك كمال الطاعة، وتمام المتابعة، قال ابن رجب رحمه الله : "فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أو جب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضي الله ورسوله، ويستخط ما يستخط الله ورسوله، وأن يعمل بجواره بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجواره شيئاً يخالف ذلك، فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله، مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة"<sup>(٢)</sup>

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنْسٌ فَمَا فِرْحَنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنْسٌ فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ<sup>(٣)</sup>

وفي هذا الحديث بشاره للمحبين الصادقين الذين يعملون على قدر استطاعتهم وقصرت بهم أعمالهم عن اللحاق بنبيهم والصالحين من أمته، فالله يتفضل عليهم برحمته بإدخالهم مع من يحبون من عباده الصالحين. اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وأهل بيته وصحابته والصالحين من أمته وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢)، رقم ١٦

(٢) جامع العلوم والحكم، (ج ٢ / ص ٣٩٦)

(٣) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٢)، رقم ٣٦٨٨

## ٣٦. حقوق أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَ كَأَحَدٍ مِنَ النَّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتِنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ وَلَا تَبَرُّجْ حَنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَأَتِيَنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). [الاحزاب: ٣٢-٣٣]

لم تخف منزلة أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم يشهد بالله ربنا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، فهم جمعوا بين شرف القربى وشرف الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبا ويكفي هذه المنزلة في معرفة حقوقهم وعلى قدرهم عند المسلمين.

روى البخاري في صحيحه أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: "وَالله لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَّ مِنْ قَرَابَتِي" (١).

فمن هم أهل بيته؟ أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين وردوا في حديث زيد بن أرقم الذي رواه مسلم والذي خطب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "أَمَّا بَعْدُ، إِلَّا أَئِهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيْكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوْهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُّدُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ : وَأَهْلُ بَيْتِي أَذَكْرُكُمُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذَكْرُكُمُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذَكْرُكُمُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي" فقال له حُصَيْنُ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قال: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلِكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمَ الصَّدَقَةَ بَعْدُهُ، قال: وَمَنْ هُمْ؟ قال: هُمْ أَلْ عَلَيِّ وَأَلْ عَقِيلٍ، وَأَلْ جَعْفَرٍ، وَأَلْ عَبَّاسٍ قال: كُلُّ هُؤُلَاءِ حُرْمَ الصَّدَقَةَ؟ قال: نَعَمْ (٢).

(١) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ٩٠)، رقم ٤٠٣٥

(٢) صحيح مسلم، (ج ٧ / ص ١٢٢)، رقم ٦٣٧٨

إذن هم الذين حرّمت عليهم الصدقة، وبهذا القول قال جمهور العلماء. وهم أزواجاًه وذرّيّته، وكل مسلم ومسلمةٌ من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف.

والدليل على أن زوجات الرجل من أهل بيته قول الله تعالى حاكيا قول الملائكة عن إبراهيم وزوجته: (قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ) [هود: ٧٣]، ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يكن معه إلا زوجته.

وقول الله تعالى عن موسى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آتَيْتُكُمْ مِنْهَا بِخَيْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [القصص: ٢٩] وليس مع موسى إلا زوجته.

وفي حديث الألف الذي رواه البخاري فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»<sup>(١)</sup> والمقصود في هذا الحديث عائشة رضي الله عنها.

ودخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في الآية دلت عليه السنة في حديث عائشة الذي رواه مسلم قالَتْ عائشةً : «خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاءً وَعَلَيْهِ مِرْطُ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلَيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا)»<sup>(٢)</sup>

وخير القول كلام الله تعالى في زوجات النبي ﷺ: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ) [الاحزاب: ٦]، هذا القول الكريم، يسمعه المؤمن فيمتلىء قلبه حبا لأمهاته وفخرها بهن وإعظامها وإجلالاً لمن شاركن الرسول صلي الله عليه وسلم في ضرائه

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١٧٣)، رقم ٢٦٦١

(٢) صحيح مسلم، (ج ٧ / ص ١٣٠)، رقم ٦٤١٤

وسرائه، وصبرن معه على شطف العيش ومشاق الدعوة وتبلیغ الرسالة.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: «شرف الله تعالى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعلهن امهات المؤمنين اي: في وجوب التعظيم والمبرة والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وحججهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الامهات»<sup>(١)</sup>

قال ابن قدامة المقدسي: «ومن السنة الترمذية عن ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم امهات المؤمنين المطهرات المبرأت من كل سوء افضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم»<sup>(٢)</sup>

اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ایثارا منهن لذلك على الدنيا وزيتها فأعد الله لهن على ذلك ثوابا جزيلا واجرًا عظيمًا قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا إِرْأَوْجِلَكَ إِنْ كُتْنَنَ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَ وَأَسْرَ حَكْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُتْنَنَ تُرِدْنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا) [الاذاب: ٢٩ - ٢٨]

عقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الافراط والتغريط، والغلو والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنهن يتولّونهم جميعاً قرابته وذرّيته وزوجاته، يحبونهم، ويُبنون عليهم، ويُنزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والانصاف، ويرون أن شرف فضل النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحسينين، ومن لم يوفق للإيمان، فإن شرف النسب لا يفيده شيئاً، وقد قال الله عز وجل: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ)، قال عليه السلام: «وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ تَسْبِبُهُ»<sup>(٣)</sup>

(١) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٤ / ص ١٢٣)

(٢) ملحة الاعتقاد، ص ٢٩

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٧١)، رقم ٢٨٧٠، ينظر، العباد، عبد المحسن، فضل اهل البيت

قال الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم .... فرض من الله في القرآن أنزله  
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم .... من لم يصل عليكم لا صلاة له  
\*\* قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصْلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا) [الاحزاب: ٥٦]

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أئمه قالوا: يا رسول الله كيف نصل إلى الله؟ فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذراته، كما صليت  
على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذراته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد»  
(١)

حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وذراته والصلة عليهم واجب  
على كل مسلم، لأمر النبي ﷺ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما  
يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي حبي» (٢)  
فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه  
الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته. فالذي يدعي حب الله ورسوله إن لم ي عمل وفق  
أمر الله ورسوله فهو كاذب في دعواه، فالمشهد من كل محب ان يرضي من أحب، فنجد  
من يحب إنساناً يسعى بكل جهوده ليرضيه ويعمل بما يريد حتى يرضي، وакبر برهان على  
المحبة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُوْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي  
يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ  
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [آل عمران: ٣١-٣٢]

وعلو مكانتهم عند أهل السنة، (ج ١ / ص ١٣)

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٤٦)، رقم ٣٣٦٩

(٢) الحاكم، المستدرك، (ج ٣ / ص ٤٧١٦)، رقم ٤٧١٦، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح

## ٣٧. الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه السيد الذي جمع كلمة الامة

قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوْدَّةِ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدُهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) [الشوري: ٢٣]

الامة الاسلامية أمّة ولودها القابلية على إنجاب الرجال وصنع القادة لأنّها مبنية على عقيدة ربّانية أساسها العلم واليقين والاخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول، منزلة بوحي من الله على سيد ولد آدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

من هؤلاء القادة من أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه، رجل تربى على عين النبي ﷺ منذ أول يوم من ولادته، حيث سماه النبي ﷺ حسنا. فهو اسم على مسمى فهو يحمل معاني هذا الاسم بكل تفاصيلها، ويحمل صفات من سماه خلقاً وخلقاً، عن عقبة بن الحارث، قال: "صلّى أبو بكر رضي الله عنه العصر، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: يا بني، شبيه ببني لا شبيه بعليٍّ وعليٍّ يضحك" (١)

وصفة النبي ﷺ بالسيادة في الدنيا وفي الآخرة، عن أبي بكر، سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم، على المبر واحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة، ويقول: «أبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلاح به بين فتنتين من المسلمين» (٢). وقوله، عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الحسن وحسين سيدا شباباً أهل الجنة» (٣)

وأي شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله صلّى الله عليه وسلم سيدا؟ والسيد من ساد يسود إذا فاق قومه في حامد الخصال حتى قدموه على أنفسهم، واعترفوا له بالفضل،

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٨٧)، رقم ٣٥٤٢

(٢) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ٢٦)، رقم، ٣٧٤٦

(٣) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٦٥٦)، رقم ٣٧٦٨، وقال: حسن صحيح

وملاكه بذل الندى، وكفّ الاذى، واحتمال العظام، وأصالة الرأي، وفصاحة اللسان.  
والسيّد الحليم قالوا السيّد التقى وقال قوم السيّد الكريم على ربّه.

والسيّد في اصطلاح الشرع من يقوم بإصلاح حال النّاس في دنياهم وأخراهم معاً. وقد كان الحسنُ جاماً لخصال السؤدد الشرعيّ، فهو السيّد بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ تخصّ البشر فهو سيد في دينه وورعه وخلقته وتواضعه وكرمه وحلمه وعفوه وتسامحه.  
وما يشهد بذلك وأبرز دليل على سيادته رضي الله عنه يتمثّل بتنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلم يكن قرار الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهمَا حدثاً عابراً ولا قراراً آنياً خاضعاً لهوى النفوس والمصالح الشخصية، ولكن كان قراراً تاريخيّاً نابعاً من عقيدة صادقة ابنيّ عليها تصوّر كامل للحياة الإسلاميّة وتفاصيلها، وتقديم مصلحة الأمة ووحدتها على ما تريده النفس وتهواه من حبّ الدنيا والسلطان، ويمكن أن نلمح من خلال هذا الصلح ظهور معجزتين للنبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلم:  
**المعجزة الأولى:** وصف النبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلم بالسيّد، «ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِّح به بيَنَ فَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» تحقّق هذا الحديث في أسمى صوره في الإمام الحسن عليه السلام حيث ثبتت له السيادة قولـاً وعملاً، وحسبك من ذلك أنّ الله تعالى أصلح به بين فتئين من المؤمنين بتنازله عن حقّه بالخلافة بجمع كلمة الأمة وإعلاء رايته من جديد بعد أن كبرتها الأولى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

**المعجزة الثانية:** إنّ خلافته تأمـل الثالثين سنة التي ذكرها النبيّ صلّى الله عليه وسلـم في الحديث المروي عن سفيينة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلـم: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتَى اللهُ الْمُلْكُ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكُه مَنْ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>  
قال ابن كثير رحمـه الله: "وهكذا وقع سواء فإنّ أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٤٣)، رقم ٤٦٤٩، وقال الالباني: حسن صحيح

ستين وأربعة أشهر لا عشر ليال وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة الا اثنا عشر يوما وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين الا شهرين، قلت: وتكمل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوها من ستة أشهر حتى نزل عنها معاوية عام أربعين من الهجرة<sup>(١)</sup>

من ذلك يظهر حرص أهل بيته على العمل بالسنة وفي أحلك الظروف، عند الغضب والرضا وعند المصائب والشدائد، وحرصهم على وحدة المسلمين وألفتهم فالحسن بن علي رضي الله عنه علم من أعلام النبوة، وتركه الملك وهو بيده وحده لرغبة فيها عند الله لما رأه من حقن دماء المسلمين ومصلحة الأمة، حالة لم يشهد لها التاريخ مثيلا لأنها معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعجزات قليلا ما تتكرر. فمن أراد الاقتداء بآل البيت فها هي أقوالهم وأفعالهم.

\* \* \* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُوقٍ مِّنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: «أَيْنَ لَكُु - ثَلَاثًا - ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلَيِّ». فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيِّ يَمْشِي وَفِي عُنْقِهِ السَّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَّزَمَهُ { وفي الرواية الأخرى عن أبي هريرة أيضا فجاء يشتدد حتى عانقه }، وَقَبَّلَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبُّهُ، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ<sup>(٢)</sup>. { لَكَع : الصغير، السخاب: قلادة تُتَّخذ من قرنفل وطيب ونحوه }

اوثق عرى اليمان الحب في الله والبغض في الله، وحب اهل بيته من النبي من الدين، وحبهم من حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم انا نشهدك على حبنا لنبيك واهل بيته وبغض من يبغضهم، فتقبل منا وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين يا ارحم الراحمين.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (ج ٦ / ص ٢٢٠)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ١٥٩)، رقم ٥٨٨٤

## ٣٨ . شواهد الحق بين الچفاء والخلو في استشهاد

## الحسين رضي الله عنه

قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو تَسْدِيْلًا) [الأحزاب ٢٣].

عندما تضعف الامم أو تنتكس تستذكر بطولات رجالها فتصحو وتنهض، يموت الرجال ليقى الاسلام وتحيا القلوب بالعقيدة والسنّة، وينعم النّاس وتخضر الارض بدين الرحمة ونبي الرحمة، ولا تنازل عن أي أمر من أوامر الشريعة أو تعدى حدودها. كان الحسين رضي الله عنه من أولئك الرجال الذين تربوا على العقيدة الصحيحة والعمل بالسنّة تحت كنف النبي صلّى الله عليه وسلم، وقد شرق الناس وغربوا بعد الملحمة البطولية التي استشهد فيها الحسين ومن معه فمن الناس من انساق وراء العاطفة فأخذته إلى المغالاة فيه حتى عبده من دون الله ومنهم من حكمته الظروف السياسية حتى عاده وتبرأ منه، ومن بين هؤلاء وهؤلاء من بقي ملتزمما بالأحكام الشرعية لم يتأثر بالعواطف ولم يلتفت إلى السياسة فأعطى الحسين حقه وسار على طريقه وتبرأ من قتلته ولم يحكم عليهم بهوى النفس والمصلحة الخاصة. فلماذا خرج الحسين إلى العراق ومن المسؤول عن قتله ومن قتله معه وما هو موقف أهل السنّة من قتله؟

## السؤال الأول: لماذا خرج الحسين إلى العراق؟

كان خروج الحسين رضي الله عنه أمرا مقدورا من الله سبحانه وتعالى لحكمة هو يعلمها هذا الخروج كان الدافع له أسباب كثيرة منها:

أولاً: نقض شروط الصلح الذي تم بين الحسن بن علي رضي الله عنهم وبين معاوية رضي الله عنه والتي نص فيها على جعل الامر شورى بين المسلمين بعد وفاة معاوية وبعد تولية يزيد نقض هذا الشرط ولم يعد في عنق الحسين بيعة توجب عليه السمع والطاعة لينشد<sup>(1)</sup>:

(١) الصلاي، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، (ج ٢ / ص ١٣٣)

ثانياً: تتابع الكتب من أهل الكوفة يطلبون منه القدوم ليكونوا له أنصاراً. من الأسباب التي دفعت الحسين رضي الله عنه للخروج إلى الكوفة. وشعور الحسين رضي الله عنه بالخطر عليه في مكة بعد رفضه بيعة يزيد فهو يعلم أنّ يزيد لم يتركه حتى يباغط سواء كان راضياً أو كارهاً، فلذلك خرج من مكة حتى لا تستحلّ بدمه فقال لابن عباس عندما نصحه بعدم الخروج: «لأنّ أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إلى من أنّ أقتل بمكة وتستحلّ بي»<sup>(١)</sup>.

**السؤال الثاني: من المسؤول عن قتل الحسين رضي الله عنه؟**

أولاً: الذي ولّي قتل الحسين سنان بن أنس النخعي والذى حرض الجيش عليه وحمل بهم عليه شمر بن ذي الجوشن. وعمر بن سعد الذي تولّ قيادة الكتيبة التي اعترضت الحسين.

ثانياً: عبيد الله بن زياد والي العراق الذي أرسله يزيد بن معاوية. حيث يتحمّل المسؤولية بكل دقائقها لأنّه هو الذي رفض اقتراحات الحسين رضي الله عنه لمنع القتال ودرء الفتنة ومنع الحسين من الرجوع أو الذهاب إلى يزيد وأصرّ على طلب النزول على حكمه أو القتال.

ثالثاً: أهل الكوفة: فهم الذين دعوا الحسين رضي الله عنه لينصروه ونقضوا العهود وقتلوه. قال المسعودي: «وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامي». ودعوة الحسين عليهم قبل قتله تؤكّد مسؤوليتهم عن قتله. قال المسعودي: «فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنّه لا محيس له، فقال: اللهم احکم بيننا وبين قوم دعوانا لينصرونا ثم هم يقتلوننا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه»<sup>(٢)</sup>

رابعاً: يزيد بن معاوية: يتحمّل المسؤولية الكاملة عن مقتل الحسين رضي الله عنه بالرغم من إنكاره الظاهر لقتله لأنّ الجيوش كانت تحت قيادته وتصدر عن أمره. إنّ

(١) الطبراني، (ج ٣ / ص ١١٩)، رقم ٢٨٥٩

(٢) المسعودي، مروج الذهب، (ج ١ / ص ٣٧٤)

مقتل الحسين رضي الله عنه سيظلّ وصمة عار ونقطة سوداء في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

**السؤال الثالث: من الذي قُتِلَ مع الحسين رضي الله عنه من آل بيته؟**

قال الحسن البصريّ: «أُصِيبَ مَعَ الْحَسِينِ سَتَّةً عَشَرَ رَجُلًا مِّنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَهْلَ بَيْتٍ لَّهُمْ شَيْهُونَ»<sup>(١)</sup>.

فمن أولاد علي رضي الله عنه جعفر والحسين والعباس ومحمد وعثمان وأبو بكر ومن أولاد الحسين على الأكبر وعبد الله وأبو بكر.

ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة عبد الله والقاسم وأبو بكر.

وقتل مسلم بن عقيل في الكوفة قبل وصول الحسين.

وأنسر علي بن الحسين زين العابدين وعمر بن الحسين<sup>(٢)</sup>

**السؤال الرابع: ما هو موقف الصحابة من قتل الحسين رضي الله عنه؟**

لم يسجل التاريخ موقفاً واحداً لأيّ صحابيّ رضي بقتل الحسين رضي الله عنه حتى من الذين بايعوا يزيد ورضوا به خليفة بل نصح الكثير من الصحابة رضي الله عنهم الحسين رضي الله عنه بعدم الخروج وأشفقوه عليه وأنكروا مقتله.

**السؤال الخامس: ما هو موقف أهل السنة من قتل الحسين رضي الله عنه؟**  
 لا بدّ من التفريق بين موقف أهل السنة والجماعة وموقف النواصب الذين نصبووا العداء لأهل البيت عليهم السلام، حيث يسعى البعض إلى الخلط بين الموقفين وإلصاق تهمة العداء لأهل البيت بأهل السنة والجماعة لتنفيذ الناس منهم وعدم اتّباع منهجهم الصحيح في الاقتداء برسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّمـ.

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، (ج ١ / ص ٢٣٥)

(٢) ينظر، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، (ج ٣ / ص ٣٤٣)، ابن كثير، البداية والنهاية، (ج ٨ / ص ٢٠٥-٢١٢)

ولا بد أن يعلم المسلم أن النواصب فرقة ظهرت واندثرت ولا يوجد اليوم من يقول بقولها على حد علمنا. و موقف أهل السنة يتبيّن من خلال علمائهم الأفذاذ الذين عرفوا الحقّ واتّبعوه وانقادوا للأوامر الشرعية بعيداً عن العاطفة وبعيداً عن أهل الاهواء ومصالح السياسة.

يتبيّن ذلك من قول الامام أحمد بن حنبل الذي عليه معتقد أهل السنة قال صالح بن أحمد بن حنبل : "قلت لأبي : إن قوماً يقولون : إنهم يحبون يزيد . قال : يابني و هل يحب يزيد أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت : يا أباٰت فلماذا لا تلعنـه؟ قال : يابني و متى رأيت أباك يلعن أحداً؟ ، وروي عنه قيل له : أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية؟ فقال : لا، ولا كرامة أوليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟"<sup>(١)</sup>

\* \* \* عَنْ يَعْلَىْ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُسَيْنٌ مِّنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مِنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبِطٌ مِّنَ الْأَسْبَاطِ»<sup>(٢)</sup>

وعند البخاري عن ابن أبي نعيم، قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسائله رجلاً عن دم البعض، فقال: منْ أنت؟ فقال: منْ أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعض، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «هُمَا رَيْخَانَتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>

ونحن نقول: اللهم إنا نبرأ إليك من قتل الحسين ومن أعان على قتل الحسين ومن رضي بقتل الحسين ولا نقول الا ما قاله نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما مات ولده إبراهيم، «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفَرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمْحُزُونُونَ»<sup>(٤)</sup>، فنقول إنما لفقدك لحزونون أبا عبد الله، فإنما الله وإنما إليه راجعون اللهم آجرنا في مصيبتنا واحلف لنا خيرا منها.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج ٣ / ص ٤١٢)

(٢) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٦٨٥)، رقم ٣٧٧٥، وقال: حديث حسن

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٧)، رقم ٥٩٩٤

(٤) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٨٣)، رقم ١٣٠٣

### ٣٩. حقوق صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: (مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَغَيَّبُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزْعُ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعِجِّبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيَظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩]

صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم آل بيته هم خير الناس على الاطلاق وصفوة هذه الامة بعد رسولها، وأن الامة بعدهم لا يبلغوا مراتبهم ولا يدانوهم في الفضل وذلك لأن الله تعالى شهد لهم في آيات كثيرة بالإيمان والعدالة والرضا عنهم وخطابهم بقوله: (كُتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمِرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]

الصحابي: هو من لقي النبي مؤمنا به ومات على ذلك.

وأفضل الصحابة المهاجرين والأنصار وقد شهد الله تعالى لهم بالإيمان وزكاهم ووعدهم بالغفرة والجنة بقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْأَوْا وَنَصَرُوا أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأفال: ٧٤]

وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه في أكثر من آية ووعدهم جنات تحجري من تحتها الانهار قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأُولَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَحْجَرِي لَهُنَّا الْأَمْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبه: ١٠٠]، وهذا دليل على أن المهاجرين والأنصار لم يرتدوا بعد النبي كما يزعم البعض، لأنه ليس من المعقول أن يقول الله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات)، وهو يعلم أنهم سيرتدون فهذا طعن في علم الله تعالى وهو العليم الحكيم الذي أخبر أنه علم بواطنهم وقال: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةَ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) [الفتح: ١٨] وأضاف الله تعالى الذين آمنوا وهاجروا بعد هؤلاء إلى المهاجرين والانصار فقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) [الأనفال: ٧٥] وجعل الله تعالى منزلة من آمن قبل الفتح أعظم درجة من الذين آمنوا من بعد الفتح ووعد الجميع بالجنة فقال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفُتْحِ وَقَاتَلَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَوْمَنَ حَبِيبٌ) [الحديد: ١٠]

وقد يلتبس الامر على بعض الناس ويظنون أنّ في الصحابة منافقين لأنّ الله تعالى ذكر النفاق والمنافقين في كثير من الآيات.

نقول: إنّ النفاق ظهر في المدينة بعد هجرة النبي صلّى الله عليه وسلم في بعض اهل المدينة وبعض الأعراب فقال تعالى: (وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُّ تَعْلَمُهُمْ سَعْدَهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابِ عَظِيمٍ) [التوبه: ١٠١]، وقال تعالى (الْأَعْرَابُ أَشَدُ كُفْرًا وَنَفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيهِ حَكِيمٌ) [التوبه: ٩٧]

وليس في المهاجرين من مكة إلى المدينة ولا في الانصار الذين آروهم منافقون لأنّ الله عزّ وجلّ اطلع على بواطفهم وزكّاهم فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: ٢١٨]

وقد حذر النبي صلّى الله عليه وسلم من سبّ أصحابه وبين فضلهم على من جاء بعدهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «لَا تُسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحُدِ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(١)</sup>

عدالة الصحابة مقرّرة عقلاً كما هي مقرّرة شرعاً فلا يعقل أنّ هؤلاء الناس الذين

بذلوا المهج والاموال في سبيل نصرة هذا الدين وإيصاله إلى أقصى بقاع الارض أن يكونوا مرتدين عنه غير مؤمنين به. هذا لا ي قوله عاقل فمن ترك الايمان بعقيدة يستحيل أن يقول بنصرتها ويموت من أجل ذلك.

قال المنصور بالله: "لولا ثقل موازينهم في الشرف والدين ما تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومالوا عن إلف دين الآباء، والأتراب والقرباء إلى أمر شاق على القلوب، ثقيل على النفوس، لا سيما وهم في ذلك الزمان أهل الأنفة العظيمة والحمية الكبيرة، يرون أن يقتل جميعهم وتستأصل شأفتهم حذراً من أيسر عار يلم بساحتهم أو ينسب إلى قرابتهم، ولا أعظم عاراً عليهم من الاعتراف بضلالة الآباء، وكفرهم، وتفضيل الأنعام السائمة عليهم، فلو لا صدقهم في الإسلام ومعرفتهم لصدق الرسول - عليه السلام - ما لانت عرائصهم لذلك ولا سلكوا في مذلالات المسالك"<sup>(١)</sup>

وما يدل على صحة ذلك ويوضحه: أن أكثرهم تساهلاً في أمر الدين: من يتجرس على الإقدام على الكبائر، لا سيما معصية الزنا، فقد علمنا أن جماعة من أهل الإسلام في ذلك العصر من رجال ونساء وقعوا في ذلك فهم فيما يظهر لنا أكثر أهل ذلك الزمان تساهلاً في الواقع في المعاصي، وذلك دليل خفة الأمانة ونقصان الديانة، لكنّا نظرنا في حالهم فوجدناهم فعلوا ما لا يفعله المتأخرون إلا أهل الورع الشحيح، والخوف العظيم، ومن يُضرب بصلاحه المثل، ويقترب بحبه إلى الله عز وجل، وذلك أنهم بذلوا أرواحهم في مرضاة رب العالمين، وليس يفعل هذا إلا من يحق له منصب الإمامة في أهل التقوى واليقين، وذلك كثير في أخبارهم، مشهور الواقع في زمانهم.

من ذلك حديث المرأة التي زنت فجاءت النبي - صلى الله عليه وسلم - مقررة بذنبها، سائلة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقييم الحد عليها وحديث ماعز بطله الذي قال

(١) ابن الوزير، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (ج ١/ ص

اني زنيت فأقم علي كتاب الله.

فانظر إلى عزم هذه الصّحابية -رضي الله عنها- على أصعب قتلة على النفوس، وأوجع ميتة للقلوب، وبقاء عزّمها على ذلك هذه المدّة الطّويلة، ومطالبتها في ذلك غير مكرهة ولا متوانية، وهذا -أيضاً- وهي من النساء الموصوفات بنقصان العقول والأديان، فكيف برجاهن رضي الله عنهم!؟

فأخبرني على الإنصاف: من في زماننا، وقبل زماننا من أهل الديانة قد سار إلى الموت نشيطاً، وأتى إلى ولاة الأمر مقرّاً بذنبه، مشتاقاً إلى لقاء ربّه، باذلاً في مرضاه الله لروحه، ممكّناً للولاة والقضاة من الحكم بقتله؟

وهذه الأشياء تنبّه الغافل، وتقوّي بصيرة العاقل، وإلا ففي قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]. كفاية وغنية، مع ما عضدها من شهادة المصطفى -عليه السلام -بأنّهم خير القرون وبأنّ غيرهم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه، إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُوهُمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ٨-١٠]

«عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما تقول في عثمان؟ فقال له:

(١) ينظر، الروض الباسم، (ج ١ / ص ١١٠)

يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: (لِلْفُقَرَاءِ الْمَهَاجِرِينَ) قال لا قال: فو الله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ)، قال لا قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرج من الإسلام وهي قوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) [الحشر: ١٠] <sup>(١)</sup>

وأفضلهم العشرة المبشرين بالجنة عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» <sup>(٢)</sup>.

أهل السنة والجماعة متفقون على ان أفضل هذه الأمة: أبو بكر ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي أمير المؤمنين، ثم هؤلاء الستة تكملة العشرة المبشرين بالجنة من سيد العالمين وخاتم النبيين، فاهم بدر، فأهل بيعة الرضوان، فأهل أحد، فباقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

قال ابن رجب : "فأفضل الأعمال: سلامه الصدر من أنواع الشحناء كلها، وأفضلها السلام من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة. وبغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرونهم أو تبديعهم وتضليلهم، ثم يلي ذلك سلامه القلب من الشحناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم. ونصيحتهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه" <sup>(٣)</sup>  
اللهم إنا نقول كما أمرتنا وعلمنا (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٨ / ص ٣١)

(٢) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٦٤٧)، رقم ٣٧٤٧، وقال الالباني : صحيح

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي، (ج ٢ / ص ٣٩٦)

## ٤٠. الولاء والبراء

قال تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِئَكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَمْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْ لِئَكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: ٢٢]

لقد أولى الاسلام عناية كبيرة لمسألة الولاء والبراء وقطع الصلات بين المسلمين والكافر حفاظا على الإيمان وصيانة للشخصية الاسلامية من التمييع والاندثار نتيجة اختلاط المسلم بالأمم الأخرى.

الولاء شرعاً هو: حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الاسلام والمسلمين، ونُصرةُ الله تعالى ورسوله ودين الاسلام والمسلمين.

والبراء هو: بُغْضُ الطواغيت التي تُعبدُ من دون الله تعالى من الأصنام المادية والمعنية: كالآهوء والأراء، وبُغْضُ الكفر والكافرين بجميع ملهم، ومعادة ذلك كُلّه.

والولاء والبراء معتقد قلبي مرتب بالإيمان فكلما زاد الإيمان في قلب العبد زاد الولاء لله ورسوله والمؤمنين وزاد البراء من أعداء الله ورسوله وكلما نقص الإيمان نقص من الولاء والبراء بقدرها. قال تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ) فلا مودة بين المسلم وأعداء الدين الا بانسلاخ الإيمان من القلب، قال تعالى (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أُولَيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) [المائدة: ٨١]

يقول الرسول صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوْتَقَ عَرَى الْإِيمَانَ: الْمُوَالَةُ فِي اللهِ وَالْمُعَاذَةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»<sup>(١)</sup>

قال شيخ الاسلام: «فدل على أنَّ الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا

يجتمع الإيمان والخاذهم أولياء في القلب. ودل ذلك على أن من اتخاذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه<sup>(١)</sup> وعلى هذا الاساس تبني العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين بكل مللهم وقد جاءت الأدلة متظاهرة من الكتاب والسنة في تفصيل ذلك: فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءُ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤْدَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحُقْقِ) [المتحنة: ١]. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلَيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: ٥١]

ونهى الإسلام عن التشبيه بهم في أحواهم وأقواهم والاستنان بسننهم واتباع أهواءهم فقال تعالى: (وَلَا تَشَبَّهُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ) [المائدة: ٤٨] لأنّ بغضهم في القلب يوجب كراهة التشبيه بهم في هديهم الظاهر أو مشاركتهم في أعيادهم أو إعانتهم عليها أو تهنتهم بها أو قبول دعواتهم والاهداء لهم فيها، لأنّ هذا كله يؤدي إلى مودتهم وموالاتهم لذلك سدّ النبي صلّى الله عليه وسلم هذا الباب ونفر المسلمون منه، عن ابن عمر قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup> وقال: «ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإنّ تسليم اليهود الاشارة بالأصابع وتسليم النصارى الاشارة بالأكف»<sup>(٣)</sup>

وذلك لأنّ التشبيه بهم يؤدي إلى اضمحلال في شخصية المسلم وشعوره بالنقص والذلة، وعدم رغبته في منهج الله وشرعه والتنكر للإسلام وأهله والاقتداء بالكفر وأهله ويكون ذلك سبباً لحبّهم والثقة المطلقة بهم والولاء لهم.

وحذر القرآن من سلوك طرق اليهود والنصارى في التفرق والاختلاف قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) مجموع الفتاوى، (ج ٧ / ص ١٧)

(٢) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٧٨)، رقم ٤٠٣٣، قال الالباني: حسن صحيح

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيااته، (ج ٢ / ص ٩٥٦)، رقم ٥٤٣٤، قال الالباني: حسن

عظيم ) [آل عمران ١٠٥] وحذر من طرق المشركين في التحزب وقال تعالى: (ولَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ] الروم: ٣٢-٣١ [إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] [الأنعام: ١٥٩] بين سبحانه وتعالى أن رسوله بريء من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً، كما فعل أهل الكتاب، فهو يحذر من صنيعهم، وينهى عن سلوك طريقهم، فمن اتبع سنتهم في هذا التفريق، فالرسول بريء منه كما هو بريء من أولئك المفرقين من سالفي الأمم، فعلى فالمراد من هذه الآية: الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين ظناً منهم أن ذلك من الدين فليس الأمر كما يظنو، فإن الأمة لا يرضى الله عنها إلا بالاعتصام بكتابه والاجتماع على دينه وإن الوطن لا يرقى إلا بتعاون كل المقيمين فيه لإنجاحه، فالتفرق والعصبية تورث الشحناء والبغضاء بينهم وتؤدي إلى هلاكهم وسيطرة الأمم الأخرى عليهم.

\*\* قال تعالى: (لَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُنْجِرُ جُوْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [المتحنة: ٨]

هناك فرق بين البر والمؤدة فالنهي واقع على التوبي والمحبة لأجل الدين، والامر بالإحسان والبر واقع على الاحسان لأجل القرابة أو لأجل الجيرة أو الإنسانية على وجه لا يخل بدين الانسان، لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: قدمنت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: وهي راغبة، فأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك»<sup>(١)</sup>

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل عمه أبو طالب وعمه العباس لأنهم لم يقاتلونه في الدين ولا يصل عمه أبو هلب لأنه كان يحاربه.

اللهم إنا نسألك حبك وحبا من يحبك وحبا ييللغا حبك.

## ٤١. معرفة دين الاسلام بأدلة الشرعية

قال تعالى: (وَمَنْ يَتْبَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

[آل عمران: ٨٥]

من الاصول التي يجب على العبد معرفتها والعلم بها معرفة دين الاسلام بأدلة الشرعية. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوهُمْ فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَبْيَغُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: ٢٠٨]، كونوا على ملة واحدة، واجتمعوا على الاسلام واثبتوه عليه. فالسلم هنا بمعنى الاسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلات مراتب: الاسلام، والايمان، والاحسان. وكل مرتبة لها أركان.

### المرتبة الاولى: الاسلام

فأركان الاسلام خمسة: كما في حديث جبريل عليه السلام «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتنؤى الزكاة وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إلى سبيلا»<sup>(١)</sup>

فدليل الشهادة: قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ١٨]

و معناها: لا معبد بحق الا الله، وحد النفي من الايات (لا إله) نافيما يعبد من دون الله (الا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه. ودليل شهادة أن محمدا رسول الله: قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَتَّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبه: ١٢٨] (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمة بينهم) [الفتح: ٢٩]

و معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيها أمر، وتصديقه فيها أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر والا يعبد الله الا بما شرع.

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٢٨)، رقم ١٠٢.

ودليل الصّلاة، والزّكاة: قوله تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ) [البيتنة: ٥]

ودليل الصّيام: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ) [البقرة: ١٨٣]

ودليل الحجّ: قوله تعالى: (وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سِيَّلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٧]

### المরتبة الثانية: الإيمان

وأركانه ستة: كما في حديث جبريل «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: (لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ) [البقرة: ١٧٧]

ودليل القدر: قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ) [القمر: ٤٩]

والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقوة الإيمان في القلب تدفع الجوارح للعمل عن أبي هريرة قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الإِيمَانُ بِضُعْفٍ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضُعْفٍ وَسَتُونَ شُبْعَةً فَأَفْضَلُهَا قُولٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ وَالْحِيَاةُ شُبْعَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>

### المরتبة الثالثة: الإحسان

وله ركن واحد، كما في حديث جبريل: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَانَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(٢)</sup>، والدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) [النحل: ١٢٨] وقوله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَنَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٦٣)، رقم ٣٥

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٢٨)، صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٠)، رقم ١٠٢

والمراد بالإحسان خمسة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، والثاني: العفو. رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الاخلاص، والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، والخامس: أن تكون السريرة أحسن من العلانية.

ومن وصل إلى درجة الإحسان كان قلبه في أعلى درجات الأخلاص واعماله في أعلى درجات الاتقان فالعمل باوامر الملوك وهم لا ينظرون اليك يختلف عن العمل وانت امامهم فكيف اذا اعتقد العبد ان ملك الملوك ناظر اليه ومطلع على قلبه؟

هذا هو الإسلام والإيمان والإحسان فالمسلم في ثلات حصون تحيط به فمن خرج من دائرة الإحسان بقي في الإيمان والإسلام ومن خرج من دائرة الإيمان في بعض الأحيان بقي في دائرة الإسلام وهو على خير كثير وبين الخلق منازل لا يعلمها إلا الله.

\* قال تعالى: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِإِيمَانِنَّ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) [آل عمران: ١٩٣]

كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا إِيمَانَ وَزَيْنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعُصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْبِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَرَابِاً وَلَا مَفْتُونِينَ»<sup>(١)</sup>

عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمُوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍ»<sup>(٢)</sup>

(١) الادب المفرد، ص ٢٤٣، رقم ٦٩٩، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨١)، رقم ٧٠٧٨

## ٤٢. الموت

قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيَّسُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الجمعة: ٨]

الموت هو الزائر الذي ينتظره كل حي ونسيه الكثير من الناس، وهو نهاية الحياة الدنيا الذي تساوى فيه خيار الناس وشاراهم أغنياهم وفراوهم سادتهم وعيدهم فقال سُبْحَانَهُ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) [الأنبياء: ٣٥]، يفر منه الناس فيلقينهم قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيَّسُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الجمعة: ٨] قال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّ إِلَيْهِ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) [الزمر: ٤٢] وقال في آية أخرى: (قُلْ يَتَوَفَّ أَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكَلَّ بِكُمْ) [السجدة: ١١] وقال (حتى إذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) [الأعراف: ٦١]

قال القاسمي: ”المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فإذا حضر أجل العبد، أمر الله ملك الموت بقبض روحه، ولملك الموت أعون من الملائكة، يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده. فإذا وصلت إلى الحلقوم، تولى قبضها ملك الموت نفسه“<sup>(١)</sup>

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكر الموت فقال: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»<sup>(٢)</sup> [هادم اللذات: قاطعها] وذلك لما في ذكره من دافع للعمل بطاعة الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

عن البراء بن عازب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي اقْتِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيُضْرِبُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا

(١) القاسمي، محسن التأويل، (ج ٤ / ص ٣٨٧)

(٢) صحيح ابن حبان، (ج ٧ / ص ٢٦١)، رقم ٢٩٩٥، قال الألباني: حسن صحيح

(٣) الحنوط : هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة .

مِنْهُ مَدَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحِيِّءُ مَلَكُ الْمُوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةِ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَإِذَا أَخْدَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْخُنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْبَعُونَ بِهَا، فَلَا يُمْرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَتَهَوَّا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَقْتَحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يَتَهَوَّهُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلَّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكًا، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولُ لَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْاسْلَامُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعِثْتَ فِيْكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَأَمْنَتْ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادِيًّا فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَبِيهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قِبْرِهِ مَدَ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الشَّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسِّرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحِيِّيُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَّلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسْوَحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحِيِّءُ مَلَكُ الْمُوْتِ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَيْثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ الله وَغَضَبِ». قَالَ: «فَنُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَسْرُّعُهَا كَمَا يُتَنَزَّعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُوكِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخْدَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسْوَحِ،

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٌ جِفَةٌ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْبِدُونَ بِهَا، فَلَا يُمْرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَسِيبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحَ لَهُ، فَلَا يُفْتَحَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تُفْتَحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجُ الجَهَلِ فِي سَمَّ الْخَيَاطِ} [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا». ثُمَّ قَرَأَ: (وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ، فَكَانَتْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: ٣١] «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسِيدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكًا، فَيُجْلِسَاهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعْثَتِ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرَّهَا، وَسُمُومُهَا، وَيُصِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَصْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِحُ الْوَجْهِ، قَبِحُ الْثِيَابِ، مُنْتَنِي الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلْكَ الْحَسِيبُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقْمِ السَّاعَةَ<sup>(١)</sup>

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ لِقاءً هُوَ وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا نَكْرُهُ الْمُوتَ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ كَرَاهِيَةُ الْمُوتِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حُضِرَ جَاءَهُ الْبَشِيرُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ فَيَسِّ شَيْءٌ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَحَبَ اللَّهُ لِقاءَهُ وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَوْ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ جَاءَهُ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ مِنْ الشَّرِّ أَوْ مَا يَلْقَاهُ مِنْ الشَّرِّ فَكَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ»<sup>(٢)</sup>

(١) المسند، (ج / ٤ / ص ٢٨٧)، رقم ١٨٥٥٧، صحيح الجامع الصغير، (ج ١ / ص ٣٤٦)، رقم ١٦٧٦، وقال الالباني: صحيح

(٢) المسند، (ج / ٣ / ص ١٠٧)، رقم ١٢١٦٦، شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

\*\*\* قال تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمُوتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) [ق: ١٩]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفَضَلُ؟ قَالَ: «أَحَسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذُكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُطَّابِيِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقُنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup> وَقَالَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ (مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُولُونَ عَلَى جَنَارَتِهِ أَرْبَاعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ)<sup>(٤)</sup>. وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مَلِكُ الْمَوْتَ إِلَى نُوحٍ، فَقَالَ: يَا أَطْوَلَ النَّبِيِّنَ عَمْرًا كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا وَلَذْتَهَا؟ قَالَ: كَرِّبَلَ دَخَلَ بَيْتًا لَهُ بَابًا، فَقَامَ وَسَطَ الْبَيْتَ هَنْيَةً، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم وخرّبتم آخرتكم فأنتم تكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب.

### الشيوخين

(١) سنن ابن ماجه (ج ٢ / ص ١٤٢٣)، رقم ٤٢٥٩، وقال الالباني: حسن

(٢) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٣٧)، رقم ٢١٦٢

(٣) سنن أبي داود، (ج ٣ / ص ١٥٩)، رقم ٣١١٨، وقال الالباني: صحيح

(٤) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٥٣)، رقم ٢٢٤٢

## ٤٣. عذاب القبر

قال تعالى: (يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضَلِّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [إبراهيم: ٢٧]

القبر أول منازل الآخرة، عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى يليل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسره منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفضله منه»<sup>(١)</sup> وعذاب القبر هو عذاب البرزخ ينال الكافر والمنافق والمؤمن العاصي، سواء دفن أم لم يدفن فلو أكلته الطيور والسباع أو أحرق حتى صار رماداً وذرى في الرياح أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور.

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء وعند اليهود أيضاً وتسممه البهائم كما قال النبي ﷺ ويشهد به حالها عند مرورها بالمقابر ونفورها من سماعه، ولا ينكره إلا معاند النصوص الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم والتبعين لهم بياحسان.

ففي الكتاب: قوله تعالى: (يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرةِ وَيُضَلِّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) نزلت في عذاب القبر<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنِّكًا) عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة، قالوا عذاب القبر (النَّارُ يُرَضُّونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: ٤٦]، قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا.

وفي السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٥٥٣)، رقم ٢٣٠٨، وقال الالباني: حسن

(٢) صحيح البخارى، (ج ٢ / ص ٩٨)، رقم ١٣٦٩

قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعُدُهُ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعُدُكَ حَتَّى يَعْثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>

وعلى ذلك إجماع من يعتدّ بقوله من أهل العلم، قال القرطبي: "إنّ الائيان به واجب، والتصديق به لازم حسبما أخبر به الصادق، وأنّ الله تعالى يحيي العبد المكلّف في قبره بردّ الحياة إليه و يجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يحيي به ويفهم ما أتاها من ربّه وما أعدّ له في قبره من كرامة وهوان، وهذا هو مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة"<sup>(٢)</sup>

وثابت عند اليهود بشهادة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: عن عائشة، قالت: دخلت على عجوزانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُتَعْمَمْ أَنْ أَصْدِقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَتِي عَلَيَّ النِّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا» فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدَ فِي صَلَةِ الْأَتَعْوَدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ<sup>(٣)</sup>

قال ابن القيم: "قال بعض أهل العلم وهذا السبب يذهب الناس بدوافعهم إذا مغلت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالاسماعيلية والنصرية والقرامطة من بنى عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام فإن أصحاب الخليل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى قال فإذا سمعت الخليل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعًا وحرارة تذهب بالملغ"<sup>(٤)</sup>

ما الأسباب التي يذهب بها أصحاب القبور؟ او لا: يذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه . وثانيا: الذنوب ومنها الافساد بين الناس بالغيبة والنميمة وترك

(١) صحيح البخاري، (ج / ٢ ص ٩٩)، رقم ١٣٧٩

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج / ٢٠ ص ١٧٣)

(٣) صحيح البخاري، (ج / ٨ ص ٧٨)، رقم ٦٣٦٦

(٤) الروح، (ص: ٥٣)، {المغل: وجع البطن}، لسان العرب، (ج / ٦ ص ٤٢٤١)

الطهارة الواجبة والاستبراء من البول واكل اموال المسلمين بالباطل والغلول وهو السرقة من الغنيمة والأموال العامة، وأكثر أصحاب القبور معدبين والفائز منهم قليل. وما ينجي من عذاب القبر تجنب الذنوب والتوبة منها ومن انفعها التوبة كل ليلة قبل ان

ينام فإن مات من ليته مات على توبة وإن استيقظ تدارك ما فاته وندم عليه وما ينجي من عذاب القبر القرآن فهو شفيع للعبد من العذاب عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بَيَدِهِ الْمُلْكُ»<sup>(١)</sup> وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»<sup>(٢)</sup>

قال ابن عباس رضي الله عنها لرجل اقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قادر احفظها وعلمتها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصل يوم القيمة عند ربهما لقارئها وتطلب له إلى ربهما أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر.

\* \* \* عن زيد بن ثابت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فيه أكبر وهو على بغلته فحادت به وكادت أن تلقيه فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأكبر فقال رجل يا رسول الله قوم هلوكوا في الجاهلية فقال لو لا أن لا تدافنوا للدعوت الله عز وجل أن يسمعكم عذاب القبر، ثم قال لنا تعوذوا بالله من عذاب جهنم فلن نعود بالله من عذاب جهنم، ثم قال تعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال فقلنا نعود بالله من فتنة المسيح الدجال، ثم قال تعوذوا بالله من عذاب القبر فقلنا نعود بالله من عذاب القبر، ثم قال تعوذوا بالله من فتنة المحييا والمات فلن نعود بالله من فتنة المحييا والمات»<sup>(٣)</sup>

(١) سنن ابن ماجه (ج / ٢ / ص ١٢٤٤)، رقم ٣٧٨٦، وقال الالباني: صحيح

(٢) الالباني، السلسلة الصحيحة، (ج / ٣ / ص ١٣١)، رقم ١١٤٠

(٣) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ١٦٠)، ٧٣٩٢، المسند، (ج / ٥ / ص ١٩٠)، رقم ٢١٧٠١

## ٤٤. الإيمان باليوم الآخر

قال تعالى: (وَنُفْخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفْخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنْظَرُونَ) [الزمر: ٦٨]

من أركان الإيمان التي لا يقبل إيمان العبد إلا بها الإيمان باليوم الآخر فلا بد أن يعتقد المسلم بيوم يرجع فيه الناس إلى الله فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءاته قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٨١]

يأمر الله تعالى أسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فتخرج كل روح إلى جسدها  
 قال تعالى: (وَنُفْخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفْخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنْظَرُونَ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، وَوُفِيتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) [الزمر: ٦٨ - ٧٠]

فيزع الناس من قبورهم مذعورين من الخوف والناس مؤمنين وكافرين فالكافرين يكون عليهم ذلك اليوم شديد غير هين قال تعالى: (فَإِذَا نُقْرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) [المدثر: ٨ - ١٠]

ومؤمنين لا يحزنهم الفزع قال تعالى: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [الأنباء: ٣ - ١٠]

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يُبَعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، من خير أو شر، فمن كان في عبادة الله عز وجل فمات فانه يحيى على ما مات عليه من عبادة الله تلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم في المحرم حين مات على احرامه «انه يبعث يوم القيمة مليباً»، والشهيد يبعث واوداجه تشجب دما تشهد له بالقتل في سبيل الله، ومن مات

(١) صحيح مسلم، (ج ٨، ص ١٦٥)، رقم ٧٤١٣

في السجود ساجدا والصائم رائحة فمه اطيب من ريح المسك والسكران قدحه بيده  
صاحب المزار مزماره بيده.

يبدأ اليوم الآخر بقيام الناس من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة  
السموات فأحاطت بهم وقد جاء الله وقد نصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت  
الأرض بنوره ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقد نصب الميزان وتطايرت  
الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب  
وكثر العطاش وقل الوارد ونصب الجسر للعبور ولز الناس إليه وقسمت الانوار دون  
ظلمته للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضا تحته والتساقطون فيها أضعاف أضعاف  
الناجين<sup>(١)</sup> ففي الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: «تحشرون حفاة عراة غرلاً قالـت عائشة فقلـت يا رسول الله الرجال والنساء ينظـرـونـ  
بعضـهمـ إلىـ بعضـ فقالـ الامرـ أشدـ منـ أنـ يـهـمـهـ ذـاكـ»<sup>(٢)</sup>

وتندو الشمس من الرؤوس بمقدار ميل كما في حديث المداد عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال: «تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»  
والناس يلجمهم العرق على قدر أعمالهم «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم  
من يكون إلى كعبية ومنهم من يكون إلى ركبية ومنهم من يكون إلى حقوقه ومنهم من  
يلجمه العرق إلحاداً» قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه<sup>(٣)</sup>

ثم يلوح حوض النبي صلى الله عليه وسلم للنااظرين، عن أبي ذر قال قلت يا رسول  
الله ما آنية الحوض قال «والذى نفس محمد بيده لا ينته أكثر من عداد نجوم السماء  
وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصححة آية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه

(١) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ١٢٣)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٩)، رقم ٦٥٢٧

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٥٨)، رقم ٧٣٨٥

يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانٍ مِنَ الْجَحَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ مَأْوِهِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْلَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ<sup>(١)</sup>. فَيُتَدَافِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْمَلَائِكَةُ يَذُوْدُونَ كُلَّ مَنْ بَدَّلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَحَدَثَ فِيهِ وَبَدَّلَ سَنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِسِنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ «اَلَا لَيُذَادَنَ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُ أَنَادِيهِمْ اَلَا هَلْمٌ». فَيَقَالُ إِلَهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكُمْ. فَأَقُولُ سُحْقاً سُحْقاً<sup>(٢)</sup>

ويُنْصَبُ المِيزَانُ ثُمَّ يَأْذِنُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْحَسَابِ الَّذِي سُوفَ يَكُونُ عَلَى الْمُتَقَالِ وَالْمُذَرَّةِ، قَالَ تَعَالَى: (وَنَصَعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء: ٤٧]

ثُمَّ يُدْفَعُ النَّاسُ إِلَى الصِّرَاطِ وَعَلَى قَدْرِ ثَبَوتِ قَدْمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدارِ يَكُونُ ثَبَوتُ قَدْمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَنْ جَهَنَّمَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبْو مَالِكٍ، عَنْ رَبِيعٍ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمِعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُرْلَفَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ أَدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةً أَيْسِكُمْ أَدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى أَبْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمَدُوا إِلَيَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَمَهُ اللَّهُ تَكْلِيْمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ فَيُؤَذَّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومُ مَانِ جَنَّبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمْرُ أَوْلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا إِنْتَ وَأَمِي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرُوا إِلَى الْبَرْقِ كَفَ يَمْرُ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَ

(١) صحيح مسلم، (ج ٧ / ص ٦٩)، رقم ٦١٢٩

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٥٠)، رقم ٦٠٧

الرّيح، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرِّجَالِ، تَجْبِرِي بِهِمْ أَعْمَاهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلْمٌ سَلْمٌ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَحْيَى الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا «قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعْلَقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْدِنَ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَمْدُوشُ نَاجٌ، وَمَمْكُدوُسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَيِّ هُرَيْرَةَ يَبِدِيهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ حَرِيفًا<sup>(١)</sup>. { كشد الرجال: بكسر الراء وفتح الجيم أي كعدوا الرجال الأقوية المبالغين في عدتهم، والشد هو العدو المبالغ }

\* قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) [البقرة: ٤٨]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخلص عن المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فقصص لي بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونفعوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحد هم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا»<sup>(٢)</sup>

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت عنده مظلمة لا يحيي فليتحلل منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لا يحيي من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»<sup>(٣)</sup>

اللهم ربنا اصلاح لنا احوالنا واعمالنا واقولنا، اللهم ارزقنا حسن الاستعداد ليوم العرض، وخير أيامنا يوم نلقاك، واجعل خير اعمالنا خواتيمها، ولا تفضحنا بها على رؤوس الاشهاد يوم القيمة انك واسع المغفرة والعفو والستر على الزلات.

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٢٩)، رقم ٥٠٣

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١١١)، رقم ٦٥٣٥

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١١١)، رقم ٦٥٣٤

## ٤٥. الإيمان بالملائكة والكتب المنزّلة والرسل

قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ)

[البقرة: ٢٨٥]

من أركان الإيمان بالإيمان بالملائكة والكتب المنزّلة من الله تعالى والإيمان بالأنباء قبل بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم. فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: (وَمَنْ يَكُفِرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ١٣٦]. وقال صلّى الله عليه وسلم، في حديث جبريل وسؤاله للنبي صلّى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: «أَن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسلمه واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». ولم يؤمّن بها حقيقة الإيمان إلا الرسل وأتباعهم.

**الإيمان بالملائكة:** الملائكة مخلوقون من النور، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة. ميسرون للطاعات، معصومون من المعاصي مسخرّون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، أمناء على الوحي في حفظه وتبلیغه<sup>(١)</sup>. عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «خَلَقْتِ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقْتِ الْجَاهَنَّمَ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَارٍ، وَخَلَقْتِ آدَمَ مِمَّا وُصِّفَ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>

وهم أصناف كثيرة، منهم الموكّلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح.

ونؤمن بهم على العموم وبمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل وميكائيل ومالك حازن النار وإسرافيل الموكّل بالنفح في الصور، وهاروت وماروت.

(١) ابن باديس، العقائد الإسلامية، ص: ٩٨

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢٢٦)، رقم ٧٦٨٧

**الإيمان بالكتب المنزلة من الله:** نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسليه عليهم الصلاة والسلام فمنها التوراة والإنجيل والزبور القرآن وصحف إبراهيم وموسى وغيرها مما لم نعلمه على سبيل التفصيل فكلّها من عند الله وكلّ ما فيها حقّ قال تعالى: (فَلِذلِكَ فَادْعُوا  
وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) [الشورى: ١٥]  
وحفظ الله القرآن من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيمة فهو كلّه حقّ من عند الله ولم يحفظ غيره من الكتب قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَرَنَا  
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، وهو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهميمن عليه قال تعالى: (وَأَنَّزَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ)  
[المائدة: ٤٨] مصدقاً لهذه الكتب وأميناً عليها.

**الإيمان بالرسل:** وهم كلّ من أوحى إليه وأمر بالتبليغ أمّا من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهونبيّ فقط وليس برسول فكلّ رسولنبيّ وليس كلّنبيّ رسولاً. والإيمان بهم هو التصديق الجازم بأنّ الله تعالى بعث في كلّ أمة رسولاً منهم يدعوهם إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: ٢٤]،  
وهم حجة الله على خلقه قال تعالى: (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ  
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء: ١٦٥]، والرسل بشر مخلوقون وهم عبيد الله ليس لهم من خصائص الربوبية والالوهية شيء، عن عبادة رضي الله عنه، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُ مِنْهُ،  
وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»<sup>(١)</sup>

بعض هؤلاء الرسل قص الله علينا من أخبارهم وبعضهم لم يقصص علينا من

أخبارهم، قال تعالى: (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصْ عَلَيْكَ) [غافر: ٧٨] المذكور من الأنبياء في القرآن خمسة وعشرون نبياً، وجميعهم صادقون مصدقون هداة مهتدون، أيدهم الله تعالى بالمعجزات وفضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات. وإنهم متفقون على أصل العبادة لقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اَبْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦] ولكل واحد منهم شريعة من الله نسخت بشرعية محمد صلى الله عليه وسلم.

\*\* قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣]

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجيء النبي يوم القيمة، ومأمه الرجول، والنبي ومعه الرجлан، وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغتم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال لهم: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال لهم: هل يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمنته. فيدعى وأمنته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا: أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا)، قال: «يقول: عدلا»<sup>(١)</sup>

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيمة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمنته هل بلغتم فيقولون ما أتنا من ذيর فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمنته فتشهدون أنه قد بلغ (ويكون الرسول عليكم شهيدا) فذلك قوله جل ذكره (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) «والوسط العدل»<sup>(٢)</sup>

(١) المسند، (ج ٣ / ص ٥٨)، رقم ١١٥٧٥، شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح على شرط الشيفين

(٢) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٢١)، رقم ٤٤٨٧

## ٤٦. الإيمان بالقدر

قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٌ بِالْبَصَرِ. وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أُشْيَا عَكْمٌ فَهُلْ مِنْ مُدَّكِّرٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُلُّ صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ مُسْتَطَرٌ) [القمر: ٤٩-٥٣]

القدر هو قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه، وإن الله جل ثناؤه قدر المقادير كلّها قبل أن يخلق السماوات والأرض قال الله عز وجل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ). فأخبر أنّ كُلّ شيء خلقه إنّما هو بحسب ما قدره قبل أن يخلقه فجرى الخلق على ما قدر، وجرى القدر على ما علم. عن ابن عباس، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَعْظِظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحْذِهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحْفُ»<sup>(١)</sup>

والقدر والإيمان به ركن من أركان الإيمان التي لا يقبل الله تعالى الإيمان إلا بها وهذا ما عليه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن يعمر قال: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا نُسَافِرُ فِي الْأَفَاقِ فَنَلْقَى قَوْمًا يَقُولُونَ لَا قَدَرَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «إِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَنَّهُمْ مِنْهُ بُرَاءُ ثَلَاثَةً»<sup>(٢)</sup>

قال الحال: "وسألت أبا عبد الله عن الإيمان بالقدر؟ قال: نؤمن به، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن يحيطنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن الله قدر كل شيء من الخير والشر، فهو سابق في اللوح المحفوظ، الشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يخلق، ونحن

(١) سنن الترمذى، (ج / ٤، ص ٢٤٨)، رقم ٢٥٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) المسند، (ج ١ / ص ٥٢)، رقم ٣٧٤، قال شعيب الأرناؤوط: أسانده صحيح على شرط مسلم

(١) في أصلاب الآباء

والإيمان بالقدر أربع مراتب التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر<sup>(٢)</sup>  
 المرتبة الأولى: العلم: وهو العلم السابق فإن الله تعالى قد علم أفعال العباد قبل أن يخلقهم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا).  
 المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة: قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ) [الأنياء: ١٠٥]، فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود، والذكر أم الكتاب الذي عند الله، والأرض الدنيا، وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول «كتاب الله مقادير الخلاائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة - قال - وعرشه على الماء»<sup>(٣)</sup>

المرتبة الثالثة: وهي مرتبة المشيئة: وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل وجميع الكتب المنزلة والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجتمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا) وقال: (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَأَمِنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ).

المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعلىه اتفقت الكتب الالهية والفطر والعقول قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وخلقه شامل لكل المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال وآثار وقال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: ٢][٤]

كل المقادير مقدرة من الله تعالى بحكمة وعدل وينبغي للمؤمن أن لا يعترض على ما

(١) الأخلاق، السنة، (ج / ٣ / ص ٥٣٧)

(٢) ابن القيم، شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليق، (ج ١ / ص ٥٢)

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٥١)، رقم ٦٩١٩

(٤) ينظر، ابن القيم، شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليق، (ج ١ / ص ٤٩)

قدره الله عز وجل، جاء في الأثر "قال موسى عليه السلام يا رب أربني عدליך قال اذهب إلى مكان كذا ففعل فوجد عيناً وشجرة فجلس تحتها مستخفياً فجاء فارس فشرب من العين ونبي كيساً فيه ألف دينار فجاء صبي فأخذته ثم جاء رجل أعمى فتوضاً من العين فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى فقال ما وجدته فضر به فقتله فتعجب موسى عليه السلام من ذلك فأوحى الله إليه أعلم أن الصبي قد أخذ حقه لأن الفارس قد أخذ من والد الصبي ألف دينار وأما الأعمى فإنه قتل أبا الفارس فأوصلت إلى كل ذي حق حقه"<sup>(١)</sup>

\*\*\* قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ

أَنْ تَبَرَّأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحديد: ٢٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُضَعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرِصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقْلُ لَوْ أَتَى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدْرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٢)</sup>

من كمال الإيمان الاستسلام للقضاء وعدم الاعتراض عليه، والعبد مأموم عند المصائب بالصبر والاسترجاع والتوبة. وقول «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر مع ما يخاف عليه من المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها أحد إلا ما شاء الله.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر اطمئنان القلب وسكنون النفس عند مواجهة مشاق الحياة والثبات عند مواجهة الأزمات واستشعار قول الله تعالى: (فُلَّنَ يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [التوبه: ٥١] وقول الرسول ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» فكل المقادير مقدرة من لدن عليم حكيم خير رؤوف رحيم فالمؤمن لا يتسرّط ولكن يرضي ويسلم لقدر الله. اللهم أنت ربنا العليم الحكيم ونحن عبيدك لا حول ولا قوّة لنا إلا بك.

(١) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (ج ٢ / ص ٥١)

(٢) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ٢٠٥٢)، رقم ٢٦٦٤

## ٤٧. الإحسان

قال تعالى: (وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥]

الله سبحانه وتعالى هو المحسن، والإحسان صفتة وهو يحب المحسنين ومن صفات الإحسان البر الرحيم الوودود، ولقد وصف الله تعالى نفسه في كتابه بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه وهما الرحمة والمغفرة فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجه برحمته ويعفو عن زلاتهم ويحب لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته فقال تعالى: (وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) <sup>(١)</sup>

وجعل سبحانه وتعالى مشهد الإحسان أعلى درجات الدين والقرب من الله، كما جاء في حديث جبريل عندما سأله النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَا الْأَحْسَانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَائِنَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» <sup>(٢)</sup>

وهو مشهد المراقبة، وهذا المشهد ينشأ من كمال الإيمان بأسماء الله وصفاته حتى كأنه يرى الله سبحانه فوق سماءاته، مستويا على عرشه، يتكلّم بأمره ونفيه، ويدبر أمر الخلائق، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا أقواهم ولا بواطنهم، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان، (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ فَرِيقٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ). فهو أصل أعمال القلوب كلها فإنه يوجب الحب والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنبابة والتوكّل والخضوع لله سبحانه والذلة.

وأمر سبحانه وتعالى بالإحسان، فقال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠]، وكتب الإحسان على كل شيء في حديث شداد بن اوس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْأَحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا

(١) بدائع الفوائد، (ج ١ / ص ٨٠)

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٩)، رقم ٥٠

الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسَنُوا الْذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيْحَتَهُ»<sup>(١)</sup>  
فَالإِحسان داخلي في كل الأفعال وأهل الإحسان أعمى لهم كلها بإحسان، ومن شواهده:  
- الإحسان في العبادة: "وهي أن تعبد الله كأنك تراه، يشير إلى أن العبد يعبد الله  
على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية  
والخوف والاهمية والتعظيم، ويوجب أيضا النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها  
وإنعامها وإكمالها"<sup>(٢)</sup>

ومنها: "الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن، وأنواع  
الإحسان، فإنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدْرَهُ، وَأَطْبَيْهِمْ نُفْسَاهُ، وَأَنْعَمَهُمْ قُلُبَاهُ، وَالْبَخِيلُ  
الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضَيقَ النَّاسَ صَدْرَهُ، وَأَنْكَدَهُمْ عِيشَاهُ، وَأَعْظَمَهُمْ هَمًا وَغَمًا"<sup>(٣)</sup>  
ومن الإحسان إلى الخلق: الإحسان إلى الوالدين والقرابة واليتامى والمساكين والجيران  
والصاحب وابن السبيل وما ملكت أيديكم، قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ  
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ  
الْجُنُبُ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ  
مُخْتَالًا فَخُورًا) [النساء: ٣٦] وأفرض الإحسان هو الإحسان إلى الوالدين وبرّهما و فعل الجميل  
معهما وفعل ما يسرّهما ويدخل في الإحسان إلى صديقهما كما جاء في حديث عبد الله بن  
عمر أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبَرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدُّ أَبِيهِ»<sup>(٤)</sup>  
الإحسان إلى البنات: عن عائشة، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: جاءَتْني  
امرأةً مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمَرَّةً وَاحِدَةً، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتِهَا،  
ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَتْهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ

(١) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ٧٢)، رقم ٥١٦٧

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (ج ١ / ص ١٢٦)

(٣) زاد المعاد، (ج ٢ / ص ٢٤)

(٤) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٦)، رقم ٦٦٧٨

البنات شيئاً، فأحسن إليهنَّ، كُنَّ لَهُ سِترًا مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>

الإحسان إلى الجيران: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) [النساء: ٣٦]، عَنْ أَبِي شُرِيعٍ الْخَزَاعِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لَيَسْكُنْ»<sup>(٢)</sup>

- الإحسان إلى البهائم: عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِيرٍ قَدْ حَقَّ ظَهُورُهُ بِطَلْنِهِ فَقَالَ: «أَتَقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعَجَّمَةِ فَارْكُبُوهَا وَكُلُّوهَا صَالِحةً»<sup>(٣)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطْشُ، فَنَزَّلَ بَئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهُثُ يَأْكُلُ الشَّرَى مِنَ الْعَطْشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الذِّي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقَيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِيدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»<sup>(٤)</sup>

\*\* قال تعالى: (هُلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن: ٦٠]

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةَ نُودُوا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ فَقَالُوا وَمَا هُوَ أَمْ يَبْيَضُ وُجُوهُنَا وَيَرْحِمُنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ قَالَ فَيُكْسِفُ الْحِجَابَ قَالَ فَيُنْظَرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً وَقَالَ مَرَّةً إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةَ<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٧)، رقم ٥٩٩٥

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٠)، رقم ١٨٥

(٣) سنن أبي داود، (ج ٢ / ص ٣٢٨)، رقم ٢٥٥٠، قال الألباني : صحيح

(٤) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١١١)، رقم ٢٣٦٣

(٥) المسند، (ج ٦ / ص ١٥)، رقم ٢٣٩٧٠، شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح على شرط مسلم

## ٤٨. الصلاة

قال تعالى: (فَإِن تَابُوا وَأَقَمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَضِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [النور: ١١]

الصلاحة أعظم عبادة في الاسلام بعد شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله، العبادة التي فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته من فوق سبع سموات لعظيم قدرها، والتي إن قبلت قبلسائر عمل العبد وإن ردت رد سائر عمله.

وفرضت على الأنبياء من أول ما بعثوا فقال تعالى لإبراهيم (وَطَهَرْ بَيْتَي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرُّكْعَيْ السُّجُودِ) [الحج: ٢٦] وقال تبارك وتعالي مخاطبا موسى بكلماته ليس بينه وبينه ترجمان (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [طه: ١٤]، وعيسى حين تكلم في المهد قال: (وَجَعَلَنِي مُبَارَّكًا أَيْمَنًا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) [مريم: ٣١]، إسماعيل وإسحاق ويعقوب قال تعالى فيهم: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْحَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) [الأنبياء: ٧٣]. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكد عليه ربّه بإقامة الصلاة في كثير من الآيات فقال تعالى: (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣]

الصلاحة العبادة التي وصف الله تعالى أهلها أهل الإيمان ووعدهم بالمغفرة والجننة فقال تعالى: (الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: ٣-٤].

ووصفهم بأنهم أهل التجارة الرابحة فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوَّنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) [فاطر: ٢٩]، الصلاة هي العبادة التي من ضيّعها فقد خان عهد الله ورسوله قال صلى الله عليه

وسلم: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيَّنَا وَبَيَّنُهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(١)</sup> وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا حظ في الإسلام من ترك الصلاة". وقال علي رضي الله عنه: "من لم يصل فهو كافر". وقال عبد الله بن مسعود: "من لم يصل فلا دين له".

العبادة التي أوعد الله من ضيعها يعني وهو واد في جهنم فقال تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً) [مريم: ٥٩]، وأوعد بسقر من لم يكن من أهلها فقال تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) [المزمول: ٤٢-٤٣] وحرموا من كل شفاعة يوم القيمة (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [المزمول: ٤٨]، وأ وعد المتكاسل عنها بويل فقال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُمْصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) [المعاون: ٤-٥].

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة و يؤتوا الزكوة فإذا فعلوا ذلك عصموهُم دماءُهُمْ وأموالُهُمْ لا بحقِ الإسلام وحسابُهُمْ على الله»<sup>(٢)</sup>

الصلاه العبرة التي ضيعها الناس فضاعوا، أمة لا تقيم الصلاه انعدم عندها تعظيم الله والخوف منه فاستحوذ عليها الشيطان وأنسها ذكر الله فانتشرت فيها الفواحش والمنكرات، تتنعم بنعم الله وتکفر ولا تشکر فلا ترجو رحمة من الله ولا تطلب حفظا من الله ولا تطلب نصرا ولا عززا من الله فهي أمة ذليلة لا قيمة لها لأنها فقدت عبوديتها لله ووصلتها به وأصبحت محاربة من الله ورسوله يقتل بعضها ببعض وسلط عليها أعداؤها وأصبحت دمائهم مهدورة ولا ذمة لهم عند الله ولا عند رسوله، وما كثر القتل في المسلمين الا لأنهم استهانوا بحرمات الله وبفرائضه، فلا عصمة لدمائهم عند الله، حتى يعودوا إلى دينهم تائبين إلى ربهم مستغفرين له سائلين عفوه ورضاه.

(١) سنن ابن ماجه، (ج ١ / ص ٣٤٢)، رقم ١٠٧٩، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٤)، رقم ٢٥

قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ نَعَمَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أَوْلَئِكَ مَا كَانُوكُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ كُوْنُ فِي الدُّنْيَا حَزْنٌ وَكُوْنُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [البقرة: ١١٤]، فان عمارة المسجد كما تكون بنائه وإصلاحه تكون أيضا بحضوره ولزومه قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءامَنَ بِاللَّهِ) [التوبه: ١٨] فجعل حضور المساجد عمارة لها فالمقصود من بناء المسجد إنما هو الذكر والعبادة فيه فما دام لم يترتب عليه هذا المقصود من بنائه صار كأنه هدم وخرب أو لم يبن من أصله. فالعقوبة الخزي والهوان في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

فما خربت بيوت الناس وأزيلت النعم إلا بترك الصلاة وتخريب بيوت الله من العبادة. فالصلاحة عمود الدين فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، فكل مستخف بالصلاحة مستهين بها هو مستخف بالإسلام مستهين به. فإن ما لا يختلف فيه المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر وأن إثمه أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر وأنه معرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة.

قال الإمام أحمد: " وإنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واعلم أن حظك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظك من الصلاة وقدرها عندك. واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك" <sup>(١)</sup>  
 \*\* عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا أبلى يا رسول الله قال «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الحطأ إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» <sup>(٢)</sup>

(١) ينظر، ابن القيم، الصلاة وأحكام تاركها ص: ٣٤

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٥١)، رقم ٦١٠

بهن ترفع الدرجات وتتحى الخطايا وأئمة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم متذمرون على إقامة الصلوات الخمس في المساجد وهي من أعظم العبادات وأجل القربات وهن من سنت المهدى، عن عبد الله بن مسعود قال: «من سرّه أن يلقى الله عدًا مُسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنيك - صلى الله عليه وسلم - سنت المهدى وإنهن من سنت المهدى ولو أنكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّى هذا المخالف في بيته لتركتم سنته نبيكم ولو تركتم سنته نبيكم لضللتم وما من رجل يتظاهر فيه حسن الطهور ثم يعمد إلى مسجدٍ من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأينا وما يتختلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجالين حتى يقام في الصفة»<sup>(١)</sup>

وكان أشد شيء على نفوسهم ترك صلاة واحدة عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وتر أهله وماله»<sup>(٢)</sup>. (وتر: سلب وترك بلا أهل ولا مال). وذكر أن حاتما الزاهد فاته الجمعة مرة، فعزاه بعض أصحابه، فبكى وقال: لو مات لي ابن واحد لعزاني نصف أهل بلخ، والآن قد فاتني جماعة فما عزاني إلا بعض أصحابي، وإنه لو مات لي الابناء جميعاً، لكان أهون على من فوات هذه الجمعة. هكذا كانوا ينظرون لترك الصلاة، فأين من يقتدي بهم ويتبع آثارهم، اللهم أعننا على ذكرك وشكوك وحسن عبادتك.

صلاتك صلتك بربك، شاهد ايمانك، عمود دينك، الحاجز بينك وبين الكفر والشرك، اول ما تسأل عنه يوم القيمة، فيها نجاتك من النار ودخولك الجنة، ان اقمتها اقمت الدين وان أضعتها أضعت الدين.

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٢٤)، رقم ١٥٢٠

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١١٥)، رقم ٥٥٢

## ٤٩. شروط وأركان الصلاة

قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَةَ وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]

لقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة وخصّها بالذكر في كثير من الآيات لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها، داعية لإقامة غيرها من العبادات وقال تعالى: (اتُّلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: ٤٥]

وإقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع، والإقبال على الله تعالى فيها. وقد يصلي المسلم سنين طويلة وكأنه لم يصلٌ وهو لا يعلم وذلك لإخلاله بشرط من شروطها أو ركن من أركانها، ولتكبره أو حيائه من التعلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصل ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع فصل ثم جاء فسلم فقال وعليك السلام فارجع فصل فإنك لم تصل فقال في الثانية أو في التي بعدها علمني يا رسول الله فقال إذا قمت إلى الصلاة فاسكب الوضوء ثم استقبل القبلة فكرب ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»<sup>(١)</sup>

ولا يمكن لأحد أن يقيم الصلاة إلا إذا اقتدى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول: «وصلوا كما رأيتُموني أصلّى»<sup>(٢)</sup> وقد يبين العلماء شروط وأركان الصلاة بالتفصيل، والشروط هي التي تكون قبل الصلاة أمّا الأركان فهي داخل الصلاة.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٥٢)، رقم ٧٥٧

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢٨)، رقم ٦٣١

**شروط صحة الصلاة:** الطهارة وتشمل طهارة البدن من الحدثين وطهارة البدن والثوب والمكان من الخبث ودخول الوقت وستر العورة واستقبال القبلة.

أما النية: وهي العزم على فعل العبادة تقرّبا إلى الله تعالى وبالنية تتميّز العبادات عن العادات وتتميّز العبادات بعضها عن بعض، وتتميّز الصلاة أهي ظهر أم عصر أو سنة. ولا تصح الصلاة إلا بالنية باتفاق الأئمة الأربعـة لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات». أما كون النية شرطاً أو ركناً فعدّها الحنابلة والحنفية شرطاً وقال الشافعية والمالكية ركناً. ولا يترتب على هذا الخلاف شيء فالنية لازمة في الصلاة فلو تركت بطلت الصلاة باتفاق المذاهب لا فرق في ذلك بين كونها شرطاً في صحتها أو جزءاً من أجزائها. ومحلّها القلب ولا يشترط التلفظ بها على الراوح من الأقوال.

وأركان الصلاة أربعة عشر: القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال منه، والجلسة بين السجدين، والطمأنينة في جميع الأركان، والترتيب والتشهيد الأخير، والجلوس له، والصلاحة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتسليمتان. {الأعضاء السبعة: الجبهة والأنف - هذا عضو - . والكففين يعني: اليدين يبسطهما ويمدهما إلى القبلة يعني: أطراف أصابعه ضاماً بعضها إلى بعض . والركبتين . وأطراف القدمين يعني: على أصابع القدمين باسطا لها على الأرض، يعني: أطراف الأصابع على الأرض معتمداً عليها وأطرافها إلى القبلة، هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم}

والواجبات ثمانيـة: جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام. وقول «سبحان ربِّ العظيم في الركوع»، وقول «سمع الله لمن حمده» للإمام والمنفرد، وقول «ربّنا ولد الحمد» للكلـ، وقول: «سبحان ربِّ الأعلى» في السجود، وقول: «ربِّ اغفر لي» بين السجدين، والتشهيد الأول والجلوس له.

فالأركان ما سقط منها سهواً أو عمداً بطلت الصلاة بتركـه. والواجبات ما سقط منها

عمدا بطلت الصلاة بتركه، وسهووا جبره السجود للسهو، والله أعلم.

وسجود السهو سجدتان اثنان متاليتان عاديتان، فيهما ذكر كحالهما في الصلاة وبينهما جلوس، ولها تكبير عند الخفض وعند الرفع كالحال في الصلاة، يعقبها جلوس يسير، ثم تسليم عن اليمين وعن الشمال دون تشهيد، ويؤتى بها قبل التسليم من الصلاة فهذا هو الأصل، ويجوز أن يؤتى بها بعد التسليم.

ويسن الإستغفار بعد الصلاة كما جاء في الحديث عن ثوبان قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَنْصَرَ فَمِنْ صَلَاتِهِ أَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا وَقَالَ « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ». قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الْإِسْتَغْفَارُ قَالَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُحْبَتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابُهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [الحج: ٣٤-٣٥]

المصلون قليل ومقيموا الصلاة أقل القليل فكن من هذا الأقل تفرز بخير الدنيا والآخرة  
عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعَهَا ثُمَّنَهَا سُدُسُهَا حُسُسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا »<sup>(٢)</sup>. وهذا من رحمة الله بالعباد حتى لا يرد صلامتهم عليهم.

اجتهد في إقامة الصلاة واطلب العون من الله على اقامتها وقوتها وقل (ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) (وتب علينا انك انت التواب الرحيم) [البقرة: ١٢٧-١٢٨]  
اللهمّ اجعلنا من الذين يقيمون الصلاة بشرطها وأركانها وواجباتها إنك سميع الدعاء.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٢ / ص ٩٤)، رقم ١٣٦٢

(٢) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٢١١)، رقم ٧٩٦، وقال الالباني: حسن

## ٥٠. أسرار الصلاة

قال تعالى: (وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَائِسِينَ) [البقرة: ٤٥]

الصلاحة قرّة عيون المحبّين، ولذة أرواح المؤمنين، وعلامة صدق الصادقين، ونزة المشتاقين للوقوف بين يدي رب العالمين، هداهم إليها وعرّفهم بها، وأهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين، رحمة بهم وإكراما لهم لينالوا بها شرف كرامته والفوز بقربه ومناجاته، ومحبّته والأنس به، لا حاجة منه إليهم، بل منه وتفضلاً عليهم.

الوقوف بين يدي الملوك يحتاج إلى نظافة الظاهر والباطن، فال موضوع يتطلّب العبد ويقدم على ربّه ظاهر البدن من الأوساخ طاهر القلب بالتوبة من الذنوب والمعاصي فقد قرن تعالى بين حبه والتوبة والطهارة في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢]، فشرع له بعد الفراغ من الموضوع أن يتشهد ثم يقول: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» فإنّه بالشهادة يتطلّب من الشرك، وبالنّوبة يتطلّب من الذنوب، وبالماء يتطلّب من الأوساخ الظاهرة<sup>(١)</sup>

**عبودية التكبير «الله أكبر»:** ويستقبل العبد - بيت ربّه - بوجهه ويستقبل الله عزّ وجلّ بقلبه رافعاً يديه مكبّراً معلناً أنّ الله تعالى أكبر من كلّ شيء قوله بسانده وشهادته بقلبه.

**عبودية الاستفتاح:** ثم يستفتح صلاته بدعا الاستفتاح الذي هو ثناء على الله وتعظيم له وقد يقرن بالدعاء والاستغفار فإذا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك» أو قال «وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض» فقد أثني على الله تعالى بما هو أهله وأتى بالتحمّة والثناء الذي يخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيمياً له ومجيداً ومقدمةً بين يدي حاجته مستحضر اعظمه خالقه خارجاً من غفلته.

**عبودية الاستعاذه القراءة:** وشرع له أن يستعيذ به من الشيطان لحرصه على خذلان

(١) ينظر، ابن القيم، أسرار الصلاة، ص ٨ وما بعدها

العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته. ثم يتلو كلام ربّه ويقف عند كل آية من الفاتحة وقفه يسيرة، يتضرر جواب ربّه له، وكأنّه يسمعه وهو يقول: «حمدني عبدي» إذا قال: (الحمدُ لله ربُ العالمين).

فإذا قال: (الرَّحْمَن الرَّحِيم) وقف لحظة يتضرر قوله: «أثنى علىَّ عبدي».

فإذا قال: (مالكِ يوم الدِّين) انتظر قوله: «مجَّدني عبدي».

فإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِن) انتظر قوله تعالى: «هذا يبني وبين عبدي».

فإذا قال: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم) انتظر قوله: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

وشرع له التأمين في آخر هذا الدعاء تفاوٌ لا بإيجابته وحصوله وطابعا عليه وتحقيقا له وهذا اشتد حسد اليهود للMuslimين عليه حين سمعوهم يجهرون به في صلاتهم.

**عبودية الركوع والرفع منه:** ثم شرع له بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خصوصاً لعظمته واستكانة هيبيته وتذللها لعزّته. فيحيّن له صلبه ويضع له قامته وينكس له رأسه ويكبّره مُعظماً له ناطقاً بتسبيحه (سبحان ربِّ العظيم)، فإنَّ الخضوع وصف العبد والعظمة وصف الربّ وكلما استولى على قلبه تعظيم الربّ وقوى خرج من تعظيم الخلق، ثم يرفع منه مؤكداً عبوديته قائلاً «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ، بَعْدُ أَهْلَ الشَّنَاءِ وَالْمُجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدْ مِنْكَ الْجَدُّ»

**عبودية السجود:** ثم شرع له أن يكبّر ويدنو ويخرّ ساجداً، ويُعطى في سجوده كل عضو من أعضائه حظَّه من العبودية، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه بالأرض معرفاً ناصيته بالتراب بين يدي ربّه ساجداً له راغماً أنفه خاضعاً له بقلبه وجوارحه، متذللاً لعظمة ربّه خاضعاً لعزّته، منيا إلية، مستكينا ذلاً وخصوصاً وانكساراً.

وقد طابق قلبه في ذلك حال جسده، فسجد القلب للربّ كما سجد الجسد بين يدي الله وقد سجد معه أنفه ووجهه ويداه وركبتاه ورجلاه قائلاً (سبحان ربِّ الأعلى) فهذا

العبد هو القريب المقرب فهو أقرب ما يكون من ربّه وهو ساجد.

**الاستغفار بين السجدين:** وشرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود أن يحيث بين يدي الله تعالى، ويكرر الاستغفار في هذه الجلسة فيقول: «ربّ اغفر لي، ربّ اغفر لي» أو «اللهم اغفر لي، وارحمني، واعافي، واهدني، وارزقني»، ويكثر من الرغبة فيها إلى ربّه، معتذراً من ذنبه وما كان من نفسه، هذه الخمس كلمات، قد جمعت خير الدنيا والآخرة فإنّ العبد محتاج بل مضطّر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا وفي الآخرة، ودفع المضارّ عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمّن هذا الدعاء ذلك كله.

**عبودية الجلوس للتشهد وقوله «التحيات لله والصلوات والطيبات»**

تعارفت الأمم على تحية خاصة عند ملاقة الملوك والأمراء وتحية عامة عند ملاقة بعضهم بعضاً. فكانوا يحيّون الملوك بالسجود والركوع والخضوع والتذلل ورفع اليدين والدعاء بدوام الحياة ودوام الملك مثل أدام الله أيامك وأطال الله بقاءك. وكلّ هذه التحايا للملوك تدور حول شيء فقده الملوك ولا قدرة لهم عليه وهو دوام الحياة ودوام الملك، والله تعالى هو الحي القيوم، أمّا التحية العامة فقد اختلف الناس فيها على اختلاف عقائدهم ومشاربهم، وكلّ التحايا غير تحية الإسلام فيها نوع من الاستبعاد والخضوع لغير الله والتذلل بيديه الداني للعالى، والفقير للغني فلذلك نهى الرسول صلّى الله عليه وسلم معاذًا أن يسجد له عندما أراد أن يصنع مثل أهل اليمن الذين يسجدون لملوكهم. ثمّ جاء الله بالإسلام ومحى كلّ رسم من رسوم الوثنية، وألغى سنن الجاهلية التي فيها الخضوع والذلّ والعبودية لغير الله تعالى، وجعل التحيّات التي فيها تعظيم وتذلل كلّها لله واقتصر على السلام بين المسلمين وجعله النبيّ صلّى الله عليه وسلم سنة الإسلام، وأمر المسلمين بإفشاءه، وهو ما جاء في دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ثمّ عطف عليها الصلوات بلفظ الجمع والتعريف ليشمل ذلك كلّما أطلق عليه لفظ الصلاة خصوصاً وعموماً فكلّها لله ولا تنبغي إلا له فالتحيات له ملكاً والصلوات له

عبودية واستحقاقا، فالتحيات لا تكون إلا لله، والصلوات لا تنبغي إلا له.  
ثم عطف عليها بالطبيات، وهذا يتناول أمرين: الوصف والملك.

فالطبيات له وصفا فإنه سبحانه طيب، وكلامه طيب، وفعله كلّه طيب ولا يصدر منه إلا طيب ولا يضاف إليه إلا الطيب ولا يصعد إليه إلا الطيب. وكلّ طيب مضاف إليه فالكلمات الطبيات لله وحده فإنّها تتضمن تسبيحه وتحميده وتكييده ومجيده والثناء عليه بالآله وأوصافه فهذه الكلمات الطبيات التي يشتمى عليه بها ومعاناتها له وحده لا شريك له كسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. وكسبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وكلّ طيب له وعنده ومنه وإليه، وهو طيب لا يقبل إلا طيبا، وهو إله الطبيين وربّهم، والطبيون هم جيرانه في دار كرامته، (الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [التحل: ٣٢]

### عبدية التسليم على الأنبياء والصالحين

ثم شرع له أن يسلم على سائر عباد الله الصالحين، (فُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا أَمَّا يُشْرِكُونَ) [النمل: ٥٩]، وكأنه امثال له فهذه تحية المخلوق بعد تحية الخالق يتساوى فيها الملائكة والأنبياء والصالحون والملوك والأمراء والفقراء، وقدم فيها أولى الخلق بها وهو النبي صلّى الله عليه وسلم، الذي نالت أمته على يده كلّ خير، وعلى نفسه، وبعده على سائر عباد الله الصالحين، وأخصّهم بهذه التحية الأنبياء والملائكة، ثم أتباع الأنبياء وكلّ عبد صالح في السماء والأرض.

عبدية الصلاة على النبي: ثم أذن الله تعالى للعبد أن يسأل حاجته وشرع له أن يتولّ قبلها بالصلاحة على النبي صلّى الله عليه وسلم، فإنّها من أعظم الوسائل بين يدي الدعاء. فجاءت التحيّات على ذلك، أولاً لها حمد لله، والثانية عليه ثم الصلاة على رسوله ثم الدعاء آخر الصلاة، وأذن النبي صلّى الله عليه وسلم للمصلّي بعد الصلاة عليه أن يتخيّر من

المسئلة ما يشاء.

**عبدية التسليم:** «وتحليلها التسليم» أي: صار المصلي بالتسليم يحلّ له ما حرم عليه فيها بالتكبير، من الكلام والأفعال الخارجة عن كلام الصلاة وأفعاها. وبالتسليم يكون العبد قد استسلم لحكم ربِّ الدينِيِّ الْأَمْرِيِّ، ورضي بحكمه الكونيِّ الْقَدْرِيِّ.

اعلم أنَّ لكُل عمل ثمرة يجنيها العبد، فثمرة الصيام تطهير النفس وثمرة الزكاة تطهير المال وثمرة الحج مغفرة الذنوب وثمرة الصلاة اقبال العبد على الله وإقبال ربِّ سبحانه وتعالى على عبده، وهذه نعمة عظيمة تقرّ بها العيون وتطمئن بها القلوب، وتغفر بها الذنوب وتكثر بها العطايا والهبات من ملك الملوك علام الغيوب، فالعبد لو حمد ربِّه على قدر أنفاسه على هذه النعمة كان ما يجب عليه من الحمد عليها فوق ذلك، وأضعاف أضعافه ولو أتى العبد بكل ما يقدر عليه من الطاعات ظاهراً وباطناً، فالذى ينبغي لربه فوق ذلك وأضعاف أضعافه شكره فكيف بباقي النعم، سبحانك الله وبحمدك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وصلى الله وسلم على من قال «وَجَعَلْتُ قُرَّةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ). رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يُرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [النور: ٣٦-٣٨]

من تمام العبودية الذهاب للمسجد: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمُكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج ١ / ص ٥٩٤)، رقم ٣٠٩٨، وقال الألباني: صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٤٣)، رقم ٥٧١

من عادة الناس إذا أراد أحدهم أن يعتذر لأحد أو يسأله حاجة فإنه يذهب إلى بيته ولا يعتذر له ويسأله من بعيد. فالذهاب إلى بيت الملك وطلب مغفرته وعفوه وسؤاله وتوكيلمه عن قرب خير من أن ترسل له رسالة، فووقف العبد على باب الملك والتذلل والانكسار له معتذراً من خططيته وزلله مستمطراً سحائب جوده وكرمه ورحمته، يستدعي عطف سيده عليه وإقباله عليه وقبول اعتذاره، وإذا وقف المذنبون جميعاً ببابه رجالاً ونساء صغاراً وكباراً كان ذلك أقرب لقبول اعتذارهم وإجابة سؤالهم، اقصد بيت ربك وقف مع المذنبين، أو اجمع عيالك في بيتك وتضرع معهم لله واطلب مغفرته ورحمته وقل ربّي ها أنا وعيالي بين يديك تائبين مستغفرين سائلين فلا ترددنا خائين، انظر إلى السائلين على أبواب المساجد امرأة تأتي بأطفالها أو بزوجها المريض على عربة تستعطف الناس، وأنت لا تقف مع عيالك أمام ربّك لتستجلب رحمته. أو قف الطفل والعجوز والمريض واسأل ما تشاء فإنك مقبل على ربّ رحيم دعاك للسؤال ووعدك بالإجابة، الناس تقف على أبواب الملوك أيام حتى تدخل عليهم، وربّك جعل لك خمس أوقات في اليوم يقبل بها عليك ويسمعك ويعطيك، وأنت يا مغبون ضيّعت الفرص من يدك وشغلت نفسك بسؤال العبيد مثلك والتذلل لهم، أقبل على ربك وأرج نفسك واقتدي بنبيك صلى الله عليه وسلم القائل: «يَا بِلَّالْ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنَا بِهَا»<sup>(١)</sup>

فأرج نفسك بالصلاحة فلا راحة للعبد إلا بصلته لربه، أد الفرائض وتحبب إلى الله بالنوافل، واحلص النية، واصبر على الطاعة، حتى تصل إلى دار القرار، فلا قرار للقلب حتى يصل إلى وليه ومعبوده.

اللهم ارحنا بالصلاحة وكفر بها سيئاتنا واجعلها ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وغمومنا واجعلها نوراً لنا على الصراط يوم القيمة بفضلك يا كريم.

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٥٣)، قال الالباني: صحيح ينظر ابن القيم، اسرار الصلاة

## ٥١. الخشوع في الصلاة

قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) [المؤمنون ١-٢]

لقد وصف الله تعالى المؤمنين الذين يرثون الفردوس بعدة صفات ثلاث منها في الصلاة، وهي الدوام والمحافظة والخشوع، فقال تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون). (والذين هم على صلواتهم يحافظون). (الذين هم على صلاتهم دائمون).

قال الطبرى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ) والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيئونها ولا يستغلون عنها حتى تفوتها، ولكنهم يراعونها حتى يؤدونها فيها، وقال (عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ): إلا الذين يطعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة، وهم على أداء ذلك مقيمون لا يضيئون منها شيئاً<sup>(١)</sup>

أما الخشوع فيها فهو من المطالب الشرعية التي لا غنى للعبد عنها، وأصل الخشوع هو لين القلب ورفقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)<sup>(٢)</sup> فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ عنها حتى الكلام<sup>(٣)</sup>

واول ما يرفع من العلم الخشوع، خشوع القلوب والجوارح، عن أبي الدرداء قال كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَشَخَصَ بِيَصَرِّهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ «هَذَا أَوَانٌ يُحْتَلِسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقِدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ». فَقَالَ زَيَادُ بْنُ لَيْبِدِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُحْتَلِسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَائَنَا. فَقَالَ «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زَيَادُ

(١) جامع البيان، (ج ١٩ / ص ١٢)، (ج ٢٣ / ص ٦١١)

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٢٠)، رقم ٥٢.

(٣) تفسير ابن رجب، (ج ٢ / ص ٨)

إن كنت لا أعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم». قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت قال قلت ألا شسم مَا يُقُولُ أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال. قال صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنَك بِأَوْلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ يُوْسِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلاً خَائِشًا<sup>(١)</sup>. فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العلم عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا يتفعون بشيء منه لما فقدوا المقصود منه، وهو وصوله إلى قلوبهم، حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنبات لقلوبهم، وإنما هو على مستفهم تقوم به الحجّة عليهم. وخشوع الصلاة له ظاهر وباطن فإذا كان في الظاهر دون القلب فهو خشوع النفاق عن أبي الدرداء قال: استعذوا بالله من خشوع النفاق قيل له وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع.

قال الالوسي: "خاسعون ظاهرا وباطنا والخشوع في الظاهر انتكاس الرأس والنظر إلى موضع السجود وإلى ما بين يديه وترك الالتفات والطمأنينة في الأركان ونحو ذلك والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجرس الدنيوية بالكلية أو ترك الاسترسال معها وحضور القلب لمعاني القراءة والأذكار ومراقبة السرّ بترك الالتفات إلى المكنونات واستغراق الروح في بحر المحبة"<sup>(٢)</sup>

يقول شيخ الاسلام<sup>(٣)</sup>: والذي يعين على ذلك شيتان: قوة المقتضي، وضعف الشاغل. أما الأول: فاجتهد العبد في أن يعقل ما يقوله ويفعله، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مناج لله تعالى، كأنه يراه، فإن المصلي إذا كان قائما فإنما يناجي ربه. والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم كلما ذاق العبد

(١) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٣١)، رقم ٢٦٥٣، وقال الالباني: صحيح

(٢) الالوسي، روح المعانى، (ج ١٨ / ص ٧٣)

(٣) الفتاوى الكبرى، (ج ٢ / ص ٢٢٢)

حلوة الصلاة كان انجدابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوة الإيمان.  
وأما زوال العارض: فهو الاجتهد في دفع ما يشغل القلب من تفكير الإنسان فيما لا يعنيه، وتدبر الجواذب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة، وهذا في كل عبد بحسبه، فإن كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات، وتعليق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلب إلى طلبها، والمكر وها التي ينصرف القلب إلى دفعها.

يقول ابن رجب: "الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله عز وجل ومعرفة عظمته وجلاله وكماله فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع وتفاوت القلوب في الخشوع بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له... فمن خاشع لقوّة مطالعته لقرب الله من عبده وأطّلاعه على سره وضميره المقتضي للاستحياء من الله ومراقبته في الحركات والسكنات، ومن خашع لمطالعته بلال الله وعظمته وكرياته المقتضي لحياته، ومن خашع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاستغراق في محبيه والسوق إلى لقاءه ورؤيته، ومن خашع لمطالعته شدة بطيشه وانتقامه وعقابه المقتضي للخوف منه وهو سبحانه وتعالى جابر القلوب المنكسرة لأجله وهو سبحانه وتعالى يتقرّب من يناجيه في الصلاة ومن يعفر له وجهه في التراب بالسجود"<sup>(١)</sup>

قال تعالى: (أَمَّا يُأْنِي لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما كانَ بين إسلامنا وبينَ أنْ عوتبنا بهذه الآية إلا أربعَ سِنِينَ . فجعلَ المسلمونَ يعاتِبُ بعضُهم بعضاً». فليعاتب بعضنا بعضا ولنعتاب أنفسنا على فقدان الخشوع من القلوب.

يقول ابن القيم: "الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك

(١) تفسير ابن رجب، (ج ٢ / ص ١١)

وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه<sup>(١)</sup>  
وقد علق سبحانه وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، فمن فاته خشوع الصلاة  
لم يكن من أهل الفلاح، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعاً، بل لا  
يظهر الخشوع قط إلا مع الطمأنينة، وكلما زاد طمأنينة ازداد خشوعاً، وكلما قل خشوعه  
اشتبهت عجلته حتى تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا اقبال  
على العبودية، ولا معرفة حقيقة العبودية<sup>(٢)</sup>

\* \* \* عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ «إِنْكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَايَتِهِ فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأُوا وَسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ» [٣٩: ق]، قَالَ إِنْسَانٌ عَيْلُ افْعَلُوا لَا تَقْوُنَنَّكُمْ»<sup>(٣)</sup>

فرؤيه الله سبحانه وتعالى في الآخرة متوقفة على أداء صلاة الفجر وصلاة العصر.  
فإذا أردت أخي المسلم أن تكون من أهل هذه الآية (وجوهه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)  
[القيامة: ٢٢-٢٣]، من الوارثين للفردوس الأعلى عليك أن تجعل محور حياتك كلها  
الصلاه وكل أعمالك خارج أوقات الصلاه فلا تجعل الصلاه عند فراغك من العمل  
ولكن اجعل عمل الدنيا بعد أداء الصلاه، وادعو بهذا الدعاء، (رب اجعلني مقيماً  
الصلاه ومن ذريتي ربنا وَتَقْبَلْ دُعَاءً . رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤٠-٤١]

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ١٠

(٢) الصلاة وحكم تاركها، ص ١٤٠

(٣) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١١٥)، رقم ٥٥٤

## ٥٢. الزكاة

قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الزَّكَاةَ وَمَا تُقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ١١٠].

لقد أمر الله تعالى بالزكوة وفرضها على الأمم من قبلنا وقرنها مع الصلاة في كثير من الآيات وجعلها سبب أخوة الدين فقال تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِلَّا هُنَّ أَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفْعِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [التوبة: ١١]. فلا تتم أخوة الدين إلا بالصلاحة والزكوة، ومن جحد وجوباً من عاش بين المسلمين فإنه كافر لأنّه مكذب بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع الصحابة على قتال مانعي الزكوة واعتبروهم مرتدّين عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ركن من الأركان التي بني عليها الإسلام، ففي صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على حسن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإن أقام الصلاة وإيتاء الزكوة والحج وصوم رمضان»<sup>(١)</sup>

وتوعّد الله تعالى تاركها بالعذاب الشديد يوم القيمة فقال تعالى: (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) [التوبة: ٣٥]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفْحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَبَاهُهُ وَجَبَيْنِهِ وَظَهِيرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ الْفَ سَنَةً حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَمَرِي سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١١)، رقم ٨

(٢) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٧٠)، رقم ٢٣٣٩

وقال صلّى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتُهُ، مُثْلَّ لَهُ مَا لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَيْبَتَانٍ يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِ مَتَّيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالِكَ أَنَا كَنْزُكَ»  
 ثُمَّ تَلَّا هَذِهِ الْآيَةُ: (وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) <sup>(١)</sup>

والزكاة في اللغة النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبه: ١٠٣] وهي شاهد لصدق الإيمان عن أبي مالك الأشعري <sup>٢</sup> قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأُ الْمَيْزَانُ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأُنَّ أَوْ تَمَلَّأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» <sup>(٢)</sup>.

وهي سبب لنزول الحirيات وقيل ينمى أجراها عند الله تعالى، قالوا: ومنعها سبب لمنع نزول الرحمة من السماء. ففي الحديث: «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاتَهُمْ إِلَّا مَنْعَلُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا» <sup>(٣)</sup>، فالآمة التي لا تؤدي الزكاة لا كرامة لها ويصبح حال البهائم أفضل منها بحيث تطر رحمة بهائمها لا رحمة بها.

الزكاة من اهم اسباب الرحمة في الدنيا والآخرة لقول النبي صلّى الله عليه وسلم «ارحموا ثرحو واغفروا واغفر الله لكم» <sup>(٤)</sup> فهي سبب للتراحم بين الناس ونزول الرحمة عليهم لأنها تقوّي الرابطة الاجتماعية بين المسلمين وتنقّي المجتمع من كثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاق السيئة فهي تحارب البخل والفقر والحسد والسرقة فالغني يخرج فيها من البخل والشح الى العطاء والكرم والفقير يخرج فيها من الفقر وذلّ السؤال والحسد لأخيه الغني،

(١) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٣٩)، رقم ٤٤٦٥

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٤٠)، رقم ٥٥٦

(٣) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٣٣٢)، رقم ٤٠١٩، وقال الالباني: حسن

(٤) الأدب المفرد، (ص: ١٣٨)، رقم ٣٨٠ وقال الالباني: صحيح

وتردع السارق عن السرقة إذا وجد عنده ما يكفيه وهذه الأمراض إذا انتشرت في الأمة عصفت بأخواتها وتواطئها وأمنها وسادت فيها الفوضى وأصبح التنافس على الدنيا بطرق غير مشروعة مما يؤدي إلى تفكك المجتمع وهلاك الأمة واستحواذ الأمم الأخرى عليها، إن في ذلك لذكرى ملن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.

\* قال تعالى: (وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوا الزَّكَاةَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

[النور: ٥٦]

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيْتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ حَقْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلَّوْنَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَائِلِهِ وَكَانَ فَعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلِيهِ فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِيلَى مَدْخُلُ ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِيلَى مَدْخُلُ ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِيلَى مَدْخُلُ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلِيهِ فَتَقُولُ فَعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ - مَا قِيلَى مَدْخُلُ... »<sup>(١)</sup>

أيها المسلمون: ما قيمة الأموال التي تخلون بزكاتها، وما فائدتها، وثمرتها لغيركم في الدنيا، ونقطة عليكم في الآخرة، إنكم لا تطيلون الصبر على وهج نار الدنيا، فكيف تصبرون على نار الآخرة. فاتقوا الله عباد الله واتقوا النار ولو بشق تمرة، وأدوا الزكاة طيبة بها نفوسكم.

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسْلِ وَالْجُنُونِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِنَا فَوْسَنا تَقْوَاهَا وَرَزِّكَهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَزَّاكَهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»<sup>(٢)</sup>

(١) الألباني، التعليقات الحسان، (ج ٥ / ص ٩٥)، رقم ٣١٠٣، وقال: حسن

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨١)، رقم ٧٠٨١

## ٥٣. الاستعداد لشهر الصوم

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]

لقد أولى الإسلام أهمية بالغة للوقت فهو رأس مال المسلم للوصول إلى رضا الله والجنة، فأقسم الله تعالى بالزمن وقال عز وجل (والضاحي . والليل إذا سجني) (والصبح إذا تنفس) (والليل إذا يغشى والنهر إذا تحلى) (والعصر)، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الوقت في حياة البشرية كلها وال المسلمين خصوصاً، فاغلب الأحكام الشرعية مرتبطة بأوقات محددة كالصلوة والزكاة والصوم والحجج والرطاع والطلاق والأضحية والسفر. وقد غفل كثير من المسلمين في زماننا عن أهمية الوقت في حياتهم فضيّعوا أوقاتهم فيما لا ينفعهم حتى أن أحدهم يقول لصاحبه {تعال نضيع وقتنا} فما أشد غفلتهم.

قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. وقال: أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم"<sup>(١)</sup>. فالعالق ابن وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا قال الشافعي: صحيحت الصوفية فلم يستفد منهم سوى حرفين: "الوقت كالسيف فإن لم تقطعه قطعك ونفسك إن أشغلتها بالحق والا أشغلك بالباطل"<sup>(٢)</sup>

وشهر رمضان أفضل أوقات المسلم فهو شهر مبارك تفتح فيه أبواب السماء، ومن بركته فيه ليلة خير من ألف شهر، ومن حرم الفضل فيه لا يناله في غيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُعْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُعْلَمُ فِيهِ مَرَدُ الشَّيَاطِينِ اللَّهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»<sup>(٣)</sup>

(١) السلمان، موارد الظمان لدروس الزمان، (ج ٤ / ص ٦٢٦)

(٢) الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافعي، (ص: ١٠٩)

(٣) مشكاة المصابيح (ج ١ / ص ٦١٢)، رقم ١٩٦٢، وقال الالباني : صحيح

شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فُتُحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلُقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(١)</sup> ومن لم يغفر له في رمضان باعده الله في النار. قال صلى الله عليه وسلم: «أَتَانِي حِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفِرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْتُ: آمِينَ قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالَّذِي هُوَ أَحَدُهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْتُ: آمِينَ فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصْلَلْ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قَلَ: آمِينَ فَقُلْتَ: آمِينَ»<sup>(٢)</sup>

فالمسلم في رمضان يحتاج إلى تقسيم وقته واستغلال كل دقة في طاعة تقربه من ربّه فأهل الخير يستعدون للقرب من الله وأهل الشر يستعدون لإبعادهم من ربّهم فمن سدده الباري عزّ وجلّ ألهمه كيف يحافظ على نعمة الوقت لظهور بركة التوفيق الربّاني في عمله، وعلى المسلم أن يتّخذ خطوات يستعدّ فيها للدخول في رحمة الله.

**أولاً:** إغلاق أبواب الشر وابعاد كل ما يجرح الصيام ويقلل من قدسيته وتنظيف البيت من القنوات الفضائية الساقطة ومسحها من التلفاز قبل دخول الشهر الفضيل والاقتصار على القنوات الدينية التي تذكر المسلم بربه وترغبه بالطاعة وتنفره من المعصية، وهجر الأنترنت نهائياً في هذا الشهر لأن نظرة واحدة محمرة قد تفسد عليك صيامك فالنظرة سهم من سهام ابليس. هل من العقول ان يمسك المسلم عن الطعام المباح الحلال ولا يمسك عن النظر الحرام والكلام الحرام.

**ثانياً:** إصدار أمر باعتقال النفس الأئمّارة بالسوء ووضعها في سجن الطاعة، والابتعاد عن كل ما يلهي عن ذكر الله والاقتراب من الذين يذكرونك بالله تعالى، وإيقاف هدر الوقت في الملهيات والأسوق والجلوس على الأبواب وفي الطرقات واستغلال وتدارك الضائع منه في الطاعات، وحاول أن تقنع عائلتك بهذا القرار بتذكيرهم بفضل هذه

(١) صحيح مسلم، (ج / ٣، ص ١٢١)، رقم ٢٥٤٨

(٢) الالباني، صحيح الترغيب والترهيب، (ج / ١، ص ٢٤١)، رقم ٩٩٦، وقال: صحيح لغيره

الأوقات وخسارة من لم يستغلها في الطاعات.

ثالثاً: قراءة القرآن قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حِرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعِشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْحِرْفُ، وَلَكِنَّ الْإِلْفُ حِرْفٌ وَلَا مُحِرْفٌ وَمِيمٌ حِرْفٌ»<sup>(١)</sup> لا بدّ للمسلم والمسلمة من وقت يقرأ فيه القرآن يحدّده ويلزم نفسه به وعلى الأقل يقرأ في كل يوم جزء حتى يختتم القرآن في هذا الشهر المبارك والجزء مقسم إلى حزبين وكل حزب إلى أربعة أرباع فلو قرأ المسلم قبل الصلاة ربعا وبعد الصلاة ربعا لأكمل في أربع صلوات جزءاً كاملاً والرابع لا يتجاوز خمس دقائق في الأكثر. كان السلف يهجرون حلقة التحديث والتعليم في رمضان ليتفرقوا القراءة القرآن والنظر فيه.

ألا نستطيع أن نلزم أنفسنا على هجر مجالس اللغو ونتفرّغ للقرآن والقرب من الله.

رابعاً: أوقات الإفطار وقبل الأذان بدقيقات لحظات ثمينة ودقائق غالبة من أفضل الأوقات للدعاء وسؤال الله سبحانه وتعالى وهي من أوقات الاستجابة والعبد صائم مقبل على الله منكسرة نفسه ومع ذلك يغفل كثير من الناس عن هذه اللحظات فاحرص أخي المسلم على استغلال هذه اللحظات برفع الأيدي والأكف والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى الذي يقول: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠]، وعن أنس بن مالك قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرْدُ دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»<sup>(٢)</sup>

خامساً: أوقات السحر من أفضل الأوقات للدعاء والتوبة والاستغفار قال تعالى عن أهلها: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجِعُونَ) أي ما ينامون (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: ١٧-١٨]، أوقات يقترب فيها الرب سبحانه وتعالى من عباده كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزُلُ رَبُّنَا

(١) سنن الترمذى، (ج / ٥ ص ١٧٥)، رقم ٢٩١٠، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياوته، (ج ١ / ص ٥٨٢)، رقم ٣٠٣٢، وقال الالباني: حسن

زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَحِبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ» وفي مسلم: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ»<sup>(١)</sup>

سادساً: الوقت بعد صلاة الفجر من الأوقات المباركة فإنّه وقت غنية وهو أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر. عن أنسٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأْجِرٌ حَجَّةٍ وَعُمْرَةً»  
قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَامَّةٌ، تَامَّةٌ»<sup>(٢)</sup>

\* \* \* عن أبي هُرَيْرَةَ، عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ أَوْلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَّةُ الْجِنْ، وَغُلُّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحْتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلُقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقِبْلُ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقِصْرُ، وَاللهُ عُتَّقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»<sup>(٣)</sup>

رب العالمين الرحمن الرحيم يدعوك ليغفر لك ويرحمك ويعتقك من النار ويدخلك الجنة فلا تضيع هذه الفرصة من يدك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «النَّاسُ غَادِيَانِ فَمُبْتَأَعُ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا وَبَاعَ نَفْسَهُ فَمَوْبِقُهَا»<sup>(٤)</sup> واعلم أن الموفق من وفقه الله تعالى والمخذول من خذله الله تعالى. اللهم انا نسالك مغفرتك ورحمتك وفضلك واحسانك والعتق من النار والفوز بالجنة لا اله الا انت العزيز الغفار.

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٥٣)، رقم ١١٤٥، صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٧٦) رقم ١٨١٣

(٢) سنن الترمذى، (ج ٢ / ص ٤٨١)، رقم ٥٨٦، وقال الالباني: حسن

(٣) سنن ابن ماجه، (ج ١ / ص ٥٢٦)، رقم ١٦٤٢، وقال الالباني: صحيح

(٤) الالباني، التعليقات الحسان، (ج ٦ / ص ٤٨٣)، رقم ٤٤٩٧، وقال: صحيح

## ٥٤. صيام رمضان

قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥]

إنَّ من فضل الله على عباده وإحسانه إليهم أن يسر لهم الأسباب التي ترفع في درجاتهم وتجعلهم قربين منه، فاختار شهر رمضان من بين الشهور يكفر الله فيه الذنوب ويغسل العثرات ويرفع الدرجات، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا عُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>، وفيه ليلة القدر التي اختارها على جميع الليالي، فيها تغفر الذنوب وتحجب الدعوات.

أمر الله تعالى عباده بالصوم واحتصنه لنفسه وهو تعالى يجزي به وجعله جنة من النار، وخلوف الصائم اطيب عند الله من ريح المسك، وجعل للصائم فرحتان فرحة في الدنيا وفرحة في الآخرة قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصَّيَامُ جُنَاحٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صُومٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلَيُقْلِلُ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخْلُوفٌ فِيمَ الصَّائِمِ أَطْيَبٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانٌ يَفْرُحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»<sup>(٢)</sup>

[فلا يرفث: المراد بالرفث هنا الكلام الفاحش، ولا يجهل: أي لا يفعل شيئاً من أفعال

أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك، لخلوف الصائم: هو تغير رائحة الفم] فالصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، المراد بقوله وأنا أجزي به أي انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته . والصيام من اسباب دخول الجنة عنْ أَبِي أُمَّامَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٦)، رقم ٣٨

(٢) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ١٥٧)، رقم ٢٧٦٢

يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ أَوْ قَالَ لَا مِثْلَ لَهُ»<sup>(١)</sup>

ومن تكرييم الله تعالى للصائمين أن جعلهم من ذوي الامتيازات الخاصة يوم القيمة  
فجعل لهم بابا خاصا بهم يدخلون منه إلى الجنة لا يدخل منه غيرهم.

عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَانِ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُولُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلَقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

ورغب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصيام في غير رمضان ليزيد من حسنات  
أمته ويعادهم من النار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى  
الله عليه وسلم يقول: «من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين  
خريفاً»<sup>(٣)</sup>. وسئلته عائشة عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان  
يتحرى صيام الاثنين والخميس.

وأذن النبي صلى الله عليه وسلم بالصيام عن الميت الذي عليه صوم كأن يكون أفتر  
من رمضان ومات ولم يقضه أو عليه كفارة ولم يؤديها أو عليه نذر صوم، فأمر وليه  
بالصيام عنه حتى يؤدي دينه، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلَيْهُ»<sup>(٤)</sup>

فالصيام فرض من الله خالصا له، نجاة من النار، باب من أبواب الجنة، في خسارة  
من لم يصم رمضان والتذر بشهواته وقد مرضاة نفسه على مرضاة الله فذلك هو الخسران  
المبين. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَغْمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكْرُتْ

(١) المسند، (ج ٥ / ص ٢٦٤)، رقم ٢٢٣٣٠، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات

(٢) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٢٥)، رقم ١٨٩٦

(٣) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ٢٦)، رقم ٢٨٤٠

(٤) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٣٥)، رقم ١٩٥٢

عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغْمَ أَنْفُ رَجُلٌ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانَ فَانسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغْمَ أَنْفُ رَجُلٌ أَذْرَكَ عِنْدَهُ أَبْوَاهُ الْكِبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قَالَ رَبِيعٌ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَدْ قَالَ أَوْ أَحَدُهُمَا<sup>(١)</sup>. شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له، وسعد عبد صام رمضان ايماناً واحتساباً راجياً ثواب ربها، متظراً فرحته عند لقاءه.

\* \* \* عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ أَنَّ إِعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَائِرَ الرَّأْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فَقَالَ «الصَّلَوَاتُ الْحَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا» فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّيَامِ قَالَ «شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا» فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَةِ قَالَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَالَ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَا تَطَوَّعْ شَيْئًا وَلَا أَنْقُصْ إِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ»<sup>(٢)</sup>. فرمضان فرصة للتغيير وكسر القلوب وإعادتها لطاعة ربها وإصلاح النفوس وتطهيرها من الشهوات، والانابة إلى الله تعالى والاعتذار له وطلب مغفرته وهو الغفور الرحيم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]، اللهم اعنا على الصيام والقيام واجعلنا من المخلصين الصائمين القائمين

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمُسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقْرَبُ إِلَى حُبَّكَ»<sup>(٣)</sup>

(١) المسند، (ج ٢ / ص ٢٥٤)، رقم ٧٤٤٤، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا اسناد حسن

(٢) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٢٣)، رقم ٦٩٥٦

(٣) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٣٦٨)، رقم ٣٢٣٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن

## ٥٥. التقوى

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرُ نَفْسُكُمْ مَا فَدَمْتُ لِغَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِّيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحشر: ١٨].

الحمد لله الذي أوصى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكمُ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) [النساء: ١٣١]، وجعل خير زاد المسلم في سفره إلى الله تعالى والدار الآخرة التقوى، فقال تعالى: (وَتَرَوْدُوا فِي أَنَّ خَيْرَ الرَّازِدِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ) [البقرة: ١٩٧]

وجعل الله تعالى الصوم سبباً لحصول التقوى، والتقوى هي: أن تجعل بينك وبين محارم الله وقاية، أي: حاجزاً، والصوم حاجز عن المعاصي وقاية من النار قال عثمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الصوم جنة من النار، كجنة أحديكم من القتال»<sup>(١)</sup> قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكتعب الأحبار: حدثنا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وشمرت، قال كعب: وذلك التقوى.

وأجمل سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى باربع كلمات فقال: "التفوي هي الخوف من الجليل والعمل بالتنتزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل".

قال الغزالى رحمه الله: "التفوي كنز عزيز فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وملك عظيم فخيرات الدنيا جمعت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى وكل خير وسعادة في الدارين تحت هذه اللفظة فلا تنس نصيبيك منها"<sup>(٢)</sup>

أهل التقوى هم ملوك الدنيا والآخرة فالعقاب للتفوي وأهلها وما تفاضل الناس عند الله

(١) سنن ابن ماجه، (ج ١ / ص ٥٢٥)، رقم ١٦٣٩، وقال الالباني: صحيح

(٢) المناوي، فيض القدير، (ج ٦ / ص ٢٧)

تعالى في الدنيا والآخرة الا بالتفوى فهـي الصفة التي ترفع صاحبها أعلى المنازل وأكر منها

عند الله قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ) [الحجرات: ١٣]

فلا قيمة للإنسان بحسب ولا نسب ولا شهادة ولا منصب الا إذا اقترب ذلك

بالتفوى. ولو لم يكن في فضل التقوى إلا قول الله تعالى (وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ٢٧٦]

، لكـفى بذلك شرفاً أن يتـسابق الناس لنيل هذه المـنزلة عند الله تعالى والفوز بها.

— ومن فضائل التقوى أنها سبب لـنيل مـعـيـة الله الخـاصـة، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

أَتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) [النـحل: ٦] (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البـقرة: ١٩٤]

— أنها سبب لـتيسير أمور العـبد وخرـوجه من المـازـق ورـزـقه من حـيـث لا يـحـتـسب، قال

تعـالـى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ

حـيـث لا يـحـتـسب) [الطلاق: ٤ - ٢]

— التـقوـى هي أـفـضل ضـمـان لـمـسـتـقـبـل أولـادـك بـعـد موـتك قال تعالى: (وَلَيُخَشِّنَ الَّذِينَ

لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلَيَتَّقُوا اللَّهُ) [النـساء: ٩]

— التـقوـى والـصـبر أـمـضـى سـلاـحـ لـلـمـؤـمـن لـلـأـمـنـ منـ كـيدـ عـدـوـهـ ومـكـرـهـ قالـ تعـالـى:

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران: ١٢٠]

— التـقوـى سـبـبـ لـلـتـميـزـ بـيـنـ الـحـقـ وـالـبـاطـلـ وـتـكـفـيرـ السـيـئـاتـ وـمـغـفـرـةـ الذـنـوبـ قالـ

تعـالـى: (يـا أـيـهـا الـذـيـنـ آمـنـوا إـنـ تـتـقـوا اللـهـ يـجـعـلـ لـكـمـ فـرـقـانـاً وـيـكـفـرـ عـنـكـمـ سـيـئـاتـكـمـ وـيـغـفـرـ لـكـمـ

وـالـلـهـ ذـوـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ) [الـأـنـفـالـ: ٢٩]

— التـقوـى وـصـيـةـ اللـهـ وـوـصـيـةـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـلـمـؤـمـنـينـ وـعـلـىـ قـدـرـ كـمـ

الـتوـحـيدـ فـيـ الـقـلـبـ تـكـوـنـ التـقوـىـ، فـالـتـقوـىـ فـيـ حـقـيـقـتـهاـ وـجـوهـهاـ تـبـنيـ عـلـىـ اـسـتـحـضـارـ

الـقـلـبـ لـعـظـمـةـ اللـهـ تـعـالـىـ وـاسـتـشـعـارـ هـيـبـتـهـ وـجـلـالـهـ وـكـبـرـيـائـهـ وـالـخـشـيـةـ لـمـقـامـهـ وـالـخـوفـ منـ

حـسـابـهـ وـعـقـابـهـ. فـكـلـمـاـ كانـ التـوـحـيدـ كـامـلاـ فـيـ قـلـبـكـ كـلـمـاـ كانـ التـقوـىـ عـلـىـ قـدـرـهـ، وـكـلـمـاـ

ضـعـفـ التـوـحـيدـ فـيـ قـلـبـكـ قـلـتـ التـقوـىـ وـتـجـرـأـتـ عـلـىـ مـحـارـمـ اللـهـ وـانتـهـاـكـهـاـ، فـمـاـ الـذـيـ يـمـنـعـكـ

من الكفر والشرك والرياء والنفاق، هي عظمة الله في قلبك، فهو الملك القدس السلام العزيز الجبار المتكبر فتسبيح الله تعالى وتقول سبحان الله عَمِّا يشركون فهو المستحق للعبادة وحده. وما الذي يمنعك من الغش والخداع والبخل والفحش والسب واللعن وبذيء الكلام، هو استشعار أسماء الله وصفاته في قلبك. فهو الرقيب السميع البصير، فتخاف الله وتستحيي أن يراك حيث منعك أو أن يفتقدك حيث أمرك.

\* قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [المائدة: ٧٣]

أمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالمواظبة على التقوى، ثم أعلمهم انه يعلم ما في صدورهم من الأسرار والخواطر، وقد نهى رسولنا صلى الله عليه وسلم عن الاعمال التي توقع البغض والشحنة بين العباد، وأمرنا ان نكون عباد الله اخوانا، ونهانا عن ظلم اخواننا وخذلانهم واحتقارهم، وأخبرنا ان التقوى في القلوب فقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَنَاجِشُوا وَلَا تَبَاغِضُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا يَبْعِيْعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُوْنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا»، ويُشير إلى صدره ثلث مرات «بحسب امرئ من الشّرّ أن يُحقر أخاه المسلم كُلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(١)</sup>

التقوى محلها القلب وهي تعظيم الله ومحبته وخوفه ورجاؤه وخشيته والرغبة فيما عنده تظهر على الجوارح قوله وعملا وحالا فأكرم الناس عند الله اتقاهم له كن من أهل التقوى تفوز في الدنيا والآخرة. «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْهُدَى وَالْتَّقْوَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٠)، رقم ٦٧٠٦

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨١)، رقم ٧٠٧٩، ينظر، العتيبي، التقوى، (ج ١ / ص ١٤)

## ٥٦. علامات التقوى

قال تعالى: (ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين. الذين يؤمنون بالغيب ويفيقون الصلاة وما رزقناهم يفتقرون) [البقرة: ٤-١]

ذكرت التقوى بأكثر من (١٥٠ آية) في القرآن ومن يتدبّر آيات التقوى وأحاديثها يجد أنّ خير ثمراتها حب الله ومعيته للمتّقين، وأنّها سبب لرحمة الله للعبد ونجاة له من العقوبات التي تحل بال العاصين في الدنيا، ومن العذاب المقيم في الآخرة.

في الدنيا: قال تعالى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَّةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [النّمل: ٥٢-٥٣]، وقال تعالى: (قَالَ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهُ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: ١٥٦].

في الآخرة: قال تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقُوا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِثِّيًّا) [مريم: ٧١-٧٢] [١٥٣]

فكيف يكون العبد من المتّقين؟

أولاً: السير على صراط الله المستقيم وذلك بالعمل بالكتاب والسنّة بفهم الجيل الأول واجتناب السبل التي تخرج عن الصراط المستقيم التي استحدثت بالأهواء والأراء والأفكار، قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الانعام: ١٥٣]

عن ابن مسعود قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطْوَطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَائِلِهِ ثُمَّ قَالَ: «وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَاهَا: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الانعام: ١٥٣] <sup>(١)</sup>

ثانياً: تعظيم شعائر الله وتعظيم حرماته: قال تعالى (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج: ٣٢]، وشعائر الله، معالم حدود الله، وأمره ونهيه وفرائضه. فتعظيم الأمر يدل على تعظيم الأمر، وذلك عالمة على التقوى عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الَّذِي تَفْوَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَاتَمًا وُتْرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» <sup>(٢)</sup> [سلب أهله وماله فأصبح بلا مال ولا أهل]، وهذا من تعظيم قدر الصلاة. والصلاحة في المسجد من أكبر شعائر الدين وعلاماته.

ثالثاً: إحسان العمل: أي إقامة الأوامر الشرعية على أحسن الوجوه قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) [النحل: ٣٠]، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) [الكهف: ٣٠]، وقال تعالى: (لِيَلْوُكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) [الملك: ٢]، قال الفضيل: «أخلصه وأصوبه، وقال: والخلص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة». قال طلق بن حبيب: "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله" <sup>(٣)</sup>، يكون الباعث على العمل هو الإيمان فقط، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» <sup>(٤)</sup>

رابعاً: الإحسان إلى الخلق: وصف الله المتقيين بمعاملة الخلق بالإحسان إليهم، بالإتفاق

(١) الألباني، التعليقات الحسان، (ج ١ / ص ١٤٦)، وقال: حسن صحيح

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١١٥)، رقم ٥٥٢

(٣) ابن رجب، تفسير ابن رجب، (ج ٢ / ص ٤٩٠) (ج ١ / ص ٣٦٢)

(٤) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٦)، رقم ٣٨

وكظم الغيظ والغفو عنهم، قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّهَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَتْ لِلْمُتَقِينَ . الَّذِينَ يُنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] ... فالإنفاق في السراء والضراء يقتضي غاية الإحسان بمال من الكثرة والقلة، وكظم الغيظ والغفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السيئة من قول فعل وذلك يتضمن إلاته القول واجتناب الفحش والإغلاظ في المقال، ولو كان مباحاً، وهذا نهاية الإحسان فلهذا قال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .. فجمع بين وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى، وهذا هو غاية حسن الخلق الذي وصى به النبي - صلى الله عليه وسلم لعاذ<sup>(١)</sup>

\*\* قال تعالى: (أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . هُمُ الْبُشِّرُى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس: ٦٢ - ٦٤]

أولياء الله الذين من عاداهم فقد بارز الله بالمحاربة، وأخص صفاتهم الإيمان والتقوى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنْاسًا مَا هُمْ بِأَنْيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَعْبِطُهُمُ الْأَنْيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَحْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ «هُمْ قَوْمٌ تَحَبُّو بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامِ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَعْطَا طَوْهَرَةً فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزُنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ) <sup>(٢)</sup>

كل من آمن بالله واتقاءه كان من أولياء الله، وكل من علم دين الله وعمل به فهو من أولياء الله قال الإمام مالك: والحب في الله هو حب أولياء الله، وهم الأنقياء العلماء بالله، المعلمون لدين الله العاملون به.

(١) تفسير ابن رجب، (ج ١ / ص ٥٦٠)

(٢) سنن أبي داود، (ج ٣ / ص ٣١١)، رقم ٣٥٢٩، وقال الألباني: صحيح

## ٥٧. عيد الفطر

قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلَتُكِمِلُوا الْعِدَّةَ وَلَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: ١٨٥]

لقد تقضى الله تعالى بيوم العيد على عباده وأبد لهم بأعياد الجاهلية عيدين سنهما لهم نبيه صلى الله عليه وسلم عيد الفطر وعيد الأضحى. عن أنس قال: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَا هُلِلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ" <sup>(١)</sup>

فمهما تعددت الأعياد الباطلة ومهما زخرفت أسماؤها فلا عيد للمسلمين غير هذين العيدين لأن الله تعالى هو الذي اختارهما لهم رحمة بهم فمن اتخذ أعيادا أخرى هذا يعني أنه غير راض باختيار الله تعالى وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، (وَمَا كَانَ لِؤْمِنْ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب: ٣٦]. فاختار ما شئت وارض بها شئت فإنما الإسلام واختيار الله تعالى وإماماً الجاهلية وأعيادها.

في عيد الفطر أمر الله تعالى بعد الانتهاء من الصيام بالتكبير والشكرا، فقال عز وجل: (وَلَتُكِمِلُوا الْعِدَّةَ وَلَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، فتكبير الله تعالى يعني تعظيمه بقولنا الله أكبر، وما أسهل تعظيمه باللسان وما أصعبه في القلوب، فلا يتم تعظيمه في القلوب إلا إذا كنا عبیداً لله تعالى. فقدنا تعظيمه في القلوب بعدما انفرط عقد عبوديتنا لله واجتمعا على حبه والاعتصام به وأصبحنا عبیداً لشياطين الإنس والجن، عبیداً للهوى تتقادفنا أمواج الشبهات والشهوات يميناً وشمالاً لإخراجنا من دين الله، ولإخراجنا من رحمة الله تعالى، ولإخراجنا من السير خلف النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) المسند، (ج ٣ / ص ١٠٣)، رقم ١٢٠٢٥، استناده صحيح رجاله رجال الشيخين

وأصبحنا نسير خلف فلان وفلان ويوم القيامة ينطبق على الكثير منا قول الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ خَدُولاً) [الفرقان: ٢٧-٢٩]

كثير من الناس أصبح عبد الشيطان وهو انه بعضهم أصبح عبد الشياطين الكفر ومنهم من أصبح عبداً لشياطين الأحزاب والفرق والجماعات المارقة من الدين الذين يدعون المسلمين لقتل بعضهم البعض. أصبحت كل جماعة عندها رب تسبح بحمده وتأنق بأمره في معصية الله، والله تعالى يقول: (أَأَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمُّ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) [يوسف: ٥٤] [٤٠-٣٩]

في العيد نحن بحاجة إلى العودة إلى العبودية الحقيقية لله نعود منينين إلى الله وإلى دين الإسلام الحق الذي أنزله الله رحمة للعالمين، قال تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) [آل عمران: ٥٤]

نقول للذين رضوا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلمنبياً في رمضان لا تنقضوا عهدهم مع الله ولا تقطعوا صلتكم به، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيَّامَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثًا) [آل عمران: ٩١-٩٢] وهذا مثل ضربه الله لم ننكث عهده مع الله ومع الناس. امرأة بمكة كانت تسمى ربيطة الحمقاء، كانت إذا غزلت الشعر والكتان أبرمه وأحكمته نقضته، ثم غزلته مجددا.

نذكر أخواتنا المسلمات أن المرأة لا قيمة لها إلا بالإسلام ولا كرامة لها إلا بالإسلام ولا عفة لها من دون حجاب، واعلمي أن الأوامر لك أنت يا مسلمة كما هي لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وبناته لا فرق في ذلك بين عائشة، وحفصة، وصفية، وأم حبيبة، وفاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، الأمر واحد وهو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْتَى أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [الأحزاب: ٥٩]

عباد الله: ما أجمل الطاعة إذا أتبعت بطاعة ما أجمل الحسنة تتبعها حسنة بعدها، ما أحسن الاحسان يليه الاحسان، والمعروف يليه المعروف والخير يليه الخير، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد: ١٧]، وقال تعالى: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًا) [مريم: ٧٦] قال العلماء: إنّ من علامة قبول الحسنة أن تُتلى بشكر صادق على التوفيق لها وبعمل صالح مثال لها.

فيما إخوتي في الله الذين أكركم الله بأنواع الطاعات وتقرّبتم إلى الله في أيام رمضان وليليه بأنواع القربات، تسبيحون الليل والنهار صياماً وصلوةً وتلاوةً وبرّا وصلةً وإحساناً واستغفاراً وذكراً، واصلوا سيركم إلى الله، تعاهدوا زرعكم.

فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوه نادما يوم الحصاد  
ولا يكون آخر عهدمكم بالطاعة والإحسان ما قدّمتموه في شهر رمضان بل صلوا ذلك وأديموه وتذكروه أنّكم عبيد الله في رمضان وفي غير رمضان فلا عزّ لكم إلا بهذه العبودية . كما قال القاضي عياض

وَمَا زَادَنِي شَرَفًا وَفَخْرًا ... وَكِدتُّ بِأَحْمَصِي أَطْأَلَ الشَّرَيَا  
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَلَتَ أَحْمَدَ لِي نَيَا

اللهم إنّ عبادك خرجوا إلى هذا المكان يرجون ثوابك وفضلك ويخافون عذابك، اللهم حقّ لنا ما نرجو وأمنّنا ما نخاف، اللهم تقبلّ منا واغفر لنا وارحمنا، اللهم انصرنا على عدوّنا واجمع كلّمتنا على الحقّ، ويسّرنا لليسرى، وجنبنا العسرى، واغفر لنا في الآخرة والأولى إنّك جواد كريم.

## ٥٨. بناء البيت

قال تعالى: (وَإِذْ بَوَّا نَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً وَطَهَرْ بَيْتِي لِلظَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَعِ السُّجُودِ وَأَدْنَى فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رَجَالاً وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ فَجٌّ عَمِيقٌ) [الحج: ٢٦-٢٧]

عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: أول ما اخذ النساء المنسقه من قبل أم إسماعيل، اخذت منسقاً لتعفي أثرها على سارة<sup>(١)</sup>، ثم جاءها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة<sup>(٢)</sup>، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس لها ماء، فوضعتها هنالك، ووضاع عندهما حراباً فيه تم، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منسقاً، فبعثته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الشنية حيث لا يرونها، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: (رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي رزيع عند بيتك المحرر) [إبراهيم: ٣٧] - حتى بلغ - (يشكرُون)

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت

(١) المنطق: وهو النطاق، والجمع: مساطق وهو أن تلبس المرأة ثوبها، ثم تشدد وسطتها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل عند معاشرة الأشغال لثلا تعثر في ذيلها. الزبيدي: تاج العروس (ج ٢٦ / ص ٤٢٣)، وكانت ثياب النساء طويلاً تسحب خلف المرأة على الأرض فترك أثراً وليس كثياب النساء في أيامنا هذه، فاتخذت أم إسماعيل المنطق حتى ترفع طرف ثوبها عن الأرض لتعفي أثراً عنها عن سارة.

(٢) (دوحة) هي الشجرة العظيمة من أي نوع كانت، تاج العروس (ج ١ / ص ٥٥)

الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاءَرَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا [ص: ١٤٣]، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَوْتُهُ<sup>(١)</sup> - تُرِيدُ نَفْسَهَا -، ثُمَّ سَمِعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْرَمَ، فَبَحَثَتْ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحْوِضُهُ<sup>(٣)</sup> وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سَقَائِهَا وَهُوَ يَقُولُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْرَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْلَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْرَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الْضَّيْعَةَ، فَإِنَّهَا هُنَّا بَيْتُ اللَّهِ، يَبْيَنِي هَذَا الْعَلَامُ وَابْوُهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةَ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَائِلِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةً مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقٍ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأُوا طَائِرًا عَائِفًا<sup>(٤)</sup>، فَقَالُوا: إِنَّهَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءِ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِيِّ وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيًّن<sup>(٥)</sup> فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَفْبَلُوا، قَالَ: وَأَمْ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنُ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أَمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَانَ»<sup>(٦)</sup> فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى

(١) (صه، كلمة زجر للمتكلم أي اسكت)، تسكت نفسها، تاج العروس (ج ٣٦ / ص ٤٢٨)

(٢) الغواتُ، بالفتح، كالغياث، من الإغاثة، لسان العرب (ج ٢ / ص ١٧٤)

(٣) تُحَوِّضُهُ أَيْ تَجْعَلُهُ حَوْضًا يَجْمُعُ فِيهِ الْمَاءُ. لسان العرب (ج ٧ / ص ١٤١)

(٤) عَائِفًا عَلَى الْمَاءِ أَيْ حَائِمًا لِيَجِدْ فُرْصَةَ فَيَشَرِّبُ، لسان العرب (ج ٩ / ص ٢٦٠)

(٥) فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَيْ رَسُولاً، لسان العرب (ج ١٤ / ص ١٤٢)

(٦) ألفى أي وجد ذلك الحي الجرهمي أم إسماعيل فأنسنت بهم بعد ان كانت في وحشة وحدها.

إذا كان بها أهل أياتٍ منهم، وشبَّ الغلامُ وتعلَّم العربيةَ مِنْهُمْ، وأنفَسَهُمْ وأعجبَهُمْ حينَ شَبَّ، فلَمَّا أذْرَكَ زَوْجُوهُ امرأةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلَ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَتَغَيِّرُ لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بَشَرٌ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَّتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ رَوْجُوكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَانَهُ أَنْسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهَدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أُوصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمْرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ غَيْرُ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَفَارِقَكِ، الْحَقِّي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدَ فَلَمْ يَجِدْهُمْ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَتَغَيِّرُ لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ الْلَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي الْلَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَيْنِ حَبْ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا هُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ رَوْجُوكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُشِّتِ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيَّةِ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأُوصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يُقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أُمِرْتُ أَنْ أَمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمَرَةٍ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَالِدِ وَالْوَالِدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أُمِرْ بِأَمْرِهِ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمْرَكَ رَبِّكَ، قَالَ: وَتُعِينِي؟ قَالَ: وَأَعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أُمِرْ فِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا يَيْتَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةٍ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعاَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبَيْتُ، جَاءَ بِهَذَا

الْحَجَرِ فَوَّصَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْيَنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْيَنِيَانَ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلْ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٤٩]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَفْصَى»<sup>(٢)</sup>

يقول شيخ الاسلام: "فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة للصلوة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف من الاعمال الصالحة وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليها باتفاق أهل العلم"<sup>(٣)</sup>

المسجد الحرام قبلة المسلمين ومن المساجد التي تشتد إليها الرحال، وفيه تضاعف الأجرور وهذا من فضل الله على الناس. قال مجاهد: "تضاعف السيئات في مكة كما تضاعف الحسنات وسئل احمد رضي الله عنه هل تكتب السيئة أكثر من واحدة؟ فقال: لا الا بمكة لتعظيم البلد"<sup>(٤)</sup>

قال ابن القيم: "فالسيئة في حرم الله وبليده وعلى بساطه أكد منها في طرف من أطراف الأرض، وهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه"<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٤٢)، رقم ٣٣٦٤

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٦٠)، رقم ١١٨٩

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، (ج ٢ / ص ٣٤٠)

(٤) الاحكام الشرعية والمنح المرعية، (ج ١ / ص ٩٩)، الجامع لأحكام القرآن، (ج ١ / ص ١٤٠)

(٥) زاد المعاد، (ج ١ / ص ٥٢)

## ٥٩. حج الْبَيْت

قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يِكَّهُ مُبَارَّكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامٌ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَيِّلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران ٩٦-٩٧].

لقد أمر الله تعالى إبراهيم بناء بيته في الأرض بعدهما بىّن له مكانه فقال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ) [الحج: ٢٦].

وهو أول مسجد وضع للناس في الأرض، عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول، قال «المسجد الحرام» قلت ثم أي قال «ثم المسجد الأقصى» قلت كم كان بينهما قال «أربعون سنة ثم قال حيّها أدركك الصلاة فصل والأرض لك مسجد»<sup>(١)</sup> وأول أمره الله تعالى لإبراهيم (أن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)، فبدأ بأصل العبادة التي لا تقبل باقي العبادات إلا على أساسها، فللتوحيد أقيم هذا البيت منذ أول لحظة فهو بيت الله وحده، وهذا فيه تقرير وتبسيخ لمن عبد غير الله وأشارك به في البقعة التي أسّست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

ثم قال تعالى: (وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ) أضاف البيت إلى ذاته المقدّسة تشريفا له، وأمره بتطهيره من أقدار الشرك وأنجاس المشركين. وفيه إشارة إلى أنّ مِن إكرام الزائر تنظيف المنزل وأن ذلك يكون قبل نزول الزائر بالمكان. ومن إكرامه تعالى لمن صلى فيه أن جعل الصلاة فيه بمائة ألف صلاة. عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضّل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضّل من مائة ألف صلاة فيما سواه<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٦٢)، رقم ٣٤٢٥

(٢) المسند، (ج ٣ / ص ٣٩٧)، رقم ١٥٣٠٦، استناده صحيح على شرط البخاري

ثم قال تعالى: (وَأَذْنِ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ) [الحج: ٢٧]. أي ناد في الناس بالحج، داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه، ونادي إبراهيم واستجاب من استجاب وتقاعس من تقاعس وبين الله تعالى المناسك لإبراهيم عليه السلام حتى إذا بدأ دين إبراهيم دين الحنفية السمحاء وجاءت قريش والقبائل فوضعت أصنامها في بيت الله وطرأ الشرك على العبادات، ثم رحم الله تعالى الناس ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي طهر بيته من الأوثان والأصنام وما ابتدعه المشركون من عبادات وأعاد المناسك إلى ما كانت عليه في زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ونادي في الناس بالحج. عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أئيَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكنت حتى قال لها ثلاثة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قال - ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُوءِهِمْ وَأَخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ فَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأُتْوَا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»<sup>(١)</sup>

والحج من أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد وجزاؤه مغفرة الذنوب والرجوع منها يوم ولدته أمّه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل قال «إيمان بالله ورسوله قيل ثم مادا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم مادا قال حج مبرور»<sup>(٢)</sup>

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَجَّ لِهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(٣)</sup> فالحج المبرور يمحو الذنوب ويرجع به العبد كيوم ولدته أمّه وجزاؤه الجنة.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٤، ص ١٠٢)، رقم ٣٣٢١

(٢) صحيح البخاري، (ج / ٢، ص ١٣٣)، رقم ١٥١٩

(٣) صحيح البخاري، (ج / ٢، ص ١٣٣)، رقم ١٥٢١

\* قال تعالى: (وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرٌ . وَاللَّيْلٌ إِذَا يَسِّرَ . هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي حِجْرٍ) [الفجر: ١-٥]

جعل الله تعالى لعباده مواسم يتقربون بها اليه من هذه المواسم أيام عشر ذي الحجة، فضلها الله تعالى على غيرها، لاجتماع أمهاط العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج والذكر وذبح الأضاحي، وجعل العمل فيها أفضل من العمل في غيرها حتى انه يفضل على الجهاد الذي هو أفضل الأعمال، عن ابن عباس قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مَا مِنْ أَيَّامُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يعني أيام العشر. قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال «وَلَا جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

والله تعالى يدنو من عباده في يوم عرفة ويماهي بهم الملائكة ويعتقهم من النار قال عائشة: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ، أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هُؤُلَاءِ»<sup>(٢)</sup> والمغفرة في يوم عرفة تفيض فتجاور المكان فتشمل الصائمين من غير الحجاج في

اقصى الأرض، وتتجاوز الزمان فيكفر الله تعالى به السنة التي قبله والتي بعده عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالَّتِي بَعْدَهُ»<sup>(٣)</sup>

ولذلك يستحب اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في صيام تسع ذي الحجة ويستحب ذبح الأضاحي، والدعاء والذكر لورود الأدلة الصحيحة بها.

(١) سنن أبي داود، (ج ٢ / ص ٣٠١)، رقم ٢٤٤٠، وقال الألباني: صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ١٠٧)، رقم ٣٣٥٤

(٣) سنن ابن ماجه، (ج ١ / ص ٥٥١)، رقم ١٧٣٠، وقال الألباني: صحيح

## ٦٠. يوم الحجّ الاكبر (عيد الأضحى)

قال تعالى: (وَأَذْانُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فِإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشَّرَ الدِّينَ كَفَرُوا بِعِذَابِ أَلِيمٍ) [التوبية: ٣]

إن للحجّ معانٍ وأثاراً في النفوس إذا استشعرها المسلم أحسّ بمنة الله عليه أن جعل الله له هذا اليوم عيداً سواء ذهب إلى الحجّ أم لم يذهب. ففي الصحيحين

عن طارق بن شهاب قال: قال رجل من اليهود لعمراً: يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا) [المائدة: ٣]، لا تأخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمرو إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية نزلت يوم عرفة في يوم جمعة<sup>(١)</sup>. وجاء ذلك عن سيدنا علي وابن عباس رضي الله عنهم. فأكبر النعم على المسلمين يوم عرفة من هذه الأيام المباركة، نعمة إكمال الدين، وإتمام النعمة. وفي صفة حجّ النبي صلى الله عليه وسلم التي قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك ومنارات الجاهلية ومناسكهم، وحرّم فيها المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها، ولم يحجّ معهم في ذلك العام مشرك.

ففي صحيح مسلم عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد الباقر في روايته عن جابر بن عبد الله الأنباري وصف لحجّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا الحديث يتبعـد به كل طوائف المسلمين في كيفية حجّهم منذ خروجه إلى آخر المناسك، وبدلـت فيه موازين الجاهليـة الباطلة بموازين عدل الإسلام، ونـقف عند بعض المـواقـف:

**الموقف الأول: الإهـالـل بالـحجـ وتوـحـيدـ المعـبـودـ:** قال جابر: فـصـلـى رـسـوـلـ اللهـ -صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- فـيـ المسـجـدـ ثـمـ رـكـبـ الـقـصـوـاءـ ... فـأـهـلـ بـالـتـوـحـيدـ «لـبـيـكـ اللـهـمـ لـبـيـكـ لـبـيـكـ لـبـيـكـ لاـ شـرـيكـ لـكـ لـبـيـكـ إـنـ الـحـمـدـ وـالـنـعـمـةـ لـكـ وـالـمـلـكـ لـاـ شـرـيكـ لـكـ». وـأـهـلـ النـاسـ بـهـذـاـ

(١) صحيح البخاري، (ج / ٩ ص ٩١)، رقم ٧٢٦٨

الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَلْبِيَتُهُ. فَلَلتوحيد أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وهو أعظم أوامر الله للعباد ولأجله أقيم هذا البيت مُنْذُ أَوْلَ لحظة عَرَفَ اللهُ مَكَانَه لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَلَكُه أَمْرُه لِيقيمه عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ: (أَنْ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا)، وَسُورَةُ الْحَجَّ كُلُّهَا تَحْدِثُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ وَنَبْذِ الشَّرِكِ بِجَمِيعِ صُورِهِ، وَتَنْتَعِي عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى، أَوْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا لَا يَضِرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: (حُنَفَاءُ اللَّهُ عَيْرَ مُسْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللهِ فَكَانَتْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَاحِقٍ) [الْحَجَّ: ٣١].

**الموقف الثاني** - في سعيه بين الصفا والمروءة: قال جابر في نفس الحديث **فَبَدَا بِالصَّفَا فَرَقَى عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَرَهُ وَقَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، فهذا ذكر الله عز وجل وثناء عليه وتعظيم له، وإعلان إفراد العبادة له وحده لا شريك له. فكلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا الله) هي كلمة التوحيد وفيها الفلاح في الدنيا والآخرة، والأحزاب هم كفار قريش، ومن وافقهم الذين تحربوا، أي تجمعوا في غزوة الخندق، ونزل فيهم سورة الأحزاب، وفيه إشارة أعم من ذلك، وهي وعده تعالى بإعزاز دينه، وإهلاك عدوه، وهزيمة أحزاب الكفار وكل من يحارب الإسلام في جميع الأيام والمواطن.**

**الموقف الثالث**: يوم عرفة: هدم عادات الجاهلية وعباداتها ومعاملاتها غير الموافقة لشرع الله. ففي حِجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدم للشرك والوثنية وعبادة غير الله وتدمير لروابط الجاهلية وعاداتها ومعاملاتها وبناء المجتمع على أساس أخوة الإسلام - قال جابر فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرُمَةِ يَوْمِ الْكُفْرِ» هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضِعٍ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعَةٌ وَإِنَّ أَوْلَ دَمٍ أَصَعُّ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ

مُسْتَرٌ ضِعَّافاً فِي بَنَى سَعْدٍ فَقَاتَلَهُ هُذَيْلٌ وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضُوعٌ وَأَوْلَ رِبَا أَصْعَبُ رِبَانًا رِبَا عَبَّاسٍ  
بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَانْهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»

- ثُمَّ أوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالظَّرْفِ الْأَضْعَفِ مِنَ الْمَجَمِعِ فَقَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنْكُمْ أَخْذَتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فِرْوَاجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئُنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرُهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ صَرْبًا عَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمُعْرُوفِ».

- ثُمَّ أَمْرَ بالعاصِمِ مِنَ الضَّلَالِ فَقَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيهِمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَانْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَاتِلُونَ» قَالُوا نَشَهُدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ إِنَّصِبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهِدْ إِنَّمَّا أَشْهَدْ»<sup>(١)</sup>. فَاتَّقُوا اللَّهُ عِبَادُ اللَّهِ فِي الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ.

والعجب أنَّ أَمَّةَ مُحَمَّدٍ الْيَوْمَ هَجَرَتِ الْقُرْآنَ وَعَادَتِ إِلَى التَّحْزِبِ وَالتَّصَارُعِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَمْرِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى خَلَافًا لِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ: (فَاقْأَمْ وَجْهَكَ لِدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنْبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعَانِ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرِحُونَ) [الروم: ٣٠-٣٢]

فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَّقَلَّلُونَ مِنْ أَحْزَابٍ مَهْزُومَةٍ إِلَى أَحْزَابٍ أَوْعَدَهَا اللَّهُ بِالْهَزِيمَةِ مِمَّا أَنْجَدَتْ بِأَسْبَابِ البقاءِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا فَلَيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ). جُنْدُ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) [ص: ١٠-١١]، فَلِيَصْعُدُوا فِي أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ الَّتِي تَوَصِّلُ إِلَيْهَا، فَلَا بَدْ أَنْ يَرْجِعُوا صَاغِرِينَ مَهْزُومِينَ، وَهَذَا وَعْدُ اللَّهِ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ، كُلُّ الْأَحْزَابِ تَفَانِتْ فَأَضَحَتْ عَيْرًا أَمَا لَكُمْ فِيَمَا مَضَى مَعْتَبِرٌ؟ أَخِيَ الْمُسْلِمُ: اللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمَّةً وَاحِدَةً تَحْتَ رَأْيِهِ الْإِسْلَامِ عَبِيدًا لَهُ

(١) صحيح مسلم، ج ٤ / ص ٣٩)، رقم ٣٠٠٩

تابعين لنبيه متحابين فيه تحلون ما أحل الله وتحرمون ما حرم الله، قال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنياء: ٩٢] أمة إسلامية تجمعها عقيدة واحدة لا أمة عربية واحدة ولا أمة كردية واحدة، تنبذ التفرق القائم على الحزبية والعشائرية والعنصرية قائمة على تقوى الله قال تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أي: إن هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد، وربكم واحد فلا تتفرقوا في الدين. شعارها (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، فلينتبه الغافلون السكارى الداعون إلى الفرقة والتحزب الذين زين لهم الشيطان أعمالهم وصدتهم عن السبيل وفرحوا بها أنتاجه عقولهم السقيمة من الأفكار والأهواء والآراء، وليتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان قال تعالى: (فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَاهُمْ فِرَحُونَ. فَدَرَرُهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ) [المؤمنون: ٥٤-٥٢]، وهذا تهديد للمعاندين ووعيد لهم، (فَدَرَرُهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ) أي في غيّهم وضلالهم (حتى حين) أي إلى حين هلاكهم.

عيده أياها المسلم في اغتنام مواسم الخيرات فيما يقربك من ربك ويرفع درجتك في الجنة، قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣]

عيده أياها المسلم بالعودة إلى دينك وكتاب ربك واتباع سنة نبيك وتجديده أخوة الإسلام، اغتنموا يومكم هذا لتجديد ما خلق من إيمانكم، ولتجديده العهد بإسلامكم وإعادة ما فقد منه، وتجديده أخوتكم فأظلوا بشهادة التوحيد صادقةً بها قلوبكم، صل من قطعك واعف عنمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك. وبر والديك وصل رحمك وأحسن إلى جارك عسى الله أن يرحمنا ويجمع شملنا وينزع الغل الذي ران على قلوبنا ويفغر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا. بارك الله فيكم وبارك عليكم وجعل أيامكم كلها عيدا وطاعة ورحمة في الدنيا وجزاكم بها رحمة ومغفرة وجنة ونظرة إلى وجهه الكريم في الآخرة إن ربكم قريب مجيب.

## ٦١. صحة المعاملات سبب لقبول الاعمال

قال تعالى: (وَلَا تُكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوَا بِهَا إِلَى الْحُكَمِ لِتُكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٨٨]

الشريعة الإسلامية بصورة عامة مبنية على العبادات والمعاملات والقاعدة العامة لتلك المعاملات هي اتباع العدل قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥]، فأمر بالصدق في المعاملات والإيفاء بالعهود والعقود وإقامة الموازين وعدم التطفيف فيها، ونهى عن المعاملات التي فيها غرر وغشٌ وخداع وحيل وحلف، ونهى عن الرشوة، وهدايا العمال، وخيانة الأمانات، وأكل مال اليتيم، ليسود العدل وينحسر الظلم بين الناس.

وهيأً سبحانه وتعالى أسباب الرزق الحلال وأمر بالسعى في طلبه، وأحل الله البيع وحرّم الربا بكل صوره فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَيْقَى مِنَ الرِّبَا إِنْ كُؤْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُوْا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٧٩-٢٧٨]

وأمر تعالى بإانتظار المدين المعسر أو التصدق عليه بالدين فقال عز وجل: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدِّقُوا خَيْرُكُمْ إِنْ كُؤْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢٨٠]

ورغب سبحانه وتعالى بالتجاوز عنه وجعل ذلك سببا للتجاوز عن الدائن يوم القيمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان رجلا يدعى الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معيساً فتجاوز عنه لعل الله يتتجاوز عنا». فلقى الله فتجاوز عنه<sup>(١)</sup>

ومن اطلع على سيرة المصطفى ﷺ وجدها تقرّر مبادئ وأخلاق تعجز كل قوانين الأرض عن إقرارها، فأمر بالسماحة في البيع والشراء والقضاء، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا أشتري

(١) صحيح مسلم، ج/٥ ص ٣٣)، رقم ٤٠٨١

وَإِذَا اقْتَضَى»<sup>(١)</sup> ونهى عن الحلف في البيع والشراء فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ، مَحْكَمَةٌ لِلْبَرَكَةِ»<sup>(٢)</sup> ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الكسب الحرام في المعاملات مع الناس مانعاً من قبول كثير من الأعمال، وهذا أمر غفل عنه الكثير من الناس فتجدهم يتبعّدون لله تعالى بالصلوة والزكاة والصيام والحجّ ومعاملاتهم غير شرعية تؤدي بهم إلى أكل الحرام وعدم قبول عبادتهم، فما ظنك بمن يصلي وثوبه حرام أو يصوم ويفطر على الحرام، أو يحجّ ونفقته حرام، قال وهب بن الورد: «لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أم حرام».

أولاً: الدعاء عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَئِهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الرُّسُلِينَ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ، يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرُبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبُسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»<sup>(٣)</sup>

قال ابن رجب: "وفي حديث أبي هريرة إشارة إلى أن العمل لا يزكي إلا أن يكون بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله".

ثانياً: الصدقة: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبُتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِمُوا الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَا سُتُّمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمَضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [البقرة: ٢٦٧] أمر الله تعالى بالنفقة من الكسب الطيب، ونهى عن النفقة من الحبيث فان الصدقة لا تقبل إلا إذا كانت من الحلال عن أبي هُرَيْرَةَ

(١) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٥٧)، رقم ٢٠٧٦

(٢) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ٦٠)، رقم ٢٠٨٧

(٣) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ٨٥)، رقم ٢٣٩٣

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّ مِنْ كَسْبِ طَيْبٍ، وَلَا يَقْبُلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيْبُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَّقْبِلُهَا بِيمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيُّهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيُّ أَحَدُكُمْ فَلُوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»<sup>(١)</sup>

ثالثاً: الصيام: بعد ذكر آيات الصيام جاء ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل فكان إشارة إلى أنَّ من امتهن أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليتمثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل، والعجيب أنَّ بعض المكلفين بوظائف عامة يطلب منك رشوة بحجَّة أنَّه صائم ويريد فطوره منك فجعل من الصيام وسيلة لأكل الحرام، فهو يصوم عمَّا أحلَّ الله ويفطر على ما حرم الله فكيف تقبل عبادته ودعاؤه.

وحكْم القاضي لا يحمل المال الحرام، فمن حُكم له بباطل فكانَ أخذ قطعة من النار عن أم سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ بُحْجَتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعْ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذُهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قَطْعَةً مِنَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>

\* قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: ١٦٨]

أمر الله تعالى بالعمل والسعى في الرزق والرضا بالقليل من الحلال واجتناب الحرام والابتعاد عن المسألة قدر المستطاع، عن أبي هريرة، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيُدْهِبَ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبَ، ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبْيَعُهُ فِي أَكْلِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَجْعَلُهُ فِيهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>

اللهم لك الحمد حدا كثيرا طيبا مباركا فيه ونسألك رزقا حلالا طيبا مباركا فيه.

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١٠٨)، رقم ١٤١٠

(٢) صحيح مسلم، (ج ٥ / ص ١٢٨)، رقم ٤٥٧٠

(٣) المسند، (ج ١٢ / ص ٤٥٩)، رقم ٧٤٨٢، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح

## ٦٢. الصبر

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأَيْطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران: ٢٠٠]

لقد أمر الله تعالى بالصبر وذكره في القرآن في نحو تسعين موضعًا، وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان، كما قال عبدالله بن مسعود الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، والصبر: حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى والجوارح عن المعصية وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: صبر الاستعاة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه. وأمر الله تعالى أحب الخلق إليه بالصبر لحكمه، وأخبر أنَّ صبره به فقال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبُرْتَ إِلَّا بِاللَّهِ) [النحل: ١٢٧]، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهاره قوة النفس، والاستحسان إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض

قال تعالى: (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) [المدثر: ٧]

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقىماً بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائزها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرًا مع الله، أي قد جعل نفسه وفقاً على أوامره ومحابيه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين، ولذلك أثني تعالى على الصابرين أحسن الثناء وضمن لهم أعظم الجزاء وجعل أجر غيرهم محسوباً وأجرهم

غير حساب فقال تعالى: (إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠]

وأخبر بمحبته لهم فقال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: ١٤٦]، فجاجة المحب لربه إلى الصبر ضروريّة فأعظمهم محبة أشدّهم صبراً، فالصبر والمحبة متلازمان، وعندما ادعى الناس المحبة امتحنهم بالمكاره فانخلعوا عن حقيقة المحبة ولم يثبت معه

إلا الصابرون، ولهذا وصف الله تعالى بالصبر خاصةً محبّيه فقال تعالى عن نبيه أَيُّوب: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) ثم أتني عليه فقال: (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص: ٤٤]

والصبر على ثلات درجات: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله {أي أقدار الله} <sup>(١)</sup>

الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية ويكون ذلك بأمررين:

- الخوف من لحوق الوعيد إبقاء على الإيمان وحزنا من الحرام. هناك تناقض بين المعصية والإيمان، فالمعصية تقضى بالإيمان أو تذهب به أو تطفئ نوره، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزِنِي الزَّانِي حِينَ يَزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» <sup>(٢)</sup>

- الحياة من رب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمته: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَ الْحَيَاةِ مِنْ اسْتَحْيَ مِنَ اللَّهِ حَقَ الْحَيَاةِ فَلَيَحْفَظُ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلَيُحْفَظُ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَلَيُذْكَرُ الْمُوتُ وَالْبَلْى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَ الْحَيَاةِ» <sup>(٣)</sup>

الدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بثلاثة أشياء: دوام الطاعة أي المحافظة عليها والاخلاص فيها أي تكون لوجه الله، ووقوعها على العلم أي تكون على السنة، سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله قال: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَالَ» <sup>(٤)</sup>.

الدرجة الثالثة: الصبر على أقدار الله: ثلاثة أشياء تساعده على الصبر على البلاء:

- ملاحظة حسن الجزاء وشهود العوض يخفف حمل البلاء، قال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٦٩]

(١) ينظر مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ١٥٦ - ١٦١)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٥٩)، رقم ٦٧٨٢

(٣) صحيح وضعيف الجامع، (ج ١ / ص ٨٧)، وقال الالباني: حسن

(٤) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٨٩)، رقم ١٨٦٤

-انتظار روح الفرج وقوّة الرجاء وترقّبه يخفّف حمل المشقة، قال تعالى: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [الشرح: ٦-٥]

- تعداد نعم الله عليك يهون البلاء فهو بالنسبة لنعم الله ك قطرة من بحر، قال تعالى: (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤]

\*\* قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)

لقد أحب الله الصابرين وبشرهم بنصره وصلواته عليهم ورحمته لهم وهدايته لهم وجعلهم أئمة يهدون بأمره ووعدهم بالنجاة من النار والفوز بالجنة (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: ٢٣-٢٤]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ ناساً من الانصار سأله رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سأله فأعطاهم حتى نفدا ما عنده فقال ما يكون عندي من خير فلن أذر عنكم ومن يستغفف يعفه الله ومن يستغرن يغنه الله ومن يتضرر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(١)</sup>

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه إذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتقول الملائكة إلى أين قالوا إلى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا نحن أهل الصبر قالوا كيف صبرتم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا أنفسنا عن معاصي الله تعالى وصبرناها على البلاء ونحن في الدنيا فتقول لهم الملائكة (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

وقال عمر وجدنا خيراً عيشنا بالصبر. وقيل: تحرّع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً وإن أحياك أحياك عزيزاً<sup>(٢)</sup> فخير عيش أدركه السعادة بصبرهم وترقوا إلى أعلى المازل بشكرهم فساروا بين جناحى الصبر والشکر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١٢٢)، رقم ١٤٦٩

(٢) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ١٥٩)

## ٦٣. الشكر

قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [النحل: ٧٨]

لقد أمر الله بالشكر. ونهى عن ضده، وقال (وَاسْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ) [البقرة: ١٥٢] وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه وقال عن خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنَّهُمْ) [النحل: ١٢١] وقال عن نوح عليه السلام (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: ٣]

وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بمحسن جزائه. وجعله سببا للمزيد من فضله، وحارسا وحافظا لنعمته فقال تعالى: (وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ٧] وأخبر أن أهله هم المتفعون بأياته فقال تعالى: (إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) واشتق لهم أسماءه، وسمى نفسه شاكرا وشكورة وسمى الشاكرين بهذه الأسمين. فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا، وإعادته للشاكرون مشكورا. كقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) ورضا رب عن عبده به كقوله: (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضُهُ لَكُمْ) وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي الشَّكُورُ).

وقيل: الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة، وشكر العامة: على الطعام والمشرب والملابس وقوت الأبدان، وشكر الخاصة على التوحيد والإيهان وقوت القلوب. والفرق بين الحمد والشكر: أن الشكر يكون على الإحسان والتعم ويقع بالجوارح، والحمد على أسمائه وأوصافه، ويقع بالقلب ولسان فهو المشكور على نعمه وهو المحمود في أسمائه وصفاته.

يقول ابن القيم: "والشكر هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة. والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها

فيها يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة احتلّ من قواعد الشكر قاعدة وكلّ من تكلّم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور<sup>(١)</sup> ولا يتم ذلك الا بشهود النعمة، وشهود المنعم، وحبّه لمن انعم عليه، وثناؤه عليه، وخصوصه له.

- شهود النعمة: اي معرفتها لأن شكره بحسب شهود النعمة، فكلما كان أتم كان الشكر أكمل، فكثير من الناس لا يعرف النعم التي هو فيها، ولذلك ذكر الله تعالى عباده بنعمه في أكثر سور القرآن فقال تعالى في سورة إبراهيم: (وَاتَّاکُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٤٣]

- شهود المنعم: وهو الاعتراف بالنعم أثناً من المنعم الحقّ وهو الله سبحانه وتعالى: (وَمَا يُكْمِنُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ) [النحل: ٥٣] لا تنظر إلى قلة العطية وانظر إلى من أعطاك، فعطايا الملوك لها قيمة فكيف بملك الملوك.

- حب المنعم: الاعتراف بالنعمة من المنعم يورّث حبه، فالنفوس مجبوه على حبّ من يحسن إليها، فلذلك قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «أَحِبُّوا اللهَ مِمَّا يَغْدُوُكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ» والله تعالى يعطي الكثير ويرضى بالقليل، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>

- الثناء بها عليه: الثناء نوعان: عام، وخاص. فالعام: وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك، والخاص: التحدث بنعمته، والإخبار بوصولها

إليه من جهته. كما قال تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ) [الضحى: ١١]

وظهور أثرها عليه من شكرها قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»<sup>(٣)</sup>، لا سيما في ملبيه ونفقته على نفسه وعياله عن أَبِي الأَحْوَصِ عن أَبِيهِ قال أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فِي ثَوْبٍ دُونِ فَقَالَ «أَلَكَ مَالٌ» قال نعم،

(١) ينظر مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤١) وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٨٧)، رقم ٧١٠٨

(٣) سنن الترمذى، (٥ / ١٢٣)، رقم ٢٨١٩ وقال : حسن

قال «من أَيِّ الْمُالِ» قال قَدْ أَتَانِيَ اللَّهُ مِنَ الْإِبْلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ. قال «فَإِذَا أَتَاكَ اللَّهُ مَا لَا فِيلُّ أَثْرُ نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ»<sup>(١)</sup>

- خضوع الشاكر للمشكور: باستعمالها في طاعته وعدم استخدامها في معصيته ولا يتم ذلك الا بعکوف القلب على محبة النعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه. قال الجنيد الشكر: «أن لا يستعان بشيء من نعم الله على معاشه». والا كان معرض لوعيد الله بالهلاك وزوال النعم، قال تعالى: (أَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلُوْنَهَا وَبِئْسَ الْقُرْأَنُ) [إبراهيم: ٢٨-٢٩]

إعرف نعمتك حتى لا تسرب منك قال ذو التون المصري: من لم يعرف قدر النعم، سلبها من حيث لا يعلم، واعرف المنعم حتى تحبه وتعظمها، واشكره حتى تدوم نعمتك فالشكر تدوم النعم. نحن نفرق في نعم المأكولات والمشروبات والملبوسات والكماليات والترفيات، وكثير مما نحن فيه من النعم لم يكن عند الملوك قبل مائة عام.

\*\* قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى قام حتّى نفطر رجلاه قال عائشة يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر فقال: «يا عائشة أفلأ كون عبدا شكورا»<sup>(٢)</sup> قال تعالى: (وَمَنْ شَكَرَ فِإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيْ عَنِّيْ كَرِيم) [النمل: ٤٠] الشكر منفعته تعود على العبد، لا تعود على الله فهو الغني الحميد، ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سببا لتوالي نعمه عليك في الدنيا، والجزاء عليه في الآخرة، وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه.

اللهم لك الحمد كله كما ينبغي لجلال وجهك وعظمي سلطانك فانت المحمود اولا وآخر او ظاهرا وباطنا ولكل الشكر كله كما تتابعت نعمك علينا وعلى الناس وانت الغفور الشكور اغفر لنا ذنبينا وتقصيرنا في شكرك واعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٩٠)، رقم ٤٠٦٥، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٤١)، رقم ٧٣٠٤

## ٦٤. نموذج من جحود النعم (حفلات الأعراس)

قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحْدَةً وَرَزْقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِي الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) [النَّحل: ٧٢].

لقد شرع الخالق العظيم الزواج لغاية سامية وجعله نعمة من نعمه التي أنعم بها على بني البشر لكي تستمر خلافة الله في الأرض وتعمر بهذا الإنسان، وذكرهم بها في كتابه فقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: ٢١]، فجعل الله تعالى المودة والرحمة بين الزوجين حيث تنزل من أول لحظة قبول العقد من الزوجين وتزداد يوماً بعد يوم لتشمل الأصهار فيما بينهم ثم تزداد بعد إنجاب الذرية.

هذه النّعمة العظيمة مستحبّة للشكّر الكثير، ومن شكرها إقامة الوليمة في العرس حتى يجتمع فيها المسلمون، ويأكل منها اليتيم والفقير والمسكين فيزداد فرّحهم بهذا الزواج، ويظهر التراحم، وتزداد العلاقات تماسكاً بين المسلمين، ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه كأن يقول: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُرْكَ الْمُسَاكِينُ فَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>

هذه النّعمة أفسدها الكثير من الناس من أول يوم وجحدوها بالمعاصي فيها ومنها:

- عرض الزوج زوجته وهي متبرّجة على المدعوين حتى يتأملوا في مفاتنها ويسموا طيبها والنبي صلّى الله عليه وسلم يقول: «أَيُّهَا امْرأَةٌ اسْتَعْطَرْتُ عَلَى قَوْمٍ لِيَحِدُوا مِنْ رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَة»<sup>(٢)</sup>. هذا يحصل في ليلة العرس قبل أن يتأملها زوجها ولو قلت له في غير ليلة العرس دعني أنظر إلى زوجتك وأشتم طيبها لأنّ قدر الدنيا عليك ولم يقعدها. فيا لها من دياضة وجحود بهذه النّعمة.

(١) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ١٥٣)، رقم ٣٥٩٤

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ٢ / ص ٤٣٠)، رقم ٣٤٩٧، وقال الذهبي: صحيح

- إقامة الحفلات التي فيها الاختلاط بين الرجال والنساء المتبرجات وتبدأ الموسيقى بالعزف والرقص رجالاً ونساء مع الغناء الماجن الخليع، بالرغم من التشديد في النهي عن ذلك، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشَرِّي لَهُ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [لقمان: ٦]، قال ابن مسعود: **هُوَ** الحديث الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددتها ثالث مرات<sup>(١)</sup>. وقال: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. يقول ابن القيم: "وهذا كلام عارف بأثر الغناء وثمرته فإنما اعتاده أحد إلا نافق قلبه وهو لا يشعر ولو عرف حقيقة النفاق وغايته لأبصره في قلبه فإنه ما اجتمع في قلب عبد قط محبة الغناء ومحبة القرآن إلا طردت إحداهما الأخرى"<sup>(٢)</sup>. وهذا واقع مشاهد فلا تكاد تجد محبًا للغناء يحب القرآن، أو يستمع له، أو يتدبّره، يقول الرسول صلّى الله عليه وسلم «إِنَّمَا تَهَبِّتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٌ عِنْدَ نَغْمَةٍ مِزْمَارٌ شَيْطَانٌ وَلَعْبٌ، وَصَوْتٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ حَمْسٌ وُجُوهٌ وَشَقْ جِيوبٌ وَرَنَّةٌ شَيْطَانٌ»<sup>(٣)</sup>. ويظهر من ذلك شدة النهي وتأكيده، بتسميته صوت الغناء صوتًا أحق، ووصفه بالفجور، وسمّاه من مزامير الشيطان، وأخبر أنّه سبب حلول اللعنة في الدنيا والآخرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلام: «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة، ورنّة عند مصيبة»<sup>(٤)</sup>.

هذه المعصية هي من أسباب نزول العقوبات القدرية من العزيز الجبار قال رسول الله صلّى الله عليه وسلام: «في هذه الأمة خسفٌ ومسحٌ وقدف، قال رجل من المسلمين: يا رسول الله! متى ذلك؟ قال: «إِذَا ظهرتِ القيانُ والمعاذفُ، وشربتِ الخمور»<sup>(٥)</sup> {القيان:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (ج ٢٠ / ص ١٢٧)

(٢) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٨٣)

(٣) صحيح الجامع الصغير، (ج ١ / ص ٤٦٩)، رقم ٥١٩٤، وقال الألباني: صحيح

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (ج ٣ / ص ٣٨١)، رقم ٣٥٢٧ وقال الألباني: حسن

(٥) صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٦٠٥)، رقم ٢٣٧٩، وقال الألباني: حسن لغيره

الخارية التي تعني . المعازف: آلة الغناء {

وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور، وفي ليلة واحدة يختلط النساء بالرجال، وتدق الطبول ومزامير الشيطان، ويبدأ الغناء مع حلول آذان المغرب إعلاناً للكفران بنعمة الزواج، وينبت النفاق في القلوب، وتحل اللعنة والعذاب المهين بكفران نعمة واحدة في ليلة واحدة. فأيّ جيل سينشأ للمتزوجين بعد هذه العاصي؟ وأيّ نعمة تدوم بعد هذا؟ ولقد رأينا عجباً من قصص زوال النعم، وعندما كنا صغاراً لا نعرف من الدين إلا قليلاً حضرت عرساً وقد رأيت رجلاً مقدماً في قومه أعرفه بعينه ذا مال وجاه يحمل إحدى الراقصات ويرقص بها أمام الرجال والنساء ثم اختلى بأخرى غير مستحب من الله ولا من الناس، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً والله لقد أزيلت نعمته كلّها جاهه، وماله، وسلطانه، وصحته، ومات غريباً في آخر حياته بعيداً عن أولاده وأقرب الناس إليه. اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتها وفجأة نعمتك وجميع سخطك.

\* \* \* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بِضُعْ وَسِتوَنَ شُبَّهَةً وَالْحَيَاةُ شُبَّهَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

عن ابن عمر قال: «إِنَّ الْحَيَاةَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا بَجِيْعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»<sup>(٢)</sup>

الحياة: صفة حميدة كانت من خلق النبي عليه الصلاة والسلام، حتى أنه كان أكثر حياه من العذراء في خدرها. فلنستحب من الله فالحياة من شيم الأشراف، وأهل الكرم والنفوس الزكية، ويتولد من علم العبد بنظر الحق إليه وهو علامه على حياة القلب وقربه من الله، فالعبد يستحب أن يبارز ربه بالعظائم ويستعين على معاصيه بنعمه، فمن شكرنا له ان نستعمل نعمه في طاعته، وأن نتبع نبيه في سنته، وأن نحيي ما اندرس من الدين، وبذلك تكون شاكرين لنعم الله تعالى هداه مهتدين صالحين مصلحين.

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١١)، رقم ٩

(٢) الأدب المفرد، (ص: ٤٤٥)، رقم ١٣١٣، وقال الالباني : صحيح

## ٦٥. الجنة

قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَشِّرَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [العنكبوت: ٥٨].

ما يجب اعتقاده والإيمان به وجود الجنة التي أعدّها الله تعالى لعباده المخلصين له والمتبعين لرسله، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كُلُّمَا جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ الله حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [لقمان: ٩-٨]

ومن أسمائها دار السلام لقوله تعالى: (كُلُّمَا دَارَ السَّلَامَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [الأనعام: ١٢٧].  
ومنها دار المقامه قال تعالى: (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ) [فاطر: ٣٥].  
والفردوس قال تعالى: (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: ١١)  
ومنها جنة المأوى قال تعالى: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) [النجم: ١٥].

ومنها جنات عدن قال تعالى: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ)  
وهي مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أنَّ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال «يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبِّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ رَضِيَ بِاللهِ رَبِّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ «وَآخَرَى يُرِفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلَّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»<sup>(١)</sup>

وللجنّة ثمانية أبواب: عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «في الجنّة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الرّيان لا يدخله إلا الصائمون»<sup>(٢)</sup> وقد أعد الله لأهل الجنّة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،

(١) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ٣٧)، رقم ٤٩٨٧

(٢) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٦)، رقم ٢٧٩٠

«لَبِنَةُ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الرَّغْرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلِي شَيْءٌ، وَلَا يَفْنِي شَبَابًا وَهُمْ»<sup>(١)</sup>

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن آخر من يدخل الجنة، ليبيّن سعة كرم الله تعالى على عباده وتفضيله عليهم، عن عبد الله قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إِنِّي لَا عِرْفٌ أَخِرَّ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا فَيُقَالُ لَهُ انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ - قَالَ - فَيَدْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَحِدُّ النَّاسَ قَدْ أَخْذُوا الْمَنَازِلَ فَيُقَالُ لَهُ أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ تَمَنَّ - فَيَتَمَّنِي فَيُقَالُ لَهُ لَكَ الَّذِي تَمَّيَّتْ وَعَشَرَةً أَضْعَافِ الدُّنْيَا - قَالَ - فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمُلْكُ» قال فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضاحك حتى بدأ نواجذه<sup>(٢)</sup>

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "كمال النعيم في الدار الآخرة أيضا به سبحانه وتعالى، برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه. بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى أعظم وأعظم ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال. وقال تعالى في حق الكفار (كلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمْ حُجُّوْبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِّمَ) [المطففين: ١٥-١٦] فعدا الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يعذّب به أعداءه"<sup>(٣)</sup>

عقيدة أهل السنة أنهم لا يشهدون لأحد بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالشهادة بالجنة اما ان تكون عامة وإما خاصة أي للمعين، فاما العامة فكقولنا: المؤمنون في الجنة والكافر في النار، فهذه الشهادة لا إشكال فيها، وأما الخاصة: فانهم لا يشهدون لأحد بعينه أنه من أهل الجنة او أنه من أهل النار الا من شهد

(١) صحيح الجامع الصغير وزياتاته، (ج ١ / ص ٥٩٧)، رقم ٣١١٦

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١١٩)، رقم ٤٨٠

(٣) طريق المحرتين وباب السعادتين، (ص ١٠٢)

له النص بذلك، فمن أثبت النص الصحيح أنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة، ومن أثبت النص أنه من أهل النار فهو من أهل النار، ومن لم يرد فيه النص فلا نقول أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار، بل نرجو للمحسن الشواب، ونخاف على المسيء العقاب.

\* قال تعالى: (لَهُمْ مَا يَسْأَوْنَ فِيهَا وَلَدِينَا مَزِيدٌ) [ق: ٣٥]

عن عليٍّ - رضي الله عنه - وغيره في قوله تعالى: (وَلَدِينَا مَزِيدٌ) قال: هو النظر إلى وجه الله تعالى. عن صحيفٍ عن النبي ﷺ قال «إِذَا دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ» - قال - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيُقُولُونَ أَمْ تَبِيسُ وُجُوهُنَا أَمْ تُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ - قال - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>

فإذا نظروا إلى ربهم تبارك وتعالى أنساهم لذة النظر إليه ما هم فيه من النعيم. ولا يبقى أحد إلا حاضره ربه تعالى محاصرة حتى أنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره بعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب ألم تعفر لي؟ فيقول: بلى بمحفري بلغت منزلك هذه. فيما لذة الأسماع بتلك المحاصرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة. قال تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة: ٢٤-٢٥]<sup>(٢)</sup>

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْسِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي اسْأَلُكَ خَشِينَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغَنَى وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَرَاءَ مُضَرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ رَبِّنَا بِرِزْيَنَةِ الْأَيَّانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاءً مَهْدِيِّينَ»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١١٢)، رقم ٤٦٧

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (ص: ٢٨٤)

(٣) المسند، (ج ٤ / ص ٢٦٤)، رقم ١٨٣٥١، تعليق شعيب الأرناؤوط : صحيح .

## ٦٦. الفردوس الأعلى

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَّلًا) [الكهف: ١٠٨]

جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً «خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ لِيَنْهَا مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطَهَا الْمُسْكَ فَقَالَ لَهَا: تَكَلِّمِي، فَقَالَتْ: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَى لَكِ مَنْزِلُ الْمُلُوكِ)»<sup>(١)</sup>

لقد دعا الله عباده لدخول الجنة فقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ووعدهم بخير ما تتطلع إليه النفوس مغفرته وفضله فالغفرة تنجيهم من العذاب وفضله يدخلهم الجنة دار النعيم.

- عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنْسِي النَّاسَ بِذِلِّكَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَيِّلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَأُلُّهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَهْمَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>

لم يذكر في هذا الحديث الزكاة ولا الحج لأن الزكاة والحج قد تسقط عن بعض المسلمين لعدم الاستطاعة . وقد جمع الله تعالى صفات ورثة الفردوس في سبع صفات عشر آيات أنزلها في كتابه في سورة (المؤمنون)، لا بد لكل عاقل أن يتدبّرها ويعمل بها ليكون من أهلها وهذه الصفات هي:

الأولى: الإيمان: قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فلا فلاح بغير الإيمان فقلوبهم عامة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الثانية: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) خاشعون لله، مطيعون له خاضعون

(١) صحيح الترغيب والترهيب، (ج ٣ / ص ٥٠٢)، رقم ٣٧١٤، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١٢٥)، رقم ٧٤٢٣

متذلّلون بين يديه، منقادون لأمره ظاهراً وباطناً. والخشوع أول مراتب الفلاح، وهو واجب في الصلاة وهو روح الصلاة، ولبّها، والخشوع حضور القلب وسكون الجوارح. وحضور القلب بتعقل الصلاة فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، والابتعاد عن حديث النفس، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَجِدُثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَبَبِهِ»<sup>(١)</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحِسِّنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يُغْبِلُ بِقَلْبِهِ وَجِهِهِ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(٢)</sup>. وسكون الجوارح تبع لخشوع القلب، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة والنظر إلى السماء والعبث باليدين أو الرجلين.

الثالثة: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ)، واللغو كُلُّ فعل أو قول لافائدة فيه مثل الكذب والخلف وبذيء الكلام والفحش ومحالس السوء، والموسيقى والمسلسلات الهاابطة قال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشَهِّدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغُو مَرُوا كِرَاماً) [الفرقان: ٧٢]، أكرموا أنفسهم من المشاركة باللغو بكل أنواعه.

الرابعة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)، والزكاة هي اسم لما تزكى به النفس، وزكاة النفس زيادة خيرها وذهب شرّها والإحسان إلى الناس من أعظم ما تزكى به النفس، كما قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيْهُمْ بِهَا) [التوبه: ١٠٣]

الخامسة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَجِهِمْ حَافِظُونَ). إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)، حفظوا فروجهم عن الفواحش وما يقرب منها من النظر المحرّم والسماع المحرّم واللفظ الفاحش، والاتصاف بالعفة والحياء. عن سهيل بن سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>. [وهما اللسان والفرج].

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٤١)، رقم ٥٦١

(٢) سنن أبي داود، (ج ١ / ص ٣٤١)، رقم ٩٠٦، وقال الألباني: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٠)، رقم ٦٤٧٤

السادسة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَاهَدُهُمْ رَاعُونَ)، يحافظون على العهود والأمانات، فأداء الأمانة والوفاء بالعهد صفة أهل الإيمان. والخيانة والغدر صفة أهل النفاق.

السابعة: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ)، يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها، مع أداء جميع شروطها وأركانها وسننها ومستحباتها.

(أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرِدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [المؤمنون: ١١-١]، أوجب عز وجل بفضله لأهل هذه الأعمال الصالحة الركيزة المرضية وراثة الفردوس.

عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «يُؤْتَى بِأَنْعَمٍ أَهْلَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبِغُ فِي النَّارِ صَبَاغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيُقَوْلُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبِغُ صَبَاغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً قَطُّ فَيُقَوْلُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»<sup>(١)</sup>

\*\* قال تعالى: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلُىِّ). جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ<sup>(٢)</sup>) [طه: ٧٥-٧٦] عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا تَرَضَى وَقَدْ أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْطِيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup> اللهم صل على محمد وآل محمد اللهم إنا نسألك رضاك والجنة وما قرب إليهما من قول وعمل وننعيذ بك من سخطك والنار وما قرب إليهما من قول وعمل.

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٣٥) رقم ٧٢٦٦

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١١٤)، رقم ٦٥٤٩

٦٧. لا إله إلا الله مفتاح الجنة

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدُم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّحَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ) [آل عمران: ٣٥]

لقد خلق الله تعالى آدم وتفضّل عليه وأسكنه الجنة وذرّيته في ظهره، ولما عصى أبينا آدم عليه السلام واستغفر ربّه أنزله الله تعالى إلى الأرض وجعل مكواه فيها إلى حين فقال تعالى: (فَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣-٢٤] **بعضُكُمْ لِبَعْضٍ عُدُوٌّ وَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** [الأنفال: ٦]

ودعا سبحانه وتعالى عباده إلى جنته وأرسل رسلاه وأنزل كتبه ودهم على الطريق إليها وهو الصراط المستقيم قال تعالى: (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [يوحنا: ٢٥]، ووعدهم بالمغفرة فقال تعالى: (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [آل عمران: ٢٢١]

فحي على جنات عدن فإنها  
منازلك الأولى وفيها المخيم  
ولكننا سبى العدو فهل ترى  
نعود إلى أوطاننا ونسالم (١)

ويُبَيِّنُ رَسُولُهُ أَسْبَابَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَيْهَا فَلِيُشْمَرْ لِلسُّفُرِ إِلَيْهَا بِأَسْبَابِهَا:  
أَوْ لَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفتَاحُ الْجَنَّةِ: قِيلَ لِوَهْبٍ بْنِ مُنْبِهِ أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفتَاحُ  
الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِفتَاحُ الْأَلَهُ أَسْنَانَ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفتَاحٍ لَهُ أَسْنَانَ فُتْحٌ لَكَ وَالآمِ  
يُفْتَحُ لَكَ (٢). وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْنِي لَا مَعْبُودٌ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ يَنْفِي كُلَّ  
الْمُعْبُودَاتِ مِنْ دُونِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، عَنْ  
أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي  
أَوْ قَالَ بَشَرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَمْتَيْتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنِي وَإِنْ

(١) ابن القيم، حادى الارواح الى بلاد الافراح، (ج ١ / ص ١١)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٧١)، باب الجنائز وَمَنْ كَانَ أَخْرُوكَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

سَرَقَ قَالَ وَإِنْ رَأَى وَإِنْ سَرَقَ»<sup>(١)</sup>

**ثانياً: أداء الفرائض:** إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَتْبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيَاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ الْمُكْتَوَبَةَ وَتُؤْدِي الزَّكَاةَ الْمُفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئاً أَبَدًا وَلَا أَنْفُصُ مِنْهُ. فَلَمَّا وَلَى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»<sup>(٢)</sup>

**ثالثاً: الذكر بعد الصلاة وقبل النوم:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَصَّلَتَانِ أَوْ خَلْتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدُ مُسْلِمٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُمَا يَسِيرُ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ يُسَبِّحُ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرَأَوْ يَحْمَدُ عَشْرَأَوْ يُكَبِّرُ عَشْرَأَ فَذَلِكَ حَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللُّسَانِ وَأَلْفٌ وَحَمْسٌ مِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ وَيُكَبِّرُ أَرْبَعَاً وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخْذَ مَضْجَعَهُ وَيَحْمَدُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ وَيُسَبِّحُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللُّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ فَأَلْوَاهَا رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَ هُمَا يَسِيرُ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ قَالَ يَا أَيُّهَا أَهْدَكُمْ يَعْنِي الشَّيْطَانَ فِي مَنَامِهِ فَيُنَوِّهُ مَعَ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاةِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا»<sup>(٣)</sup>

**رابعاً: الصبر على الابتلاءات:** عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي أَبْنُ عَبَّاسٍ الْأَرِيَكَ امْرَأَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بِلَى قَالَ هَذِهِ الْمُرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أَصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ «إِنِّي شِئْتُ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةَ وَإِنِّي شِئْتُ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكِ فَقَالَتْ أَصْبِرْ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَاهَا»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٧١)، رقم ١٢٣٧

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٣٣)، رقم ١٦

(٣) سنن أبي داود، (ج ١١ / ص ٦٥)، رقم ٥٠٦٥، وقال الالباني: صحيح

(٤) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ١١٦)، رقم ٥٦٥٢

خامساً: خصال أربعة ما اجتمعت في مسلم الا ادخله الله الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا قَالَ فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>

قال العلماء: والمعنى أي هذه الخصال الأربع المذكورة ما وجدت وحصلت في امريء في يوم واحد الا دخل الجنة أي بلا محاسبة والا ف مجرد اليمان يكفي لطلق الدخول او معناه دخل الجنة من أي باب شاء.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ قَالَ «إِذَا أَبْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَسِيبَتِهِ فَصَبَرَ عَوْضَتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنِيهِ<sup>(٢)</sup>  
 \*\*\* عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبْيَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبْيَ»<sup>(٣)</sup>

في هذا الحديث: أعظم بشاره للطائرين من هذه الامة، فكلهم يدخلون الجنة الا من عصى الله ورسوله واتبع شهواته وهواده. «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَبَنِيكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَبَنِيكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتُهُ لِي خَيْرًا»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٣، ص ٩٢)، رقم ٢٤٢١

(٢) صحيح البخاري، (ج / ٧، ص ١١٦)، رقم ٥٦٥٣

(٣) صحيح البخاري، (ج / ٩، ص ٩٢)، رقم ٧٢٨٠

(٤) سنن ابن ماجه، (ج / ٢، ص ١٢٦٤)، رقم ٣٨٤٦، وقال الالباني: صحيح

## ٦٨. حسن الخلق من أسباب دخول الجنة

قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحُسْنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ) [فصلت: ٣٣-٣٥]

إن للأخلاق الحسنة أثراً عظيماً في سعادة الإنسان وتأليف قلوب الناس، وحسن الخلق من أفضل ما تجملت به الخلاق في هذه الدنيا، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لأنس: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجْمَلُ الْخُلَاقُ بِمِثْلِهِ»<sup>(١)</sup>، فإذا تجمل الناس بالثياب الفاخرة فتجمل بالأخلاق الحسنة تفز في الدنيا والآخرة.

ولازال الناس على اختلاف مشاربهم يتمادحون بمكارم الأخلاق كالشجاعة والكرم والإيثار والعفو الصفع والتسامح والتواضع ويتذامرون بمساوئها كالكبر والجبن والبخل والفحش، فبالأخلاق يكون التعامل بين الناس وبها تسعد حياتهم وتذوم مودتهم. وخير ما أعطي الناس خلق حسن، سأله الأعراب فقالوا: يا رسول الله ما خير ما أعطي الناس؟ قال: «خلق حسن»<sup>(٢)</sup>

وحاجة المسلم إلى التحليل بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم مثل حاجته إلى الطعام والشراب أو أشد، لأنها تسير معه حيث سار عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حينما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحوها، وخالف الناس بخلق حسن»<sup>(٣)</sup>، وإليك بعض ثمرات حسن الخلق:

١— من علامات حب الله سبحانه وتعالى للعبد حسن خلقه قال صلى الله عليه

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادات، (ج ٢ / ص ٧٤٨)، رقم الحديث، ٤٤٠٨، صحيح

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ٢٠٩)، رقم ٤١٦، صحيح ولم يخر جاه

(٣) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٣٥٥)، رقم ١٩٨٧، وقال: حسن صحيح

وسلم: «أَحَبُّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(١)</sup>. وقال صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعْالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَبغض سفاسفها»<sup>(٢)</sup>

٢— الفوز بحبّ الرسول ﷺ والقرب منه يوم القيمة: عن جابرٍ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرِبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبغضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرَاثُورُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا التَّرَاثُورَ وَالْمُتَشَدِّقَ فَمَنْ الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ»<sup>(٣)</sup>

٣— أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وذلك بشهادة النبي صلّى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٤)</sup>، فكمال الأدلة علامة على كمال الإيمان.

٤— وبالأخلاق الحسنة يبلغ العبد أعلى المنازل والدرجات في الجنة عن أبي أمامة، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقَّاً، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»<sup>(٥)</sup> {والزعيم: الكفيل، وربض الجنة: ما حوطها، المراء: أي الجدار} عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الميزان أثقل مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»<sup>(٦)</sup>. فحسن الخلق يشق كفة الحسنات يوم القيمة أكثر من كل الاعمال عدا كلمة لا إله إلا الله التي ورد فيها نصّ أمّها أثقل في الميزان من كل شيء. وقال صلّى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتٍ قَائِمٍ اللَّيْلِ، صَائِمٍ النَّهَارِ»<sup>(٧)</sup>

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج ١ / ص ٩٧)، رقم ١٧٩، صحيح

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ١ / ص ١١٢)، رقم ١٥٢، الالباني في الصحيححة: صحيح

(٣) سنن الترمذى، (ج ٣ / ص ٤٣٨) رقم ٢٠١٨، وقال: حسن صحيح

(٤) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٣٥٤)، رقم ٤٦٨٤، وقال الالباني: صحيح

(٥) سنن أبي داود (ج ٤ / ص ٤٠٠)، رقم ٤٤٠٢، وقال الالباني: حسن

(٦) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٣٦٣)، رقم الحديث، ٢٠٠٣، وقال الالباني: صحيح

(٧) المسند، (ج ٦ / ص ٩٠)، رقم، ٢٤٦٣٩ وقال شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره

٥ — المتحلي بمحاسن الأخلاق ترجى له النجاة من النار يوم القيمة عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخيركم بمن يحرم على النار أو بمن تحروم عليه النار، على كل قريب هيئ سهل»<sup>(١)</sup>

حقاً لقد ذهب حسن الخلق بخیر الدنيا والآخرة، فحب الله تعالى متعلق به وحب رسوله والقرب منه متوقف عليه وجمال الدنيا فيه، وثقل الميزان يوم القيمة به وأعلى الدرجات في الجنة والنّجاة من النار بالأخلاق الحسنة. فالمغبون يوم التغابن هو من فرط به وتهاون فيه، وهو الخاسر حقاً لخیر الدنيا والآخرة، خسر في الدنيا حب الناس والألفة معهم وجمال صورته الظاهرة والباطنة، وخسر في الآخرة حب الله وحب رسوله والقرب منه والدرجات العلى في الجنة.

\* قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩]  
 قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمحاسن الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. وحقاً ذلك فإنه تضمنت حسن المعاشرة مع الخلق وأداء حق الله فيهم والسلامة من شرهم، اقبل الميسور من أخلاق الناس، وأمر بالعرف ما يعرف صوابه وتحسناته النفوس، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} صُنْ نفسك عن مقابلتهم على سفههم وترك الانتقام لنفسك والانتصار لها. فائي كمال للعبد وراء هذا؟ وأي معاشرة وسياسة للعالم أحسن من هذه المعاشرة والسياسة؟ قال صلى الله عليه وسلم «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»<sup>(٢)</sup>  
 اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت، اللهم آتِ نفوسنا تقوها وزكّها أنت خير من زكّها.

(١) سنن الترمذى، (ج / ٤، ص ٢٣٥)، رقم ٢٤٨٨، وقال الألبانى: صحيح

(٢) المسند، (ج / ٤، ص ١٥٨)، رقم ١٧٤٨٨، السلسلة الصحيحة، (ج / ٢، ص ٥٥٢)، رقم ٨٩١، وقال الألبانى: صحيح

## ٦٩. بَرُّ الْوَالِدِينَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ

قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يُبْلِغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفَّ وَلَا تَنْهِهِمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَأَيَّا نِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٣-٢٤]

من أفضل مكارم الأخلاق وأحتجها إلى الله تعالى والتي أمر الله عز وجل بها بعد الأمر بتوحيده بـ بـ الوالدين والإحسان إليهما فقال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦]، ومن عظيم فضله سبحانه وتعالى فقد أوصى بهما وقرن بين شكره وشكر الوالدين فقال عز وجل: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمُصِيرُ) [لقمان: ١٤]

فياله من عظيم فضل من الله تعالى على الآباء والأمهات الذين لم يرددوا لصاحب الفضل فضله بوصية أبنائهم بالله وعظيم حقه على العباد. فكم من أب وفي هذا الحق ووصي ابنه بالحفظ على أوامر الله؟ وكم من أم وفت وأوصت ابنته بالعفاف والحياء؟ أماماً ثواب بـ بـ الوالدين فلا يدانيه ثواب ولا الجهاد في سبيل الله، أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبَا يَعْلَمَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدُ حَيٍّ» قَالَ نَعَمْ بَلْ كِلَّاهُمَا. قَالَ: «فَبَتَّغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ» قَالَ نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»<sup>(١)</sup>

ففي بـ بـ هما تفريح الكروب، ومغفرة الذنوب، وسعة الرزق، والبركة في العمر، والعبور على الصراط، والتّجاة من النار، والفوز بالجنة فهل بعد هذا الأجر من أجر؟ فسبحان الله الملك الكريم ذي الفضل العظيم.

ومن صور البر بهما:

- مصاحبتهم في أمورهم الدنيوية بالمعروف (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٣)، رقم ٦٦٧١

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) [لقمان: ١٥]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أملك ثم من قال ثم أملك قال ثم من قال ثم أملك قال ثم من قال ثم أبوك<sup>(١)</sup>

- طاعتها في كل أمر ليس فيه معصية وإن أخذها مالك: عن معاذ قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلاماً ... قال منها «ولَا تَعْقَنَ وَالدِّيلَكَ وَإِنْ أَمْرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ»<sup>(٢)</sup>

- الإحسان إليهم والتلطف معهم بلين الكلام وعدم نهرهم، قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَاّ يَبْعَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء: ٢٣]

- الدعاء لهم في حياتها وبعد موتها: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤] [وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَأَيْتَنِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٤]

- إكرام صديقها في حياتها وبعد موتها: عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَبْرُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ»<sup>(٣)</sup>

- إعانتها على العبادة عند بلوغها الكبر: عن زرعة بن إبراهيم، أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه، فقال: إن لي أمّا بلغ بها الكبر، وإنّها لا تقضي حاجتها إلا وظيري مطية لها، وأوصي وجيها عنها، فهل أديت حقّها؟ قال: لا، قال: أليس قد حملتها على ظيري، وحيست نفسي عليها؟ قال: إنّها كانت تصنّع ذلك بك، وهي تتمنّى بقاءك، وأنت تتمنّى فراقها. وقال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنها: حملت أمّي على رقبتي

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٢)، رقم ٥٩٧١

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، (ج ٢ / ص ٣٣٤)، رقم ٢٥١٦، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٦)، رقم ٦٦٧٨

من خراسان حتى قضيت بها المنسك، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا طلاقة من طلاقتها<sup>(١)</sup>

\* \* \* قال تعالى: (فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ .

**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ) [محمد: ٢٣-٢٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَّكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَّ يَا رَبِّ قَالَ فَهُوَ لَكِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاقْرُءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ} <sup>(٢)</sup>

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ذُنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا الْبَغْيَ، وَعُقوَقُ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَطِيعَةَ الرَّحْمِ، يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْمُوتِ» <sup>(٣)</sup>

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْبَثْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَلَكَ وَالِدَانَ قَالَ لَا قَالَ فَلَكَ خَالَةٌ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَّهَا إِذَا» <sup>(٤)</sup>.

ويقاس على قرب الوالدين من الولد قرب ذوي الرجل وقرباته. فينبغي ألا يقتصر الإنسان في رعاية حقهم كالعلم، والعممة، والخال، والخالة. واعلم أن الموقفين الصالحين المحبوبين المزروقين هم بارون بوالديهم، والأشقياء المحروميين غلاظ القلوب والمرذولين هم عاقّون لوالديهم القاطعون لأرحامهم. اللهم ابعدنا عن العقوق وأعنّا على طاعتك وبرّ الوالدين.

(١) ابن الجوزي، بر الوالدين، (ج ١ / ص ١)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٥) رقم ٥٩٨٧

(٣) الادب المفرد، (ص: ٢٠٧)، رقم ٥٩١، وقال الألباني: صحيح

(٤) المسند، (ج ٢ / ص ١٣)، رقم ٤٦٢٤، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط الشيفيين

## ٧٠. أداء حق الاجار من اسباب دخول الجنة

قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) [النساء: ٣٦]

الحمد لله الذي أوصى العباد بعضهم ببعض، ومن فضله سبحانه وتعالى أنه قرن بين حقوقه وحقوق العباد فأمر بعبادته وتوحيده والإحسان إلى خلقه كالوالدين، والأرحام، والفقراء، والمساكين، والأيتام، والجيران، ووعد عن الإحسان إحساناً يوم العاد وأخبر بمحبته لمن أحسن إلى عباده فقال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٩٥] وقال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَرْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [يونس: ٢٦]

ومن مكارم الأخلاق التي أمر الله تعالى بها الإحسان إلى الجار وجعل له حرمة تمنع من آذاه، ونفي الإيمان عمن انتهك هذه الحرمة، فعن أبي شریح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْمُجْرِمِ» [البخاري]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَاعِقَةِ» [بواعقه] [١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَاعِقَةِ» [بواعقه] [٢]، [غوائله وشرّه أو ظلمه]

فَاللَّهُ تَعَالَى أَوْصَى بِالْجَهَارِ وَنَبِيٌّ أَوْصَى بِالْجَهَارِ وَجَبْرِيلُ أَوْصَى بِالْجَهَارِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ يُوَصِّينِي جِبْرِيلُ بِالْجَهَارِ حَتَّىٰ ظَنَّتُ أَنَّهُ سَبِيلُ رَبِّي» (٣)

ولعزم هذه الوصايا اهتم الصحابة بحقوق الجار سواء كان مسلماً أم كافراً أو منافقاً أو فاسقاً، وكلّ أقوالهم يجمعها الإكرام وكفّ الأذى. عن عبد الله بن عمرو أنَّه ذُبِحَت له

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠)، رقم ٦٠١٦

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٤٩)، رقم ١٨١

(٣) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠)، رقم ٦٠١٤

شاة فجعل يقول لغلامه أهديت لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوَصِّينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظنَّتُ أَنَّهُ سَيُورُّثُهُ»<sup>(١)</sup>  
ومن حقوق الجار التي جاءت في السنة:

- إكرام الجار بالإحسان إليه والبشر في وجهه وقضاء حوائجه بنفسك ومالك وجاهك، وغير ذلك من وجوه الإكرام. عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ جَارَهُ»<sup>(٢)</sup>.

- تعاهده بالسؤال عنه وإطعامه من طعامك الذي ليس عنده مثله: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَّعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.  
عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍ إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»<sup>(٤)</sup>. والمরقة: الماء الذي طبخ فيه اللحم.

- عدم منعه من الاستفادة من الأمور المشتركة بينك وبينه، لأن ذلك من أذنيه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِرَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ»<sup>(٥)</sup>

- حفظ عرضه وعدم التطلع إلى محارمه بالنظر أو غيره عند غفلته والستر عليه وحفظ أسراره وذلك لأنّ الجار أعلم بأسرار جاره، عن عبد الله قال سأّلت النبي صلى الله عليه وسلم أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ اللَّهَ نِدًا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَحَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تُزَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»<sup>(٦)</sup> فالزنـة كبيرة ويكون أعظم عندما يكون في عرض جارك.

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠١٥)، رقم ٦٠١٥، الأدب المفرد: ص ٥٠، رقم ١٠٥

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٤٩)، رقم ١٨٢

(٣) صحيح وضعيف الجامع، (ج ١ / ص ٤٩٠)، وقال الالباني: صحيح

(٤) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٣٧)، رقم ٦٨٥٥

(٥) صحيح البخاري، (ج ٣ / ص ١٣٢)، رقم ٢٤٦٣

(٦) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ١٥٢)، رقم ٧٥٢٠

- الامتناع من أذيته لأن ذلك سبب لنزول اللعنة، عن أبي هريرة، قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فشكى إليه جاراً له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات: «اصبر ثم، قال له في الرابعة أو الثالثة: «اطرح متابعتك في الطريق» ففعّل، قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون: ما لك؟ فيقول: آذاه جاره، فجعلوا يقولون: لعنة الله فجاءه جاره، فقال: ردد متابعتك لا والله لا أؤذيك أبداً<sup>(١)</sup> وعند الحاكم: فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما لقيت من الناس قال: «وما لقيته منهم؟» قال: يعنوني قال: «فقد لعنتك الله قبل الناس» قال: يا رسول الله فلن لا أعود<sup>(٢)</sup>\* قال تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزيتهم أحسن الذي كانوا يعملون) [العنكبوت: ٧]

الحمد لله الذي أمر بالإحسان ووعد بالإحسان والملغفحة جزاء له، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من حيراته الأدرين إلا قال قد قيلت فيه علمكم فيه وغرت له ما لا تعلمون»<sup>(٣)</sup>

قبل الله تعالى وهو العليم الخير بذنب عباده شهادة الجيران لجارهم عند موته إذا شهدوا له بما يعلمون فيه ومغفرته له ما لا يعلمونه منه، وكذلك شهادتهم له في حياته، عن عبد الله، قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إدراً أحسنت، وإذا أساءت؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت حيراً أنك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أساءت، فقد أساءت»<sup>(٤)</sup> اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللهم اجعلنا من المتبين لنبيك والمحسنين إلى حيرائهم.

(١) صحيح ابن حبان، (ج / ٢)، رقم ٥٢٠، وقال الألباني: حسن صحيح

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج / ٤)، ص ١٨٣، رقم ٧٣٠٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره، رقم ٢٥٥٨

(٣) الألباني، التعليقات الحسان، (ج / ٥)، ص ٤٤٥، رقم ٣٠١٥، وقال: صحيح

(٤) سنن ابن ماجه، (ج / ٢)، ص ٤٢٣، رقم ١٤١٢، وقال الألباني: صحيح

## ٧١. النار

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ) [التحريم: ٦]

لقد خلق الله تعالى النار لتكون داراً للكافرين والمعاندين والظالمين من عبيده وذكرها بأكثر من مائة آية في القرآن باسمها الصريح غير آيات العذاب التي تدلّ عليها، وحدّر منها في كثير من الآيات فقال عز وجل: (فَأَنْذِرْنُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) وقال تعالى محذرا منها: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، كان أبو حنيفة يقول: هي أخوف آية في القرآن؛ حيث أ وعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، ثم أتبع ذلك بتعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته، وطاعة رسوله فقال: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ)

ووحدّر منها النبي ﷺ: عن عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوْجُوهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوْجُوهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقٍّ تَمَرَّةٌ فَمَنْ لَمْ يَحْدُ فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»<sup>(١)</sup>. {فأشاح وجهه: أعرض وصرف وجهه، قال عدي: حتى ظننا أنه ينظر إليها} والسبب الأول لدخول النار والخلود فيها هو التكذيب بالآيات، رد القرآن والأدلة والبراهين على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [الاعراف: ٣٦]

قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ هُمْ حَرَّنَتْهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتَلوُنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [الزمر: ٧٢-٧١] ، قال السمرقندى: "ألم يأتكم رسول منكم «يعنى آدميا مثلكم تفهمون كلامه» يتلون عليكم آيات ربكم «يعنى يقرؤون عليكم ما أوحي إليهم»

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١١٥)، رقم ٦٥٦٣

وينذرونكم لقاء يومكم هذا «يعني أنهم يخوفونكم بهذا اليوم فكأنه يقول لهم يا أشقياء ألم يأتكم رسلا منكم فأجابوه» قالوا بلى "فيقرون بذلك في وقت لا ينفعهم الإقرار ولو كان قولهم بلى في الدنيا لكان ينفعهم<sup>(١)</sup>

ومن كفر وحكم عليه رب العزة بدخول النار والخلود فيها لا تنفعه الشفاعة ولا الفداء قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُؤْمِنُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ) [آل عمران: ٩١] طعامهم الزّقوم (لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَّقْوَمٍ) [الواقعة: ٥٢] (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ. لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ) [الغاشية: ٦-٧]، شرابهم الحميّم، وعداهم أليم (لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [الأنعام: ٧٠] (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرُادُقَهَا وَإِنْ يَسْتَغْشُوا يُغاثُوا بِمَا كَلُمُهُلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقَا) [الكهف: ٢٩]

عَنْ عَبْدِ الله قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ هَـَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِيَامٍ مَعَ كُلِّ زِيَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا) <sup>(٢)</sup>

قال تعالى في سورة الشعراء: (وَبِرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ الله هَـٰلِ يَصْرُونَكُمْ أَوْ يَتَصْرُونَ) [الشعراء: ٩١-٩٣]، هؤلاء الذين كتمت عبودتهم في الدنيا وتتبعونهم بالباطل هل يستطيعون أن يدفعوا عنكم؟، (فَكُبْكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)، رمي بعضهم على بعض في جهنّم هم والشياطين، (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)، المتبوعون الذين كانوا يضلّون الناس من الكباء والأمراء، (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَحْتَصِمُونَ. تَالله إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، أي نحن في ضلال واضح بين. (إِذْ سَوَّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، أي نسوّي بين عبادة الله وعبادة غيره، (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرُمُونَ) يعنيون إبليس

(١) السمرقندى، بحر العلوم، (ج / ٢ / ص ١٩٥)

(٢) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٤٩)، رقم ٧٣٤٣

وأتباعه من السادة والكراة، (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُنَا السَّبِيلَا. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَيْرًا) [الأحزاب: ٦٨-٦٧]، ثم قالوا: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ. فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) تقطعت أسباب التواصل بينهم، العلاقات الباطلة من دون الله القرابات والصداقات والشفاعات والتناصر بالباطل التي كانت في الدنيا انتهت في الآخرة، (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقْطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجٍ مِنَ النَّارِ)، ثم تقلب هذه المودّات في الدنيا إلى عداوة في الآخرة، (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُرِ عَدُوُّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٦٧]، فصارت كل خُلّة عداوة على أهلها إلا خُلّة المتّقين.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأهون أهل النار عذابا يوم القيمة لو كان عنده ما في الأرض وافتدى به لم يقبل منه عن أنسٍ يَرْفَعُهُ «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَا هُوَ أَهْلُ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبْيَثَ إِلَّا الشَّرِكَ»<sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا أَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا

عَذَابَ النَّارِ) [البقرة: ٢٠١]

عَنْ أنسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبِيرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمُحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٣٣)، رقم ٣٣٣٤

(٢) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٢٨)، رقم ٤٥٢٢

(٣) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٩٩)، رقم ١٣٧٧

## ٧٢. الشرك بالله من أسباب الخلود في النار

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء: ٤٨]

من اسباب دخول النار والخلود فيها الشرك بالله، فالشرك هو الذنب الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى إلا بالتوبة منه فكل الذنوب معلقة على المشيئة إن شاء الله تعالى غفرها، وإن شاء عذّب بها إلا من أشرك به، فهو محكوم عليه بعدم المغفرة، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ) [النساء: ٤٨]

ولذلك نهى الله تعالى عنه فقال: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) وحذر جميع الانبياء اقوامهم منه وكان كل رسول يبدأ دعوته لقومه بقوله: (اعبُدو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وحذر منه العلماء والصالحون والمربيون فقال لقمان: (يَا بُنْيَيْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ أَطْلُمُ عَظِيمُ)، وكان الأنبياء على جلالة قدرهم يخافونه على انفسهم فقال إبراهيم: (وَاجْبُنْبِي وَبَنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالشركين واهل الكتاب في عادتهم وعبادتهم واقواهم لأن ذلك يدعوه إلى الميل إليهم فقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup> والشرك نوعان:

**النوع الأول:** شرك أكبر يخرج من الملة: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزّ وجلّ سواء كانت من العبادات القلبية كالمحبة والرجاء والخوف والتوكّل والاخلاص وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح وعمل الجوارح من دونها إماً عديم المنفعة وإماً قليل المنفعة.

أو من عبادات الجوارح كالسجود لغير الله ودعاء غير الله والطواف بغير بيت الله والذبح والنذر لغير الله وطاعة الأخبار والرهبان والكهباء والأمراء في غير طاعة الله. وقد فرض الله تعالى هذه العبادات خالصة له لا يشاركه فيها غيره فمن صرفها لله

(١) سنن أبي داود، (٤ / ٧٨)، رقم ٤٠٣٣، وقال الالباني: حسن صحيح

وغيره بطل عمله ولم يقبل ولو كان عمل الأنبياء، قال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشَرْكْتَ لَيْحَبْطَنَ عَمَلُكَ وَلَكَتُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥]

وقد بيّن ذلك النبي صلّى الله عليه وسلم في قوله عن ربّه في الحديث القدسي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرُكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشَرَّ كَفِيهِ مَعِي عَيْرِي تَرْكُهُ وَشُرْكُهُ»<sup>(١)</sup>

ومن أنواع الشرك في أعمال القلوب والجوارح:

- الشرك في الاخلاص: قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ) [البينة: ٥]

- الشرك في المحبة: قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً مُّجَبِوْهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِلَّهِ) [البقرة: ١٦٥]

- الخوف من غير الله: قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٧٥]

- الرجاء لغير الله قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا أَوْهَمُ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يوسف: ٨-٧]

- التوكّل على غير الله: قال تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [المائدة: ٢٣]

فجعل التوكّل شرطاً في الإيمان.

- دعاء غير الله: قال تعالى عن المشركين: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ) [يوسف: ١٠٦]

- الطواف بغير بيت الله قال تعالى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَهُّمٌ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [الحج: ٢٩]

- الذبح والنذر لغير الله: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ) [الكوثر: ١-٢]

- شرك الطاعة: وهي طاعة الأહبار والرهبان والساسة والكهباء في معصية الله تعالى،

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢٢٣)، رقم ٧٦٦٦

قال سبحانه وتعالى: (انْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيَّحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لَيَعْبُدُوا إِلَهًا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، وقال تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءَنَا فَأَصْلُونَا السَّيِّلَا).

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة ومنه يسير الرياء، قال تعالى عن المنافقين: قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاوِنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: ١٤٢]

- الحلف بغير الله: عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(١)</sup>

- ومنه قول الرجل: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، عن ابن عباس: قال رجل عليه السلام لما شاء الله وشئت، قال: «جعلت الله ندًا، ما شاء الله وحده»<sup>(٢)</sup>

\*\* قال تعالى: (فُلِّ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا。 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا。 قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) [الجن: ٢٠-٢٢]

عن معمقل بن يساري يقول انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من ديب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من يجعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي عليه السلام والذى نفسى بيده للشرك أخفى من ديب النمل إلا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قال قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفر لك لما لا أعلم» (وفي لفظ آخر ثلاث مرات)<sup>(٣)</sup>

وقال عليه السلام: «اقرأ {قل يا أيها الكافرون} عند منامك فإنها براءة من الشرك»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح وضعيف سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٣٥)، رقم ١٥٣٥، وقال الالباني: صحيح

(٢) الادب المفرد، ص ٢٧٤، رقم ٧٨٣، وقال الالباني: صحيح

(٣) الادب المفرد، ص ٢٥٠، رقم ٧١٦، وقال الالباني: صحيح

(٤) صحيح الجامع الصغير وزياحته (ج ١ / ص ٢٥٧)، رقم ٥٢٨، وقال الالباني: صحيح

## ٧٣. النفاق من أسباب دخول النار

قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنْهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) [التوبه: ٦٨]

النفاق: هو مخالفة الظاهر للباطن وهو الداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتئلاً منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفي على الناس. وكثيراً ما يخفى على من تلبّس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد وهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر: النفاق الاعتقادي: وهو أن يُظهر لل المسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به لا يؤمن بأنّ الله تكلّم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهدّيهما بإذنه وينذرهم بأسه ويخوّفهم عقابه وهو يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) [النساء: ١٤٥]

وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ او تكذيب بعض ما جاء به، بغض الرسول ﷺ او بغض بعض ما جاء به، المسراة بانخفاض دين الإسلام، وكراهية انتصار دين الإسلام. والتوبة منه، بأربعة شروط قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) إلا الذين تابوا من النفاق وأصلاحوا أنفسهم واعتصموا بالله أي تمسكوا بدين الله وبتوحيده وأخلصوا دينهم الله أي بتوحيدهم الله بالإخلاص، فإن فعلوا ذلك فأولئك مع المؤمنين أي المصدقين لهم، ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وأما الأصغر: النفاق العملي: فمعناه: أن الواقع فيه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، لكنه يتّصف ببعض صفات المنافقين، مثل: الكذب في الحديث، والغدر في العهد، والإخلاف في الوعود، والخيانة في الأمانة والتجوز عند الخصومه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَةٌ مِنْهُنَّ

كانت فيه خلةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعُهَا إِذَا حَدَثَ كَذَبٌ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرٌ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». غير أنّ في حديث سفيان «وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الآخر قال «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَثَ كَذَبٌ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتَمِنَ خَانَ»<sup>(٢)</sup>

هذا نفاق عمليٌّ، صاحبه مؤمنٌ، ولكن فيه خصلةٌ من خصال المنافقين، وهي خطيرة جدًا، ربما أتّها تؤول به إلى النفاق الأكبر إذا اجتمعت فيه هذه الخصال ولم يتبع منها.

وللمنافقين علاماتٌ يُعرفون بها بینها الله تعالى في القرآن في سورة البقرة، والنساء والأنفال، والتوبة، وأنزل تعالى سورة المنافقين كاملة في أوصافهم التي منها:

- موالة الكفار من دون المؤمنين: والسبب أنّهم قد عندهم حسن الظن بالله ووعده بنصر المؤمنين فما لوا إلى الطرف الأقوى في العدد والعدة الذي يظنون أنه سيتصدر وتكون لهم العزة به قال تعالى عز وجل: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَمُغُونَ عِنْهُمُ الْعَزَّةُ فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: ١٣٨-١٣٩]

- التحاكم إلى غير شرع الله تعالى: قال تعالى: (أَمْ تَرِإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكِمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًاً. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) [النساء: ٦٠-٦١]

- لهم وجهان وجه مع المسلمين وجه مع الكفار: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمين، والآخر يترجم به عن سره المكتون قال تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة: ١٤]

- الرياء وعدم الأخلاص والكسل في الصلاة: قام بهم والله الرياء وهو أقبح مقام

(١) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٦)، رقم ٢١٩

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٥٦)، رقم ٢٢٠

قامه الإنسان وقعد بهم الكسل عمّا أمروا به من أوامر الرحمن فأصبح الاخلاص عليهم لذلك ثقيلا، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسالٍ يُرَاوِنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا. مُدَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهَ فَلَنْ تَجْدِدَ لَهُ سَيِّلًا) [النساء: ١٤٢ - ١٤٣]، يؤخرن الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى فالصبح عند طلوع الشمس والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب، إذ هي صلاة الأبدان، لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفاتاً الشغل، إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب، ولا يشهدون الجماعة، بل إن صلّى أحدهم ففي البيت أو الدكان، وإذا خاصلم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، هذه معاملتهم للخلق، وتلك معاملتهم للخالق.

- كثرة الحلف الكاذب: قال تعالى عن المنافقين: قال تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) [التوبه: ٦٢] (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَّرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) [التوبه: ٧٤]

تسبق يمين أحدهم كلامه من غير أن يعرض عليه، لعلمه أنَّ قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمنيه من سوء الظن به وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون، ويحلفون ليحسب السامع أئمَّهم صادقون، قد (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحَ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [المافقون: ٢]

يقول ابن القيّم: "تَعَالَى لَقَدْ قَطَعَ خَوْفَ النَّفَاقِ قُلُوبُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ لَعْنَهُمْ بِدْقَهُ وَجَلَهُ وَتَفَاصِيلِهِ وَجَمِيلَهُ، سَاعَتْ ظُنُونَهُمْ بِنَفْوِهِمْ حَتَّى خَشِوْا أَنْ يَكُونُوا مِنْ جَمِيلَ الْمُنَافِقِينَ" ، قال عمر بن الخطاب لحديفه رضي الله عنهما: يا حديفه، نشدتك بالله، هل سماي لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعده أحداً، وقال ابن أبي مليكة: أدركَتْ ثلاثينَ مِنْ أَصْحَابِ حَمْدَ ﷺ كَلَمَّهُ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنْ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، ذَكْرُهُ الْبَخَارِيُّ، وَذَكْرُهُ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: مَا أَمْنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ... زَرَعَ النَّفَاقَ يَنْبِتُ عَلَى سَاقِيَتِينَ: سَاقِيَةُ الْكَذْبِ، وَسَاقِيَةُ الرِّيَاءِ، وَمُخْرِجُهُمَا مِنْ

عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق وبنائه، ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكشف المستور، وبعشر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، تبين حيثئذٌ من كانت بضاعته النفاق أن حواصله التي حصلها كانت كالسراب (يَحْسِبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) <sup>(١)</sup>

\* قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]

كثر المنافقون في زماننا أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافقون اليوم اشر من اسلافهم عن حذيفة بن اليمان قال "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شُرُّ مِنْهُمْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَ مَيْذِنٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ" <sup>(٢)</sup>

وقال: "إِنَّكُمْ لَتَكَلَّمُونَ كَلَامًا إِنْ كُنَّا لَنَعْدُهُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ النَّفَاقَ، وَفِي رِوَايَةِ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ فِي الْمُجْلِسِ عَشْرَ مَرَارٍ" <sup>(٣)</sup>

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى اللَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةِ يُذْرِكُ التَّكْبِيرَةِ الْأَوَّلِيِّ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنْ النَّفَاقِ» <sup>(٤)</sup>

اعزم على حضور الصلوات وتوكل على الله ليعينك على البراءة من النار والنفاق.

اللهم طهّر قلوبنا من النفاق وألسنتنا من الكذب وأعمالنا من الرياء واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا أرحم الراحمين.

(١) ينظر مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٣٦١ - ٣٦٤)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٥٨)، رقم ٧١١٣

(٣) جامع العلوم والحكم، (ج ٢ / ص ٤٩١)

(٤) سنن الترمذى، (ج ٢ / ص ٧)، رقم ٢٤١، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، (ج ٢ / ص ١٠٨٩)، رقم ٦٣٦٥، قال الالباني : حسن

## ٧٤. الاستهزاء بالدين من أسباب الخلود في النار

قال تعالى: (زُيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [البقرة: ٢١٢]

حب الدنيا والاستهزاء بالدين والأنبياء والرسل وأتباعهم صفة ملازمة للمعاندين الذين انحرفو عن منهج الله تعالى، منذ أن بعث الله الرسل، من نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستمر هذا الاستهزاء إلى يومنا هذا وكانت الأولين أو صووا الآخرين بهذا قال تعالى: (أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [الذاريات: ٥٣]

والكفر اليوم أصبح شائعاً ووقع فيه الكثير من الناس من الكفار الأصليين كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم الذين ارتكبوا غير الإسلام ديناً، أو من الكفار الذين أخرجهم الشيطان من الإسلام، ومن صور الكفر الشائعة:

- سب الله وسب الرسل: سب الله ورسله وأنبياءه من أعظم الذنوب على الاطلاق، وقد نهى الله تعالى عن سب آلهة الكفار، حتى لا يكون ذلك ذريعة لسب الله تعالى قال تعالى: (وَلَا تَسْبُبُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: ١٠٨]، وبالرغم من سد أبواب هذا الإثم العظيم نجد الكثير من الناس كلما غضب سب الله تعالى أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصبح الناس يتغافلون في ألفاظ الكفر ويتلفظون بألفاظ ما تلفظ بها الأولون، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

- الاستهزاء بالأيات والرسائل: قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) لقد سخر السفهاء بالأيات والأنبياء والرسل، فسخروا من نوح، قال تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ فَإِنْ تَسْخَرُوا مِنَنَا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)، قالوا نوح عليه السلام تحمل هذا الفلك إلى البحر أو تحمل البحر إليه. وكان مشركون مكة أبو جهل، والوليد بن المغيرة وأضرابهما، يضحكون من عمّار وصهيب وبلال وغيرهم من

فقراء المؤمنين وقالوا، (أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ) وعندما ظهر النفاق في المدينة أخذ المنافقون يستهزئون بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وسخروا بالطوعين في الصدقات، قال تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبه: ٧٩]، واستهزأوا بالقراء من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الرجوع من غزوة تبوك وقال رجل منهم "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطنونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء" فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ولعب. فنزل قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرُوكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّمِّمْ كَانُوا بُجُرِّمِينَ) [التوبه: ٦٥-٦٦]، فاعتبرهم كفارا بقوتهم.

- لقد تطور الاستهزاء وكثرت صوره في الوقت الحاضر، وذلك لكثره السفهاء من الكتاب والشعراء والعلمانيين ومن يسمون أنفسهم المثقفين وأصبح الاستهزاء عندهم تطوراً وثقافةً فاستهزءوا بالعقيدة والعبادات والمحاجب والهدي الظاهر والصحابة باللغط والغمز واللمز والتعریض بالشريعة وأهلها.

كل هؤلاء الذين سخروا بالأبياء والرسول وأتباعهم وعدهم الله تعالى بالهلاك ولم يفلت منهم أحد قال تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) [الرعد: ٣٢]، وقال تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ مُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الحجر: ٩٥-٩٦]، وقصص هؤلاء معروفة في السير والتاريخ، وكل واحد منهم عوقب بعقوبة لم يعاقب بها الآخر.

أما في الآخرة فلهم مشهد خاص بهم أخبر به تعالى في كتابه، وآمن به المهدون الذين آمنوا بآياته وأنارت قلوبهم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ . وَإِذَا انْقَبَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

هؤلاء لضالونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ.  
عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هُلْ ثُوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] [المطففين: ٢٩-٣٦]

\* قال تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُهَا وَيُسْتَهْزِئُهَا  
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ  
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) [النساء: ١٤٠]

يقول القرطبي: (إنكم إذا مثلهم) فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي  
إذا ظهر منهم منكر، لأنّ من لم يتجنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر قال الله عز  
وجل: (إنكم إذا مثلهم) فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم  
في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على  
النکير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية<sup>(١)</sup>

يقول ابن قدامة المقدسي: " ومن سبّ الله تعالى كفر سواء كان مازحاً أو جاداً"<sup>(٢)</sup>  
وقال الامام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أنّ من سبّ  
الله أو سبّ رسوله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً مما أنزل الله عزّ وجلّ أو قتلنبياً من  
أنبياء الله عزّ وجلّ: إنه كافر بذلك وإن كان مقرّاً بكلّ ما أنزل الله"<sup>(٣)</sup>

قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا  
بِإِيمَانٍ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠]  
اللهم اجعلنا من الم Kumمين لك المؤمنين لرسلك المتبّعين لهم المحبيّن لأوليائك  
العاملين بدينك اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها جدّها وهنّ لها دقّها وجلّها أوّلها وآخرها  
علانيتها وسرّها.

(١) الجامع لأحكام القرآن، (ج ٥ / ص ٤١٨)

(٢) المقدسي، المعني في فقه الامام أحمد، (ج ١٠ / ص ١٠٣)

(٣) ابن تيمية، الصارم المسّلول على شاتم الرسول، (ج ٢ / ص ١٥)

## ٧٥. الكبر من أسباب دخول النار

قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]

من أسماء الله الحسنى العزيز الجبار المتكبر وهي صفات من صفاته سبحانه وتعالى لا تليق إلا بجلاله فصفة الله تعالى الكبرياء والتعالي والقهر وسمة العبد الخضوع والتذلل فلا ينزع العبد ربّه في صفة من صفاته، عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَابِي»<sup>(١)</sup>

الكبر سبب لأول ذنب عصي الله تعالى به من قبل إبليس حيث لم يسجد لآدم كما أمره الله تعالى بسبب تكبّره، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٣٤]

وتبعه في سنته هذه المتكبرون جميعاً من كل الأمم الذين لم يمثلوا لنصائح الأنبياء والرسول بسبب الكبر قال تعالى عن قوم نوح: (وَأَصْرُرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح: ٧] وقال تعالى عن قوم فرعون: (فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) [يوسف: ٧٥]

الذنب الذي توعد الله صاحبه بالصرف عن تدبّر الآيات: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَيِّلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَيِّلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٤٦] وقد توعد الله تعالى المستكبرين بالعذاب الأليم في الآخرة (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [النحل: ٢٩]

يقول ابن الق testim: ”أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةُ الْكِبْرُ وَالْحَسْدُ وَالْغَضْبُ وَالشَّهْوَةُ وَزِوْلُ الْجَبَالِ“ عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعه عمن بلي بها ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة فإنه لا يستقيم له معها عمل البته ولا تزكي نفسه مع قيامها

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٣٥)، رقم ٦٨٤٦

بها وكلّما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الاربعة. والاشر والعجب والحسد والبغى والخيالء والظلم والقسوة والتجبر والاعراض وإياء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلوّ وحبّ الجاه والرئاسة وأن يُحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك كلّها ناشئة من الكبر<sup>(١)</sup>

#### من علامات المتكبرين:

- بطر الحقّ وغمط الناس: عن عبد الله بن مسعودٍ عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ». قال رجلٌ إنَّ الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبه حسناً ونعله حسنةً. قال «إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ الكبيرَ بطر الحقّ وغمط الناسِ»<sup>(٢)</sup>. بطر الحقّ: فهو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً. وغمط الناسِ: احتقارهم. ومتى احترمهم واذراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بهما.

- إجابة دعوات الأغنياء وعدم إجابة دعوات الفقراء فلا يحال لهم ولا يسلم عليهم قال صلى الله عليه وسلم: «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلى كراع لقلبت»<sup>(٣)</sup> عن ابن عباسٍ قال: كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «يجلسُ على الأرضِ، ويأكلُ على الأرضِ ويعقلُ الشأةَ، ويحبُّ دعوةَ المُملوِّكِ على خبزِ الشَّعيرِ»<sup>(٤)</sup>

مرّ الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما بمساكين وهم يأكلون كسرأ لهم على كساء، فقالوا: يا أبا عبد الله الغداء فنزل وقال: «إنه لا يحبُّ المستكرين»، فأكل معهم، ثم قال لهم: «قد أجبتكم فأجيئوني». فانطلقوا معه، فلما أتوا المنزل قال لجاريه: «آخر جي ما كنتِ تدخررين»<sup>(٥)</sup>

- والمتكبر يرى نفسه أعلى من الغير يحبّ أن يزار ولا يزور ويقصده الناس ويخدمونه

(١) ينظر، الفوائد، (ج ١ / ص ١٤٣ - ١٥٧)

(٢) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٦٥)، رقم ٢٧٥

(٣) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ٢٥)، رقم ٥١٧٨

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ٦٧)، رقم ١٢٤٩٤، وقال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة مختصرة، ٢١٢٥

(٥) السمرقندى، تنبية الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، ص ١٨٣

ولا يخدمهم، ولا يعمل في بيته شغلاً، وكان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم التواضع، عن عائشة قالت سئلت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته قالت: "كان بشرًا من البشر يغلي ثوبه ويخلب شاته ويخدم نفسه"<sup>(١)</sup> وفي الحديث الآخر قالت: "كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعلم الرجال في يومتهم"<sup>(٢)</sup>

- الاعجاب بالنفس: لأن يعجب ويتكبر بهاله أو سلطانه أو شهادته أو زيته أو مركوبه فيظهر ذلك على مشيته وتصuir خده للناس قال تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَغُورٍ) [لقمان: ١٨]

عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «بيئتم رجلاً يمشي قد أعجبته جهته وبرداه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»<sup>(٣)</sup>

- وأشد أنواع الكبر أن يكون متكبراً ولا شيء عنده، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلّهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم قال أبو معاوية ولا ينظر إليهم وهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»<sup>(٤)</sup> {العائل: الفقير}

\*\* عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يُخْسِرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوْهُمْ نَارُ الْأَتْيَارِ يُسَقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةُ الْخَبَابِ»<sup>(٥)</sup>. قال بعض العارفين رأيت رجلاً في الطواف ومعه خدم يمنعون الناس من الطواف لأجله ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يسأل الناس فسألته عن ذلك فقال تكبرت في موضع تواضع فيه الناس فأهانني في موضع يتكبر الناس فيه. اللهم طهّر قلوبنا من الكبر والرياء والنفاق وسوء الأخلاق.

(١) المسند، (ج ٦ / ص ٢٥٦)، رقم ٢٦٢٣٧، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح

(٢) المسند، (ج ٦ / ص ١٢١)، رقم ٢٤٩٤٧، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ١٤٨)، رقم ٥٥٨٦

(٤) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ٧٢)، رقم ٣٠٩

(٥) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٦٥٥)، رقم ٢٤٩٢، وقال: حسن صحيح

## ٧٦. السبع المهلكات من أسباب دخول النار

قال تعالى: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهْوِنَ عَنْهُ نُكَفَّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: ٣١]

لقد حذر الله تعالى من اقتراف الكبائر وبشر الذين يجتنبونها بتکفير سيئاتهم ومغفرته لهم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّهُمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمُغْفِرَةِ) [النجم: ٣٢]، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات<sup>(١)</sup>. [الموبقات: المهلكات]

قال علي رضي الله عنه وهو يخطب في مسجد الكوفة "يا أيها الناس، إن الكبائر سبع" ، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاثة مرات ثم قال: ألا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، ما هي؟ قال: "الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقدف المحسنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرُّب بعد الهجرة"<sup>(٢)</sup>

قال ابن عباس: "الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب". وما من ذنب من هذه الكبائر إلا وفيه آية أو أكثر من كتاب الله:

- الإشراك بالله: قال تعالى: (حُنَافَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: ٣١]، وهو من أكبر الكبائر فلا يقبل عمل مع الشرك ولو كان عمل الأنبياء، (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشَرَّكْتَ لَيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥]

- والسحر: قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَنَوُّلَا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٠)، رقم ٢٧٦٦

(٢) الطبرى، جامع البيان، (ج ٨ / ص ٢٣٥)

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السُّحْرُ [البقرة: ١٠٢]، وما أكثر السحر وانتشاره في أيامنا هذه بحيث أصبحت هناك قنوات فضائية تروج له تذار من قبل دجالين لا هم لهم إلا الكسب الحرام وإضلal الناس.

- وقتل النفس: قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣]، وبالرغم من هذا الوعيد الشديد الذي تنزل له القلوب لا يتورع الكثير عن قتل المسلمين أو الإعانة على قتلهم.

- وأكل الرّبا: قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يُقْوِمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمُسْكُنِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ) [البقرة: ٢٧٥]، وأعلن الله تعالى الحرب على أكل الربا، قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُو بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ شَيْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَنْظِلُمُونَ وَلَا تُنْظَلُمُونَ) [البقرة: ٢٧٩-٢٧٨]

- وأكل أموال اليتامي: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُوْنَ سَعِيرًا) [النساء: ١٠]

- والفرار من الزّحف: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمُصِيرُ) [الأనفال: ١٥-١٦]

- وقدف المحسنات: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور: ٢٣]

وهذا لا يعني أن يستهين المسلم بصغر الذنب فلا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، ولا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر إلى من عصيت. فمن يعصي الملك ليس كمن يعصي من هو دونه فكيف بمن عصى ملك الملوك، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: "إِنَّكُمْ

## زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَعَدْدُهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمُؤْبِقَاتِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ<sup>(١)</sup> وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الصَّحَابَةِ بِجَلَالِ اللَّهِ أَتَمْ فَإِنَّهُمْ يَسْتَعْظِمُونَ الصَّغَائِرَ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا مَهْلَكَة، فِيهَا السُّبُبُ يَعْظُمُ مِنَ الْعَالَمِ مَا لَا يَعْظُمُ مِنَ الْجَاهِلِ وَيَتَجاوزُ عَنِ الْعَاصِي مَا لَا يَتَجاوزُ عَنِ الْعَالَمِ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُخْفَرَاتِ الدُّنْوِبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَهُمْ بَعْدُ وَجَاءَهُمْ بَعْدُ حَتَّى أَنْضَجُوهُمْ خُبْزَهُمْ وَإِنَّ مُخْفَرَاتِ الدُّنْوِبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»<sup>(٢)</sup>.

\* قال تعالى: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: ٣١]

من فضل الله انه جعل الصغار مُكفرةً باجتناب الكبائر ووعد المتقين بالغفرة وتکفير السيئات بالاعمال الصالحة فقال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحُسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ) [هود: ١٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانِ مُكَفَّرَاتٌ مَا بَيْنُهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ»<sup>(٣)</sup>.

عَنْ أَبْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أُمْرِي كُلُّهُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَرْزِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَثُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنَّتَ الْمُقْدَّمُ وَأَنَّتَ الْمُؤْخِرُ وَأَنَّتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري (ج ٨ / ص ١٠٣)، رقم ٦٤٩٢

(٢) المسند، (ج ٣٧ / ص ٤٦٧)، رقم ٢٢٨٠٨ وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيفين، وقال الالباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم ٣٨٩

(٣) صحيح مسلم، (ج ١ / ص ١٤٤)، رقم ٥٧٤

(٤) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٨٤)، رقم ٦٣٩٨

## ٧٧. الظلم من أسباب دخول النار

قال تعالى: (وَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُؤُسِهِمْ لَا يَرَنُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدِهِمْ هَوَاءُ)

[ابراهيم: ٤٢-٤٣]

لقد حذر الله تعالى من الظلم وحرّمه على نفسه وجعله بين العباد محّراً كما جاء في الحديث القدسي: عن أبي ذرٍ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تباراكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّماً فَلَا تَظَالُمُوا»<sup>(١)</sup>

الظلم الذنب الذي بسببه تخرب الديار في الدنيا قال تعالى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَّةٌ بِهَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهْوِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)، ويوم القيمة يغضظ الظالم على يديه ندما قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعْضُضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)، عندما يرى العذاب. ولقد نزّه الله تعالى نفسه عن الظلم فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا وَوَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ٤٠] [تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتُلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ] [آل عمران: ١٠٨] (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلْتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا حُصِّنَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩]

ولقد تفضل الله تعالى على عباده وأعطاهم أماناً من الظلم فقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) [طه: ١١٢]

قال أهل التفسير: (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها (وَلَا هَضْمًا) يقول: لا يخاف أن يهضم حسناته، فينقصه ثوابها.

الظلم الذنب الذي ينكره الناس مجتمعين ويفعلونه منفردين فلا يكاد يخلو عبد من ظلم. وأنذر الله تعالى الناس وحدتهم من الظلم وأمرهم باتباع الرسل قال تعالى: (وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرُنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٦)، رقم ٦٧٣٧

زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمُتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ。 وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) [ابراهيم: ٤٤ - ٤٥]

ومع شدة الوعيد والإندار ورؤيه مصارع الظالمين وأثارهم تظلم الناس وسكنوا مساكن الظالمين وساروا على سنهם، والظلم ثلاثة أنواع كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الظلُّمُ ثَلَاثَةُ: ظُلُمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَظُلُمٌ يَغْفِرُهُ، وَظُلُمٌ لَا يَرْتُكُهُ، فَأَمَّا الظلُّمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ: فَالشَّرُكُ، قَالَ اللَّهُ: إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلُمٌ عَظِيمٌ)، وَأَمَّا الظلُّمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ: فَظُلُمُ الْعِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ عَزْ وَجْلَهُ، وَأَمَّا الظلُّمُ الَّذِي يَرْتُكُهُ: فَظُلُمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقُصُّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»<sup>(١)</sup>

- فأظلم الظلم هو الشرك بالله: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَبْنَهُ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلُمٌ عَظِيمٌ)، وهو أعظم الذنوب كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله قال سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله «قال أن تجعل الله ندًا و هو خلقك» قلت إن ذلك لعظيم<sup>(٢)</sup>. ولا يغفره الله تعالى إلا بعد التوبة منه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا).

- وظلم العبد نفسه بينه وبين ربّه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، (ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا) [النساء: ٦٤]

- وظلم العباد للعباد وهذا لا يتركه الله تعالى ولا يسقط بشفاعة ولا غيرها حتى يعطي كل ذي حق حقه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أَنْدَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قالوا المفلس فيما من لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فقال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أَمْتَى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَةً وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَقَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا

(١) صحيح الجامع الصغير وزياطاته، (ج / ٢، ص ٣٩٦١)، رقم ٧٢٤، وقال الالباني: حسن

(٢) صحيح البخاري، (ج / ٩، ص ١٥٢)، رقم ٧٥٢٠

فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذَ مِنْ خَطَايَا هُمْ فَطَرِحْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحْ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>

وأشدّ صور ظلم المخلوقين القتل: قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فِيهَا وَغَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعْدَدَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)، وأكل أموال الناس بالباطل مثل أكل الربا، والرشوة، والسرقة، وما أخذ غصباً، وما أخذ حياءً، وغير ذلك. وقد حذر النبي ﷺ من دعوة المظلوم وإن كان كافراً، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بيدها ولين الله حجاب»<sup>(٢)</sup>\* قال تعالى: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصُرُونَ) [هود: ١١٣]

وكما حرم ربنا سبحانه وتعالي الظلم نهى عن إعانة الظالم والركون إليه، والركون: الميل اليسير لأن ذلك يشجعه على التهادي في الظلم ونهى رسول الله ﷺ عن معاونته وقال: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِتَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِتَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذَمَّةِ اللَّهِ وَذَمَّةِ رَسُولِهِ»<sup>(٣)</sup> قال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين، ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الها لا في برية، هل يسكن شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت. ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من يتولى من أمر المسلمين شيئاً فيظلمهم عن عائشة سمعت من رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلَى مِنْ أَمْرِي شَيْئًا فَأَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَأَشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلَى مِنْ أَمْرِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفَقْ بِهِمْ»<sup>(٤)</sup> فاتقوا الظلم فإن الظلم فيه خراب الديار في الدنيا وهو ظلمات يوم القيمة.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨، ص ١٨)، رقم ٦٧٤٤

(٢) صحيح البخاري، (ج / ٣، ص ١٢٩)، رقم ٢٤٤٨

(٣) السلسلة الصحيحة مختصرة، (ج / ٣، ص ١٧) رقم ١٠٢٠ وقال الألباني: صحيح

(٤) صحيح مسلم، (ج / ٦، ص ٧)، رقم ٤٨٢٦

## ٧٨. الغيبة من أسباب دخول النار

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ) [الحجرات: ١٢]

الخطاب في هذه الآية للمؤمنين وفيها أمر باجتناب الظلن السيء ونهي عن التجسس ونهي عن تبع العورات، والسرائر، ونهي عن الغيبة بقوله تعالى (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)، عن أبي هريرة، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرِهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِيِّي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ»<sup>(١)</sup> وقد نفر الله عز وجل من الغيبة أشد التنفير وجعلها بمنزلة أكل المسلم لحم أخيه المسلم وهو ميت، فقال تعالى: (أَيْحِبْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ)

والظلن السيء بال المسلم والتجسس عليه وغيبته من مساوى الأخلاق التي تنتهك بها أعراض المسلمين. وقد حرم رسول الله ﷺ أعراضهم كما حرم دماءهم وأكل أموالهم، فقال ﷺ في خطبة الحجّ «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» فَأَعْدَادَهَا مِئَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»<sup>(٢)</sup>

والغيبة أنواع:

أولاً: غيبة الأحياء: وهذه ورد فيها من الوعيد الشديد ما يجعل النفوس تنفر منها وتبتعد عنها: عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوَهُهُمْ وَصُدُورُهُمْ فَقُتِلَتْ مَنْ هُؤْلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هُؤْلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٢١)، رقم ٦٧٥٨

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١٧٦)، رقم ١٧٣٩

لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»<sup>(١)</sup>. وهذه الغيبة تستطيع أن تتحلل منها في الدنيا بطلب السماح من اغتيته.

ثانياً: غيبة الأموات: وهذه أشدّ من الأولى لأنك لا تستطيع أن تتحلل منها إلا يوم القيمة، فحرمة عرض المسلم محفوظة حياً وميتاً، عن عائشة قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالِكُ بِسُوءٍ فَقَالَ «لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(٢)</sup>. وهي رسول الله ﷺ عن سبّ الأموات عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: «لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا»<sup>(٣)</sup>. ونحن مأمورون بالاستغفار لمن سبقنا من أهل الإيمان قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠]

ثالثاً: غيبة العلماء والدعابة: وهذه أشدّ أنواع الغيبة، لأنّ العلماء والدعابة هم خيار الأمة وحملة الشريعة وأهل القرآن قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٤)</sup>. وهم أهل الله وخاصته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ» قالوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»<sup>(٥)</sup> قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً<sup>(٦)</sup>

وقال ابن الجوزي: "سوء الظنّ بال المسلمين الذين ظاهُرُهم العدالة محظور"

قال الحافظ ابن عساكر: "لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك متنقصهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب (فَلَيُحْذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٢٠)، رقم ٤٨٨٠، وقال الالباني: صحيح

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج ٢ / ص ١٢١٧)، رقم ٧٧٧١، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١٠٤)، رقم ١٣٩٣

(٤) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ١٩٢)، رقم ٥٢٠٧

(٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج ١ / ص ٤٣٢)، رقم ٢١٦٥

(٦) ابن مفلح، الآداب الشرعية، (ج ٢ / ص ٢٩٥)

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النور: ٦٣]

وقال شيخ الإسلام: "وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا كما قال تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قال الله: قد فعلت ... فنقول: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) [الحشر: ١٠]، وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور وتعظيم أمر الله تعالى بالطاعة لله ورسوله وترى حقوق المسلمين لا سيما أهل العلم منهم كما أمر الله ورسوله"<sup>(١)</sup>

\* \* \* عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»<sup>(٢)</sup>

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا قَالَ عَيْرُ مُسَدَّدٌ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَجَتْهُ» قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»<sup>(٣)</sup>

قال ابن القيم: "ومن العجب أنَّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حرفة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغارب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفرى في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول"<sup>(٤)</sup>

(١) الفتوى الكبرى، (ج ٤ / ص ٤٦٥)

(٢) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢)، رقم ١١

(٣) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٢٠)، رقم ٤٨٧٧، وقال الألباني: صحيح

(٤) الجواب الكافي، (ص ١٥٩)

## ٧٩. حال الأتباع والمتبعين يوم القيمة

قال تعالى: (يَوْمَ يُأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ . فَآمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لُهُمْ فِيهَا رَزِيفٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَآمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَحْنُوذٍ) [هود: ١٠٥ - ١٠٨]

الناس في هذه الدنيا أتباع ومتبعون والمتبعون نوعان:

متبعون بحق: دعوة المهدى وهم الأنبياء والرسول وخاصتهم سيدنا رسول الله ﷺ.

متبعون بباطل: وهم دعوة الضلال على غير منهج الأنبياء والرسول وهم أصحاب الطرق الباطلة من أهل الأهواء والأفكار المنحرفين عن الصراط المستقيم.

أما الأتباع فهم صنفان:

الأتباع السعداء: وهم أتباع الأنبياء وأتباع أتباعهم الذين اتباعهم بإحسان قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ اللَّهُمْ جَنَّاتٍ تَحْبِرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبه: ١٠٠]

الأتباع الأشقياء: وهم أتباع دعوة الضلال وأتباع أتباعهم وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلََّ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ١١٥]

ومن رحمة الله تعالى بعباده فقد يبين لهم في كتابه سبيل السعداء من المؤمنين مفصلة وسبيل الأشقياء من المجرمين مفصلة قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) البلد: ١٠ [١] أي بينا له سبيل الخير ليتباه وسبيل الشر ليجتبه، وقال تعالى: (وَكَذِلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَتَسْتَيْنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: ٥٥]، ويبيّن عز وجل أعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء وجلاً سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحتهما وبينهما غاية البيان حتى شاهدتها البصائر

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

كمشاهدة الأ بصار للضياء والظلام، وبين عاقبة هؤلاء مفصلة  
 (لِيَهُكَمْ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأفال: ٤٢]  
 وإنك لتقرأ الآيات الكريمة التي تصور مشاهد يوم القيمة فيخيل إليك أنك أمام  
 مشهد حاضر أمام عينيك ترى فيه الأتباع والمتبعين على غير طاعة الله.

المشهد الأول: انقطاع علاقات المودة: قال تعالى: (فَإِذَا نُفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ  
 يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءُ لَوْنَ) [المؤمنون: ١٠١] (يَوْمَ يَفْرُّ الْمُرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَيْهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ  
 لِكُلِّ اُمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانُ يُغْنِيهِ) [عبس: ٣٤-٣٧] تقطع العلاقـة وأسباب المواصلـة  
 بين الناس الانسـاب، القرابـات، الصـداقـات، المـصالـح المشـترـكة، المـودـات البـاطـلة كل ما كان  
 سبـباً للتـواصـل يـربـطـهم ويـتحـابـون عـلـيـهـ، يـنـقـطـع ويـنـقـلـب عـلـيـهـم عـدـاوـةً يـوـم الـقيـامـة الاـهـلـ  
 التـقوـى الذـين يـجـمعـهم حـبـ الله تـعـالـى: (الْأَنْخَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْصُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا مَتَّقِينَ)  
 [الـرـخـفـ: ٦٧] المـجـتمـعـون عـلـى غـير طـاعـة الله من الفـرقـ والـجـمـاعـاتـ والـاحـزـابـ والـعشـائرـ  
 والـقـومـيـاتـ والـأـوـثـانـ والـأـصـنـامـ والـتـحـالـفـاتـ الـبـاطـلـةـ يـتـخـاصـمـونـ بـيـنـهـمـ وـيـلـعـنـ بـعـضـهـمـ  
 بـعـضـاـ قـالـ تـعـالـى: (كُلَّمَا دَخَلْتُ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْتَهَا)، يـقـولـ بـعـضـهـمـ لـلـآخـرـ (لـا مـرـحـبـاـ بـهـمـ)  
 [ص: ٥٩]، لـا أـهـلـاـ وـلـا سـهـلـاـ، لـا وـسـعـ الله لـكـمـ فـيـرـدـوـنـ عـلـيـهـمـ (قـالـوـاـ بـلـ أـتـمـ لـا مـرـحـبـاـ بـكـمـ  
 أـتـمـ قـدـمـتـمـوـهـ لـنـاـ فـيـبـيـسـ الـقـرـارـ) [ص: ٦٠] حـفـلاتـ الـإـسـتـقـبـالـ وـالـتـوـدـيـعـ وـكـلـمـاتـ التـرـحـيبـ  
 وـالـتـعـظـيمـ وـالـمـوـدـةـ وـالـتوـسـعـةـ فيـ الـمـجـالـسـ فيـ الـدـنـيـاـ تـنـقـلـبـ عـدـاوـةـ وـبـغـضاـ.

المشهد الثاني: الوقوف امام الرب سبحانه وتعالى باستسلام لأمره: قال تعالى: (وَخَشَعَتِ  
 الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هُمْساً) سـكـنـتـ أـصـوـاتـ الـخـلـائقـ لـلـرـحـمـنـ فـلـا تـسـمـعـ لـنـاطـقـ  
 مـنـهـمـ مـنـطـقاـ، رـؤـوسـهـمـ مـنـكـسـةـ اـمـامـ الـمـلـكـ الـحـقـ الـمـبـينـ قـالـ تـعـالـى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ  
 نـاـكـسـوـاـ رـؤـوسـهـمـ عـنـدـ رـبـهـمـ رـبـنـاـ أـبـصـرـنـاـ وـسـمـعـنـاـ فـارـجـعـنـاـ نـعـمـلـ صـالـحـاـ إـنـاـ مـوـقـنـوـنـ)، يـتـبرـأـ  
 بـعـضـهـمـ مـنـ بـعـضـ، وـيـخـذـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ فـلاـ يـنـصـرـ أـحـدـهـمـ الـآخـرـ كـمـ كـانـواـ يـتـناـصـرـونـ  
 فيـ الـدـنـيـاـ عـلـىـ الـبـاطـلـ، قـالـ تـعـالـى: (وَقَفُواـهـمـ إـنـهـمـ مـسـؤـلـوـنـ). مـاـ لـكـمـ لـاـ تـنـاصـرـوـنـ. بـلـ هـمـ

الْيَوْمَ مُسْتَسِلُّمُونَ)، استسلموا لأمر الله تعالى فيهم وقضائه بعد أن عاندوا في الدنيا وغّرّهم جمعهم وقوتهم ونسوا أنّ القوّة لله جمّعاً قال تعالى: (وَلَوْبَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ بَعْدَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّاً الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)، يتبرّاً القادة من الأتباع، والأتباع من القادة، ولا يجتمعون من اجتماعهم في الدنيا على الباطل إلا العذاب والحرسات في نار جهنّم.

قال تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ يُقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنْحُنُ صَدَنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزِئُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سبأ: ٣٤-٣١]

المشهد الثالث: عذابهم في النار وأعدارهم: (يَوْمَ يُثْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يُقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّيِّلا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) (تَلْفُحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ . أَمَّا تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) الم تقرأ عليكم آيات كتاب الله فتكذبون بها بمختلف الحجج الباطلة، كما يقول البعض القرآن محرف، القرآن مبدل، القرآن له تفسير ظاهر وباطن.

ثم يتخاصمون فيما بينهم الاتّباع الضعفاء والقاده المستكبرون (وَإِذْ يَتَحَاجِجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الْمُصْبِعَافَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهُلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) [غافر: ٤٧-٤٨] [بفضل قضائه، فأسكن أهل الجنة وأهل النار لا معقب لحكمه ولا راد لأمره.

ثم يقوم بهم متبعهم الأكبر الذي زين لهم الضلاله خطبياً (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ

الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَّا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ) [ابراهيم: ٢٢]

\* قال تعالى: (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَنْقَافَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَنْقَافَهُمْ وَلَيُسْتَلِنَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [العنكبوت: ١٢-١٣]

المفترون الذين يقولون لا تبعهم اتبعوا طريقنا وفي رقابنا آثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيتك في رقبتي، قال الله تكذيبا لهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون)

عن أبي هريرة، أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىٰ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْوَرِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَثْمِ مِثْلُ أَثْمِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَثْمِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>

هذا الحديث فيه الحث على الدعوة الى المهدى والخير وفضل الداعي والتحذير من الدعوة الى الضلاله والغي وعظم جرم الداعي وعقوبته. فليحذر المسلم ان يكون من دعاة الضلاله الذين يصدون الناس عن دين الله بالمكر والخداع ويدعون الى التحلل والسفور وترك الأحكام الشرعية باسم الحرية الشخصية والفرقة والتحزب باسم الديمقراطية، والى الاهواء والأراء المضادة للشريعة باسم حرية الرأي والتفكير.

اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدین غير ضالين ولا مضلين نتبع نبيک ومن اتبع نبيک نحب بحبک ونتبع سبیل المؤمنین، ونعادی من عادک ونبتعد عن سبیل المجرمین، لا اله الا انت اهدا ما اختلف فيه من الحق باذنك انک تهدي من تشاء الى صراط مستقیم.

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٦٢)، رقم ٦٩٨٠

## ٨٠. العصبية القبلية والقومية سبب هوان الأمة

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَيْرٌ) [الحجرات: ١٣]

كان العرب قبل بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم على قسمين: قسم اتبع الديانات السابقة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. وقسم كانوا على الحنيفة، دين إبراهيم وإسماعيل، لا سيما في الحجاز. وكل هذه الديانات درست آثارها وحرفت وأصبح الناس في جاهليّة عمياً وضاللاً مبين في العبادات والعادات والتقاليد كما وصفهم الله تعالى بقوله: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْذُرُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيُّهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: ٢]

يقول عمر بن الخطاب: "إِنَّمَا تَنْقِضُ عَرَى الإِسْلَامِ عَرُوْةُ إِذَا نَشَأَ فِي الإِسْلَامِ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ الْجَاهِلِيَّةَ". فمعرفة المسلم لسنن الجاهليّة تجعله على بيّنة من أمره حتى لا تدخله سنة من سننها، فعن ابن عباسٍ أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَبْعَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةُ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَلَّبٌ دَمُ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ" (١) - ومن مسائل الجاهليّة وسننها التي ذمّها الله تعالى ورسوله العصبية القبلية وهي أن

يكون الرجل مع قومه أو أقربائه في الحق والباطل كما قال الشاعر الجاهلي:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَرِيَّةٍ إِنْ غَوَّتْ ... غَوِيتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَرِيَّةٌ أَرْشِدِ

أو كما نقول اليوم: أنا وأخي على ابن عمّي وأنا وابن عمّي على الغريب.

بالله عليكم أي فرق بين قولنا وقول الجاهليّة. ومن الناس من يصلي ويصوم ويعمل على أنس الجاهليّة فيتصرّل أخيه أو قريبه ظالماً أو مظلوماً على طريقة الجاهليّة وليس على طريقة الرسول ﷺ، عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَارَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٦)، رقم ٦٨٨٢

مَنْتَهِيَّهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرٌ<sup>(١)</sup> . وَنَهِيَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ دُعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَإِنْ كَانَتْ بِاسْمِ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَعِنْدَمَا قَالَ: الْأَنْصَارِيُّ يَا الْأَنْصَارَ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ  
النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ «مَا بَالُ دَعَوَى أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَالَ ... دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَيْثَةٌ»<sup>(٢)</sup>

- من سنن الجahليّة التفاخر بالأحساب والطعن في الانساب: فعن أبي ذرٍ: «قال إني سأبَيْتُ رجُلًا فَعَيْرَهُ تَهْ بِأَمْمِهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ يَا أبا ذرٍ أَعْيَرَتْهُ بِأَمْمِهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جَاهِلِيَّةً»<sup>(٣)</sup>  
إن الفخر بالآباء والاعتزاز بهم مع عدم صلاحهم قد يكون سبباً للدخول النار التي حذر الله تعالى منها، قال رسول الله ﷺ: «انسَبَ رجُلانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَ تِسْعَةً فَمَنْ أَنْتَ لَا أَمَّ لَكَ قَالَ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بْنُ الْاسْلَامَ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذِينَ الْمُتَسَبِّبِينَ أَمَّا أَنْتَ أَيْمَانُهَا الْمُتَمَمِيُّ أَوْ الْمُتَسِّبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُتَسِّبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>  
إن الفخر بالآباء أو القبيلة أو بالعصبية الجahليّة والطعن في الآخرين، مرض قاتل يشعل العداوة، ويفرق الجماعة ويؤدي إلى تمزق المجتمع ويجعله أحزاباً وطوائف.

\*\*\* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ مُؤْمِنُونَ تَقَوَّى وَفَاجِرُ شَقِّيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعْنَ رِجَالٌ فَخَرُّهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمٍ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونُنَّ أَهْوَانَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفُهَا التَّنَ». <sup>(٥)</sup> (الْعُبَيْيَةُ: الْكَبْرُ وَالنُّخْوَةُ). الْجَاهِلِيَّةُ وَسُنْنَهَا وَالْفَخْرُ بِالآبَاءِ وَالْقَبَائِلِ وَالْأَقْوَامِ إِذَا مَا يُدْعَهُ الْمُسْلِمُ يَهُويُّ بِهِ وَيُجْعَلُهُ شَبِيهًَا بِأَرْذلِ مَخْلوقِ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الْجَعْلُ وَهُوَ دُوَيْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْخَنْفَسَاءِ وَلَهُ جَنَاحَانِ مِنْ شَأْنِهِ جَمْعُ

(١) صحيح البخاري، (ج ٩ / ص ٢٢)، رقم ٦٩٥٢

(٢) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٨٣) رقم ٣٥١٨

(٣) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٥)، رقم ٣٠

(٤) المسند، ج ٣٥ / ص ١١٠)، رقم ٢١٧٨ قال الالباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، ١٢٧٠

(٥) سنن أبي داود، (ج / ٤ / ٤٩٢)، رقم ١١٨، قال الالباني: حسن

النجاسة وادخارها، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش<sup>(١)</sup>. هذا حال من جعل الجاهلية شعارا له يوالي ويعادي عليها!

لقد بين النبي ﷺ أصل الإنسان و منزلته عند الله في حالة فخره بقومه وجاء الإسلام ليحطم هذه السنن ويستبدلها بأخوة الإسلام، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا إِنْتَ نَبِيٌّ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ).

قال النبي ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ » قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « فَلَيُلْعَنَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ »<sup>(٢)</sup>

يقول ابن القيم: "الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزى بعزائهم كالدعاء الى القبائل والعصبية لها وللأنساب ومثله التعصب للمذاهب والطائق والمشايخ وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية وكونه متسببا اليه في دعوه الى ذلك ويyoالي عليه ويعادي عليه ويزن الناس به كل هذا من دعوى الجاهلية"<sup>(٣)</sup>

قال الشافعي: "قد جمع الله الناس بالإسلام، ونسبهم إليه فهو أشرف أنسابهم"<sup>(٤)</sup>. الاسلام رفع الأمة وشرّفها ووضع المسلمين اقدمهم قدماء في الصين وقدماء في الاندلس فلم يكن الاسلام عائقا في تقدم الأمة ونهضتها كما يدعى الغافلون ولكن الأمة ذهبت مكاناتها وتأخرت في كل الميادين عندما تأخرت هي عن الاسلام. اللهم أعزنا بالإسلام وزينا بالإيمان وأكرمنا بالتفوي بفضلك يا كريم.

(١) ينظر، الدميري، حياة الحيوان الكبرى، (ج ١ / ص ٢٨١)

(٢) السلسلة الصحيحة مختصرة، (ج ٦ / ص ٢٠٣)، رقم ٢٧٠٠

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج ٢ / ص ٤٣١)

(٤) الأم، (ج ٦ / ص ٢٢٣)

## ٨١. مكانة المرأة في الإسلام

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: ٢١]

لقد أكرم الإسلام المرأة ورفع مكانتها بين الناس، ومن ذلك أن دين الإسلام أعاد للمرأة إنسانيتها، بعد أن انتهكت حرمتها عند جميع المجتمعات، وكانت تعدد جزءاً من أموال الميراث في الجاهلية فورثها وجعل لها التصرف في مالها بكل حرية، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَنْدَهُبُوا بِعَضٍ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ) [النساء: ١٩] وقال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ إِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) [النساء: ٧]

حرّمت الديانة المسيحية تعدد الزوجات والطلاق، والمذهب الكاثوليكي يحرّم الطلاق تحرّياً باتّاً، ولا يبيح فصم الزواج لأي سبب منها عظم شأنه، والمذهبان المسيحيان الآخران، الارثوذكسي، والبروتستانتي، يبيحان الطلاق في بعض حالات محدودة، من أهمّها الخيانة الزوجية، ولكنّهما يحرّمان على الرجل والمرأة كليهما أن يتزوجا بعد ذلك. والديانة اليهودية تبيح الطلاق بغير عذر بالنسبة للرجل وأمام المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق منها تكن عيوب زوجها. أمّا في الجاهلية كان الرجل يطلق أمراته ما شاء أن يطلقها، وهي أمراته إذا راجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة<sup>(١)</sup>

أمّا في الإسلام فمن يتأمّل النصوص الشرعية يجد عناية الشريعة بالمرأة، ورعاية حقوقها، فالزمت الرجل بالمهر والنفقة واجاز لها اشتراط ما فيه مصلحتها في عقد الزواج، وجعلت أموال الزوجة مستقلة عن أموال الرجل لا يحق له التصرف بها إلا باذنها. وأمرت بالتعامل مع المرأة بالمعروف والإحسان وتكررت ألفاظ المعروف والإحسان والعفو والفضل بين الرجال والنساء كثيراً في القرآن قال تعالى: وقال تعالى:

(١) السيد سابق، فقه السنة، (ج ٢ / ص ٢٤٥)

(وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: ٢٢٨] وقال تعالى: (فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) وقال تعالى: (وَأَتُؤْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ)

والمعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله، والتقرّب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه، من المحسّنات والمبّحات.

والمعروف يشمل الصحبة الطيبة وحسن العشرة لتدوم الرابطة الزوجية بين الزوجين.

وأوصت الشريعة بتقوى الله عز وجل والإحسان بين الزوجين وعدم نسيان الفضل

وبذل العفو والصفح في كل الأحوال حتى في حالة فسخ العلاقة الزوجية وقال تعالى:

(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ٢٣٧]

وقال تعالى: (وَلِلْمُطَّلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة: ٢٤١]

وحذّرت الشريعة أشد التحذير من ظلم المرأة والتعدي عليها، وجعل عقاب من

قذفها ثمانين جلدة فقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةً

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) واعتبر التعدي

عليها تعديا على حدود الله كما جاء في آيات الطلاق يقول الله عز وجل: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

ولقد أخبر النبي صلّى الله عليه وسلم أن خير ممتع الدنيا المرأة الصالحة، عن عبد الله

بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا ممتع، وخير ممتع الدنيا المرأة الصالحة»<sup>(١)</sup>

والمرأة الصالحة التي تعين الرجل على امر دينه خير له من الذهب والفضة كما ارشد

النبي ﷺ، عن ثوبان، قال : لَمَّا نَزَّلْتُ {وَالَّذِينَ يَكْتُرُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} قال : كُنَّا مَعَ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَاحِهِ : أَنْزَلْتُ فِي الْذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَتَسْتَخِذْهُ ؟ فَقَالَ : «أَفْضَلُهُ لِسَانُ ذَاقِرٍ، وَقَلْبُ شَاكِرٍ،

وَزَوْجَةُ مُؤْمِنَةٍ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٤ / ص ١٧٨)، رقم ٣٧١٦

(٢) سنن الترمذى، (ج / ٥ / ص ١٧٢) رقم ٣٠٩٤، وقال: حسن

وأوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَيُتَكَلَّمُ بِخَيْرٍ، أَوْ لِيُسْكُنْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ حَلَقَتْ مِنْ ضِلَاعَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الْضِلَاعِ أَعْلَاهُ، إِنَّ دَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزُلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(١)</sup>

وَجَعَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَالَمَةَ خَيْرَيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَلْقِ مَعَ أَهْلِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ حَيَاةً لِنِسَائِهِمْ»<sup>(٢)</sup>

\* \* \* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرُهُ»<sup>(٣)</sup>. «يَفْرُكُ» مَعْنَاهُ: يُيُغْضُبُ.

حَتَّى الإِسْلَامُ عَلَى حَسَنِ الْعَشْرَةِ وَالصَّحْبَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى سُوءِ خَلْقِ الْمَرْأَةِ، وَأَمْرُ بِالتَّهَامِسِ الْعَذْرِ لَهَا فِي سُوءِ مَعَالِمِهَا، وَفِي كُفَّارَهَا الْعَشِيرِ، فَإِنَّهُ «إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ»، يَعْنِي: لَا يَكُونُ جَمِيعُ أَخْلَاقِهَا سَيِّئَةً بَلْ يَكُونُ فِيهَا خَلْقٌ حَسَنٌ فِي مَقَابِلَةِ الْخَلْقِ السَّيِّءِ، فَلَيُعْفُ عَنْهَا أَفْعَالُهَا غَيْرُ الْمَرْضِيَّةِ لِأَجْلِ أَفْعَالِهَا الْمَرْضِيَّةِ.

مَا مِنْ شَرِيعَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَوْ قَانُونَ وَضَعِعَهُ الْبَشَرُ أَحْسَنَ إِلَى الْمَرْأَةِ مِثْلَهَا أَحْسَنَ لَهَا الإِسْلَامُ الَّذِي أَوْصَى بِهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ لَهَا حَقوقًا كَمَا جَعَلَ لِلرَّجُلِ حَقوقًا وَمَنْعِ منْ ظُلْمِهَا وَالْتَّعْدِي عَلَيْهَا، فَسَبَّحَانَ مَنْ أَنْزَلَ الشَّرِيعَةَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمَيْنِ، وَجَعَلَ أَمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّةً مَرْحُومَةً فَلِهِ الْمَنَّةُ وَلِهِ الْفَضْلُ وَلِهِ الْحَمْدُ وَلِهِ الشَّكْرُ.

(١) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ١٧٨)، رقم ٣٧٢٠

(٢) المسند، (ج ١٢ / ص ٣٦٤)، رقم ٧٤٠٢، قال شعيب الارنؤوط : صحيح واسناده حسن

(٣) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ١٧٨)، رقم ٣٧٢١

## ٨٢. أنواع القلوب

قال تعالى: (أَفَمِ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لُهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج: ٤٦]

لقد تكرر ذكر القلوب في القرآن والسنة عشرات المرات وغفل الكثير من الناس عن تدبر الآيات التي بينت حال القلوب وكيفية المحافظة عليها وإصلاحها. عن التعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...الا وإن في الجسد موضع إذا صلح حصل حرج في الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب»<sup>(١)</sup>

فالقلب ملك الأعضاء كالمائد للجند كلهم يصدرون عن أمره طائعون له لا يخالفونه في شيء من أوامره فإن كان الملك صالحًا كان الجنود صالحين وإن كان فاسداً كان الجنود فاسدين.

والقلوب ثلاثة أنواع: صحيح، وسميم، ومتى، كما ذكرها الله تعالى في القرآن وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحُقْقُ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} فذكر القلب المريض وهو الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه فهذا القلبان شقيان معذبان ثم ذكر القلب المختب المطمئن إليه وهو الذي يتفع بالقرآن ويزكي به<sup>(٢)</sup> القلب الصحيح وهو القلب السليم: قال تعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، أَيْ سليمٍ من الكفر والشرك والنفاق والرياء والحسد والغش وال默ك والخداع والبخل والشح). سلم من كل شهوة تعارض أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سوى الله ومن تحكيم غير شرعيه.

ومن علامات القلب السليم: الإخلاص والمتابة: أن يكون مخلصاً لله متابعاً للرسول. فيحرص على الإخلاص في عمله لا يتغى به غير وجه الله ويعمل لأن الله يراه ويشهد مع

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٢٠)، رقم ٥٢

(٢) ينظر، ابن القيم، أغاثة الهاهن من مصادف الشيطان، (ج ١ / ص ٧)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٠٦)

ذلك منه الله عليه وتقديره في حق الله. فالقلب السليم متعلق بالله تعلق المحب المضطرب إلى محبوبه، هو الذي همه كله في الله وحبه كله له وقصده له وبدنه له وأعماله له ونومه له ويقطنه له وحديثه له، والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابيه. عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبُلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن علامات صحته ان لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسام من خدمته ولا يأنس بغيره وإذا فاته ورده وجد لفواته المأعظم من تألم الحريص بفوائط ماله وفقده، وان يكون همه واحدا وأن يكون في الله وان يكون اشح بوقته ان يذهب ضائعا من أشد الناس شحبا بهاله فلا حياة للقلب ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، قال بعض العارفين: مساكين أهل الدين خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل: وما أطيب ما فيها قال: محنة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتعمّم بذكرة وطاعته. وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته.

ومن علامات صحته الارتحال عن الدنيا والإقبال على الآخرة: أن يرتحل عن الدنيا وينزل بالأخرة حتى يحل فيها كأنه من أهلها وأبنائها جاء إلى هذه الدار غريبا يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَالِيٌ وَلِلدُّنْيَا مَا مَثِيلٌ وَمَثُلُ الدُّنْيَا الْكَرَاكِبُ سَارَ فِي يَوْمٍ صَافِئٍ فَاسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةً سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(٢)</sup>. هذا حال من يحمل أشرف وأطهر قلب في البشرية كلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ربي أصحابه على طهارة القلوب وعدم الأخذ من الدنيا إلا بقدر زاد المسافر يأخذ من الزاد حسب حاجته التي تبلغه سفره.

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مَدْبُرَةً وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مَقْبَلَةً وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا»

(١) سنن النسائي، (ج ٦ / ص ٢٥)، رقم ٣١٤٠، وقال الالباني حسن صحيح

(٢) المسند، (ج ١ / ص ٣٩١)، رقم، ٣٧٠٩، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح

فإنّ اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل". وكلّما صحّ القلب من مرضه ترّحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها وكلّما مرض القلب واعتلّ أثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها.

**القلب الميت:** وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربّه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربّه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضى ربّه أم سخط، فهو متبع لغير الله: حباً، وخوفاً، ورجاءً، ورضاً، وسخطاً، وتعظيمياً؛ وذلك إن أحبّ أحبابه، وإن أبغضه أبغضه لهواه، وإن أعطى أعطاً لهواه، وإن منع منع لهواه. فهو أثراً عنده وأحب إلّيه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائد، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالتفكير في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور. ينادي إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مرید. الدنيا تسخّطه وترضيه. والهوى يصمّه عما سوى الباطل ويعمّيه<sup>(١)</sup>

ومن علامات موت القلب أنه لا يعرف معرفة ولا ينكر منكراً بل ربما ينقلب عنده المعروف منكراً والمنكر معروفاً فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر" وقد وصفه الله تعالى بالقسوة، والقلب إذا قسا لا يتأثر بالقرآن. يقول تعالى عن اليهود [فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّيثاقَهُمْ لَعَنَّا هُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً] [المائدة: ١٣]

وكثير من الخلق في زماننا قلوبهم ميتة، والدليل أنّهم انقلب عندهم المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فمثلاً ينكرون على صاحب الثوب القصير وهو من المعروف ولا ينكرون على صاحبة الثوب القصير التي تظهر ساقيها وهو من المنكر، بل في أحياناً كثيرة لا ينكرون حتى الكفر بالله سبحانه وتعالى وإذا أنكرت أنت صاحب القلب السليم على من يسبّ الله عزّ وجلّ يكونون معه ضدّك ويقولون لك أنت محام لرب العالمين؟

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، (ج ١ / ص ٩)

**القلب المريض:** فيه من محبة الله تعالى، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته ونجاجاته. وفيه من محبة الشهوات وإيشارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر ما هو مادة مرضه وعطبته، وهو متحزن بين داعين:

داع يدعوه إلى الله والدار الآخرة، داع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يحب أقربها منه باباً، وأعلاهما صوتاً، وأكثرها حضوراً. قال تعالى عن المنافقين: (مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ يُصْلِلُ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) [ النساء: ١٤٣]

وعلامة مرض القلب: أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته وما لجرح بميت إيلام.

وكذلك عدوله عن الغذاء النافع والدواء النافع له وهم القرآن والسنة إلى الأغذية الضارة كالغناء والشعر الماجن. وأنفع الأغذية غذاء الإيمان وأنفع الأدوية دواء القرآن وكل منها فيه الغذاء والدواء. وقد يمرض القلب ويشتدد مرضه ولا يعرف به صاحبه لاستغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها بل قد يموت وصاحبها لا يشعر بموته.

\*\* قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو اللَّهُ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لَا يُحِيطُكُمْ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بَيْنَ الْمُرِئَ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأفال: ٢٤]

صلاح القلب وسعادته وفلاحة هو بالاستجابة لما جاء به الرسول ﷺ. وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور وهذا من أحسن التشبيه فإن أبدانهم قبور لقلوبهم فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم فقال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلَا  
الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنَّتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) [فاطر: ٢٢]

كان من دعاء النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:  
«اللَّهُمَّ اجْعِلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ  
يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَاجْعِلْ لِي نُورًا»<sup>(١)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٦٩)، رقم ٦٣١٦

## ٨٣. العلم حياة القلوب

قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ١٨]

لقد أمر الله تعالى بطلب العلم ورَغَب فيه وجعل منازل العباد في الدنيا بقدر علمهم ومنازلهم في الآخرة بقدر عملهم بعلمهم فقال تعالى: (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفَّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأحقاف: ١٩]

قال الإمام أحمد: "الناس إلى العلم، أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأنّ الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه"<sup>(١)</sup> العلم يورث المعرفة بالله واسمائه وصفاته وأفعاله وهذه اجل علوم الدين كلها، فمعرفته اجل المعارف، وإرادة وجهه اجل المقاصد، وعبادته اشرف الأعمال والثناء عليه بأسماه وصفاته ومدحه ومجده اشرف الأقوال.

والعلم يورث ثلاثة أشياء بها صلاح القلوب وطمأنيتها وهي محبة الله ورجاؤه وخوفه. فالعلم يؤدي إلى معرفة الحق والإيمان به والعمل به قال تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [سبأ: ٦] والعلم يورث الرفعة والدرجات العليا عند الله تعالى: (يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: ١١]

والعلم يورث الخوف من الله تعالى فأكثر الناس خشية من الله عز وجل هم العلماء به وبدينه قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر: ٢٨]

ولا يصح العمل إلا بالعلم فالعلم مقدم على العمل وقد أفرد البخاري رحمه الله في صحيحه بباب سمه باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ٤٧٠)

اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقْلِبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد: ١٩]  
فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ «وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخْدَهُ أَخْذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>

والكافر الذين لا علم لهم ولا إيمان تجدهم في ظلمات بعضها فوق بعض قال تعالى:  
(اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٢٥٧]  
والعلم لا يأتي إلا من طريقين ارتضاهما الله تعالى هداية الناس وهو الكتاب والسنة وكل  
الطرق للهداية مسدودة وتؤدي إلى الضلال إلا من هذين الطريقين قال تعالى: (فَبَشِّرْ  
عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا  
الْأَلْبَابِ) [الزمر: ١٧-١٨]، وأحسن القول هو كلام الله تعالى ثم كلام رسوله صلى الله  
عليه وسلم، قال تعالى: (اللهُ نَرَأَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْسِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ  
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ  
يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ) [الزمر: ٢٣]

وجعل كتابه روحًا يحيي به القلوب، ونورًا يهدي به من يشاء من عباده فقال تعالى:  
(وَكَذِلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَا  
نُورًا مُهَدِّي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢]  
فجمع بين الروح الذي تحصل به الحياة، والنور الذي تحصل به الأضاءة والاشراق،  
وأنبأ أن كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم متضمن للأمررين، فهو روح  
تحيا به القلوب، ونور تستضيء وتشرق به، كما قال تعالى: (أَوْمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلَنَا  
لَهُ نُورًا يَمْسِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثُلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذِلِكَ زُيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ١٢٢]، أي أو من كان كافرا ميتاً للقلب، مغموراً في ظلمة الجهل

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٢٤)، باب العلم قبل القول والعمل

فهديناه لرشده، ووفقناه للإيمان، وجعلنا قلبه حياً بعد موته، مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته<sup>(١)</sup>.  
الوحي روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الهدى فأتباعهم هم الحياة والهدى ومخالفوه هم الموت والضلال.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور  
 \*\*\* قال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 تَعْمَلُونَ خَيْرًا) [المجادلة: ١١]

ذكر الله تعالى رفعة الدرجات في القرآن في أربعة مواضع ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح والرابع الرفعة بالجهاد (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلّاً وعد الله الحسني وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) [النساء: ٩٥] فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بها قوام الدين<sup>(٢)</sup>

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنّة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطريق العِلْمِ وإن العالم ليس يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جحوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر»<sup>(٣)</sup>

اللهم نسألك أن تحبّي قلوبنا بالعلم وتعيننا على العمل به وثبت قلوبنا على دينك وطاعتك لا إله إلا أنت العليم الحكيم تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

(١) ينظر، ابن القيم، إغاثة اللھفان من مصائد الشیطان، (ج ٥ / ص ٢)

(٢) ينظر، ابن القيم، مفتاح دار السعادة، (ج ١ / ص ٥١)

(٣) سنن أبي داود، (ج ٣ / ص ٣٥٤)، رقم ٣٦٤٣، وقال الالباني: صحيح

#### ٨٤. محرّكات القلوب في السير إلى الله (الحب والرجاء والخوف)

قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُجْبِيُهُمْ كَحْبُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة: ١٦٥]

القلب يسير إلى الله ويريد أن يصل إليه ليفوز برضاه وجنته وهذا المسير لا يصلح إلا بثلاثة أشياء هي محرّكات القلب ودوافعه للسير بلا توقف هي حب الله، ورجاؤه، وخوفه، ووصف الله تعالى بها خواص خلقه الأنبياء قال تعالى: (فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَخْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠] فمحبة الله تعالى تجعلهم يسارعون في عمل الخير إرضاء لمن يحبونه ويدعون الله تعالى رغبة بما عنده من الثواب وهذا هو الرجاء، ويسألون الله تعالى المعافاة من العقاب وهذا يمثل الخوف.

يقول شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: "فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبدا ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه"<sup>(١)</sup>

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر فالمحبة هي المركب والرجاء حاد والخوف سائق والله الموصى به منه وكرمه"<sup>(٢)</sup>

محبة الله: لقد تنوع الناس في المحبوبات فمنهم من غالب عليه حب الأموال والأثاث، ومنهم من غالب عليه حب الديار والأوطان، ومنهم من غالب عليه حب

(١) مجموع الفتاوى، (ج ١٥ / ص ٢١)

(٢) مدارج السالكين، (ج ١، ص ٥١٧)

النساء والولدان، قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطِرَةِ مِنَ الدَّهْبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحُرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران: ١٤]، أما المحبون الصادقون فقد غلب عليهم حب الله سبحانه وتعالى وقدّموه على كل المحبوبات الأخرى التي تناقض حبه في قلوبهم قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّهِ) [البقرة: ١٦٥]

ولا يجد القلب حلاوة الإيمان إلا إذا كان فيه حب الله ورسوله أعلى من كل شيء، فعن أنسٍ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثٌ منْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمُرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ يَكُرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرُهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>

يقول ابن رجب: رحمه الله<sup>(٢)</sup>: "ومعنى الحديث، هو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبتة تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه"

وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَكَتَعْسَاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ) [محمد: ٨-٩] والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكرورهات، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى بما يرضي الله ورسوله ويُسخط ما يُسخطه الله ورسوله، وأن يعمل بجواره بمقتضى هذا الحب والبغض.

فأصل العبادة: حب الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه

(١) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ١٢)، رقم ١٦

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (ج ٤١ / ص ٣)

رسوله عليهما عليهما، وشاهدا من ادعاهما.  
فعمد اتباع الأمر واجتناب النهي تبين حقيقة العبودية والمحبة، وهذا جعل تعالى اتبع  
كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه،  
من تمام محبته وليس محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه وإذا  
سواء، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله ولائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم

والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوت لا يحصيه الا الله فيبين محبة الخليلين  
ومحبة غيرهما فرق شاسع لا يعلمه الا الله، فهذه المحبة هي المحبة التي تلطف السير  
وتحفف التكاليف وتسخن البخل وتشجع الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس  
وتطيب الحياة على الحقيقة لا محبة المحرمات.

\*\* قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَحْسِنُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

هذه هي المحبوبات التي تنافس حبَّ الله في القلب، فكل من قدم طاعةً أحدٍ من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحدٍ منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاه أحدٍ منهم على مرضاه الله ورسوله، أو خوف أحدٍ منهم ورجاءه والتوكُل عليه على خوف الله ورجائه والتوكُل عليه، أو معاملة أحدٍ منهم على معاملة الله فهو من ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهُما، وإن قاله بلسانه فهو كذبٌ منه، وإن بُخَلَفَ ما هو عليه، وكذلك من قدم حكم أحدٍ على حكم الله ورسوله، فذلك المقدم عنده أحبٌ إليه من الله ورسوله<sup>(١)</sup>. وكُم من مدِّعٍ للْمُحَجَّةِ كذباً شغلته هذه المحبوبات عن الذهاب إلى الصلاة حين يسمع الأذان، وصدتته عن الذهاب للحج، ومنعه حبُّ المال من اعطاء الزكاة واداء الحقوق، وأخرته عن الجهاد وصلة الرحم، اللهم اجعلنا من المحبين الصادقين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ١١٩ - ١٢٠).

## ٨٥. الرجاء لفضل الله

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران: ٢١٨]

الرجاء: هو النّظر إلى سعة رحمة الله، والرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير وقيل: هو الاستشارة بجود وفضل رب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه والفرق بينه وبين التمني أنّ التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحب طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون معبذل الجهد وحسن التوكّل. ولهذا أجمع العارفون على أنّ الرجاء لا يصح إلا مع العمل<sup>(١)</sup>

وإذا تحلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طمعه وسار إلى ربّه وحادي الرجاء يحدو ركب سيره. وكلّا قوي الرجاء جدّ في العمل كما أنّ الباذر كلّما قوي طمعه في المغل غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر<sup>(٢)</sup>.

ورغب الله سبحانه وتعالى بالرجاء المفضي إلى رحمته ومغفرته، عن أنس بن مالاٰءِ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لآتتني بقرارها مغفرة»<sup>(٣)</sup>

وأرشد الله تعالى من يرجو لقاءه إلى أمرتين هما الإخلاص والعمل الصالح فقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

(١) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ٣٥)

(٢) الفوائد، ص ٧٠

(٣) الترمذى، سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٥٤٨)، رقم ٣٥٤٠، قال الالباني: صحيح

عَمَّا صَاحِحَا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

والقدوة في الرجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١] وصحابته عليهم السلام، الذين وصفهم تعالى بالرجاء وزكاهم، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ)، وأمر بالاقتداء بهم فقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [المتحنة: ٦]

قال علي بن أبي طالب: لا يرجون عبد إلا ربّه ولا يخافن عبد إلا ذنبه.

ولا يرجو الله إلا عالم به عالم بنفسه عالم بالنّاس، ولا يرجو غير الله إلا جاهل بنفسه جاهل بالنّاس، قال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَاتِنُ آنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَاتِنًا يَخَذِّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَاب).

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم

الفأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتَلْوُنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ. لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر: ٢٩ - ٣٠]

والثالث: رجل متهدٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب، قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)، قال مجاهد "لَا يُبَالُونَ الْحِسَابَ، وَلَا يَخَافُونَهُ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْغَيْبِ وَالْبَعْثِ". فهو لاء أو عدهم الله تعالى

(١) صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ١٦٥)، رقم ٧٤١٢

بالعذاب. (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ. أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يونس ٨-٧]، هؤلاء المعرضون الغافلون الذين لا يتوقعون لقاء الله ولا يطمعون في ثوابه مصيرهم النار بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب بالمعاد.

\* قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْتَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣]

قال علي بن أبي طالب وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن. وقال الشوكاني: لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً: أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم. ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي. ثم عقب على ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة. ثم جاء بها لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ. فالآلف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، فهو في قوة إِنَّ اللَّهَ يغفر كل ذنب كائنا ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك. ثم لم يكتفي بما أخبر به عباده من مغفرة كُلْ ذنب، بل أكد ذلك بقوله (جَمِيعاً) فيما من بشاره ترتاح لها النفوس. وما أحسن تعلييل هذا الكلام بقوله: (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(١)</sup>  
 عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبي أيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلَا تكثني إلى نفسي طرفة عين، وأصلاح لي شأنى كُلُّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنت»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري، ج ٩ / ص ٢٣٥)، رقم ٧٤٥٣

(٢) المسند، (ج ٣٤ / ص ٧٥)، رقم ٢٠٤٣٠، قال الالباني: حسن، الجامع الصغير، رقم ٣٣٨٨

## ٨٦. الخوف من الله

قال تعالى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَيْعُزُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [النور: ٣٧]

من عبادات القلوب ومحركاتها إلى الله تعالى والتي لا غنى للعبد عنها هو الخوف من الله عز وجل. ومتى خلا القلب من خوف الله تعالى فلا يستقيم على أمر أو نهي ولا يُرجى منه خير. قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبا إلا خرب. وكلما كان العبد بالله أعرف وله أقرب زاد خوفه منه سبحانه وتعالى وكلما كان العبد جاهلا بالله ويعيدها تحرجاً على معصيته. كلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد ربّه، فأعرف الناس أخشاهم الله ومن عرف الله أزداد منه حياءً وخوفاً وله حبّاً، وأعرف العباد بالله رسوله عليه السلام إذ يقول: «فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خُشْيَةً»<sup>(١)</sup>، وقال: وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجَازُونَ إِلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>

الخوف من الله من صفات الملائكة قال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ)

ومن صفات المؤمنين: (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [النور: ٣٧]

عن عائشة، زوج النبي عليهما السلام قال: سألت رسول الله عليهما السلام عن هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)، قالت عائشة: أَهُمُ الَّذِينَ يَسْرُبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قال: «لَا يَا بُنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ

(أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَمَّا سَابِقُونَ) [المؤمنون: ٦١]<sup>(٣)</sup>

والخوف من الله يورث شجاعة أمام العدو عندما يحبن الناس والخوف يحجز عن

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٢٦)، رقم ٦١٠١

(٢) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٥٥٦)، رقم ٢٣١٢، وقال الالباني: حسن

(٣) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٣٢٧)، رقم ٣١٧٥، وقال الالباني: صحيح

القتل ويمنع من الزّنا ومن أكل المال الحرام ويمنع من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم.

**أنواع الخوف:** النوع الأول: الخوف الواجب من الله وهو الخوف الذي يحملك على فعل المأمورات، واجتناب المنهيّات والمحظورات. وهذا الخوف يجب أن يكون مقتربنا بالرجاء والمحبّة، فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله، لأنّ القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله ينافيان التوحيد، قال تعالى: (أَفَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَ اللَّهَ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) (قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الظَّالِمُونَ) (١).

النوع الثاني: الخوف المحرّم الذي يدخل في الشرك الأكبر: وهو الخوف الذي يكون معه عبادة لغير الله أو ترك لما أوجب الله. ومعناه: أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام والأوثان وما عبد من دون الله، من القبور والحجر والشجر، أو يخاف الشياطين والجنّ، ويتقرّب إليهم بما يحبّون من الشرك بالله من أجل أن يسلّم من شرّهم، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة، والله سبحانه وتعالى ذكر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشَرَّكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشَرَّكُتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْثُرُ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، ونهى سبحانه وتعالى عن هذا الخوف وأخبر أنه من الشيطان فقال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أُولَيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي يخوفكم بأوليائه.

النوع الثالث: الخوف المذموم الذي يدخل في الشرك الأصغر: أن يترك الإنسان ما أوجب الله عليه من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر خوفاً من الناس فهذا شرك أصغر، وهو محظوظ، أمّا الذي ليس عنده استطاعة فهذا معدور.

النوع الرابع: الخوف الطبيعيّ: الذي ليس معه عبادة للمخوف ولا ترك لواجب، كأن يخاف الإنسان من العدوّ، يخاف من السّبع، فهذا الخوف خوف طبيعيّ لا يُلام عليه

---

(١) عبد القادر محمد عطا، المفيد في مهام التوحيد، (ج ١ / ص ١٢٥)

الإنسان لأنّه ليس عبادة وليس تركاً لواجب، ولا يُؤاخذ عليه الإنسان، وموسى عليه السلام لما تأمر عليه الملائكة ليقتلواه وأنذر أن يخرج من البلد، قال تعالى: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [القصص: ٢١]

\* قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر: ٢٨]

العلم يورث الخشية من الله والخشية التي هي أخص من الخوف فهي خوف مقررون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَقَى»<sup>(١)</sup>، قال ابن مسعود "وكفى بخشية الله على وبالاعتراض بالله جهلاً" ، وقال رجل للشعبي: أيها العالم فقال: "لست بعلماء إنما العالم من يخشى الله" وكل من خشيته فأطاعه بفعل أوامرها وترك نواهيه فهو عالم.

يقول ابن القيم: "ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف وهو ينشأ من ثلاثة أمور: أحدها: معرفته بالجنابة وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأنَّ اللَّهَ رَتَّبَ عَلَى الْمُعْصِيَةِ عَقُوبَتِهِ.

والثالث: أنَّه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب. ف بهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه، فإنَّ الحامل على الذنب إما أن يكون عدم علمه بقبحه، وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع له الأمران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة، وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان، فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وحاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه. هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد"<sup>(٢)</sup>

اللهم إنا نستعينك، ونستغفر لك، ونشي عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولوك نصلّى، ونسجد، وإليك نسعى ونحلف، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكافر ملحق.

(١) صحيح مسلم، (١٣٨)، رقم ٢٦٤٩

(٢) طريق المجرتين وباب السعادتين، (ص: ٤٢٤)

## ٨٧. مفسدات القلوب

قال تعالى: (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ。 الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ。 وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِ أَثِيمٍ。 إِذَا تُنْلِي عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ。 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين: ١٠ - ١٤]

اعلم أنَّ القلب يسير إلى الله عزَّ وجَّلَ والدار الآخرة، وهناك قواطع للطريق تقطع عليه سيره وتضعف قواه كلَّها، وتهون صحته وتفتر عزيمته، وتوقف همته، وتنكسه إلى ورائه، فهي عائقه له عن نيل كماله. قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له.

وهذه خمسة أمور حائلة بين القلب وبين الهدایة والوصول إلى ربِّه، عائقه له عن سيره، ومحنة له أمراضًا وعللًا إن لم يتداركها المريض خيف عليه منها.

### أولاً: مخالطة الناس الأشرار

لقد حذرَ الله تعالى من صديق السوء الذي يصل صاحبه إلى الهاك والندم قال تعالى:

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي احْجَدْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) [الفرقان: ٢٧]

(الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْصُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا مُتَّقِينَ) [الزخرف: ٦٧]

فكُلُّ متساعدين على باطل، متواطين عليه لا بد أن تقلب مودتهم بغضها وعداؤه في الدنيا والآخرة.

وحذرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ -عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخَ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَيِّثَةً»<sup>(١)</sup>

وحذرَ منه الأنبياء والحكماء والعلماء فالصديق له تأثير أكثر من أقرب الأرحام

(١) صحيح البخاري، (ج ٧ / ص ٩٦)، رقم ٥٥٣٤، صحيح مسلم، (ج ٨ / ص ٣٧)، رقم ٦٨٦٠

قال ابن عباس: الصديق أوكد من القريب ألا ترى استغاثة الجنّميين حين قالوا (فَمَا كُنَّا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقِ حَمِيمٍ)، ولم يستغثوا بالآباء والأمهات. والضابط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في الخير كالجامعة والجماعة، والأعياد والحجّ، وتعلم العلم، والجهاد، والتّصيحة وأعمال الخير ويعتزّ لهم في الشرّ، وإن اضطرب إلى مجالستهم فليكن حاضر البدن غائب القلب مشغول بالذكر.

### ثانياً: ركوبه بحر التمني

وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل: إنّ المني رأس أموال المفاليس... وهي بضاعة كلّ نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همة عالية، واختلف الناس في أماناتهم وكلّ بحسب حاله فمنهم متمنّ للسلطان، أو للأموال أو للنساء أو التطواف في البلدان. وصاحب اهمة العالية أمانة حائمة حول العلم والآيات والعمل الذي يقربه إلى الله، ويدنيه من جواره في جنته ومرافقه أوليائه. فأمانة هذا إيمان ونور وحكمة، وأمانة أولئك خدع وغرور، وأمانة الأنبياء ومن تعهم قوّتهم، قال تعالى: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَلَحْقَنِي بِالصَّالِحِينَ . وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صِدْقٍ فِي الْأَخْرِينَ.

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) [الشعراء: ٨٣-٨٥]

### ثالثاً: التعلق بغير الله تبارك تعالى

أساس الشرك وقادته التي بُني عليها التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) [الإسراء: ٢٢]، مذموما لا حامد لك، مخذولا لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهورا محمودا كالذي قهر بياطلا، وقد يكون مذموما منصورا، كالذي قهر وتسليط عليه بياطلا، وقد يكون محمودا منصورا كالذي تمكّن وملك بحقّ، والشرك المتعلق بغير الله قسمه أردا الأقسام الأربع، لا محمود ولا منصور، وهذا أعظم مفسداته على الاطلاق، فليس عليه أضرّ من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحة وسعادته منه، فإنّه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به،

وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبيه من الله حصل، ولا إلى ما أمله من تعلق به وصل.

#### رابعاً: الغذاء أصله وكميته

لا بد من العلم أن القلب عندما يغذى بالمحرمات لا يمكن أن يصلح وهي نوعان: محّمات لحق الله، كالمية والدم، ولحم الخنزير والخمر والدخان، ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغضوب والمنهوب، وما أخذ بغير رضا صاحبه، إما قهرا وإما حياء وتذمما، كالرشوة وهدايا العمال والموظفين. وهؤلاء لا يصلحون ولا تصلح ذريتهم ولا يجنون منهم إلا العقوب.

والثاني: ما يفسده بقدره وتعدي حدّه كالإسراف في الحلال والشّبع المفرط فإنّه يُثقلُ عن الطاعات قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ).

عن مقدام بن معدى كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما ملأ آدميّ وعاءً شرّا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: النّوم

فإنّه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة العفلة والكسل، ومنه المكروره جدا، ومنه الضارّ غير النافع للبدن، وأنفع النّوم ما كان على سنة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو نوم أول الليل، ونوم وسط النّهار ولا ينفع نوم أول النّهار أو بعد العصر أو بعد غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء.

وكما أنّ كثرة النّوم مورثة لهذه الآفات، فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرى ويورث أمراضًا متلفة لا يتتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها، وما قام الوجود إلا بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجتمع الخير، وبالله المستعان<sup>(٢)</sup>

(١) سنن الترمذى، (ج / ٤ / ص ١٨)، رقم ٢٤٨٦، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح

(٢) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٥٧)

وأغلب الناس اليوم يحملون هذا المفسد للقلب بحيث انقلبت عندهم الفطرة يسهرون طول الليل على الفضائيات والانترنت وعند أذان الفجر ينامون ويستمرون بالنوم طول النهار، فكيف تصلاح القلوب وهي تحمل آفة فسادها ومرضها؟

\* قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧]

عَنْ أَبِي كَبِشَةَ الْأَمَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثُلُ هَذِهِ الْأَمَةِ، كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَنْحِبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءُ»<sup>(١)</sup>.

لقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم متمنّى الخير غير المستطيع له، وجعل أجره في بعض الأشياء كأجر فاعله، وذم متمنّى الدنيا غير المتمكن منها الذي يتمنى العمل بالمعاصي إذا تمكن منها وجعل وزره كوزر عامل المعصية.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَهُ جَعَلَ اللَّهُ عِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةُ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقَرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِرَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>

يا مقلّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

(١) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٤١٣)، رقم ٤٢٢٨، وقال الالباني: صحيح

(٢) سنن الترمذى، (ج ٤ / ص ٢٢٤)، رقم ٢٤٦٥، وقال الالباني: صحيح

## ٨٨. المحبة

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم: ٩٦] المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشقاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأقسام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، تالله لقد ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة وهم الفائزون في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>

المحبة ثلاثة أقسام محبة الله والمحبة له وفيه والمحبة معه فالمحبة له وفيه من تمام محبته ومحباتها لا من قواطعها فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاته ربه ويتوصل به إلى حبه وقربه وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِلَّهِ} وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة فإن المشركين لم يزعموا أن آهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا هذه آلة صغار تربينا إلى الإله الأعظم ففرق بين محبة الله أصلاً والمحبة له تبعاً والمحبة معه شركاً وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك.

المحبة بين طرفين طرف محبة العبد لربه، وطرف محبة الرب لعبد، وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محبّاً لله فليس الشأن أن تحبّ الله ولكن الشأن أن يحبّك الله فمن أحبه الله ألقى عليه محبة الناس كما قال تعالى لموسى: (وَأَقْيَتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِي وَلَتُتَضَّعَّ عَلَى عَيْنِي) [طه: ٣٩]، فمن أحبه الله حبيبه إلى خلقه، قال عليه السلام: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ:

(١) ينظر، روضة المحبين، في علامات المحبة وشواهدها، (ص: ٢٩٣)

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>، وتحبه الأشجار والأحجار والجحادات، قال صلي الله عليه وآله وسلم عن جبل أحد: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»<sup>(٢)</sup>

كثر المدعون للمحبة ومن كل الطوائف قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) [المائدة: ١٨]، وادعى أهل الأموال محبة الله لهم، فطولبوا بالبينة على صحة الدعوى، قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله آية المحنة (قُلْ إِنْ كُوْنُمْ يُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحِبِّيْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران: ٣١]، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول، وفائتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه.

وأتباع النبي صلّى الله عليه وسلم الذين يحبّهم الله ويحبّونه فيهم أربع صفات جمعت في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةً لَا إِمْرٌ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ) [المائدة: ٥٤]

لهم أربع علامات أحدها: أئمّهم (أَذْلَلٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أرقاء، رحماء مشفقون على أهل دينهم. عاطفون عليهم. قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده.

الثانية: (أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) قال ابن عباس: وهم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته. وهذه صفة الصحابة رضي الله عنهم: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩]

العلامة الثالثة: (يُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، الجهاد في سبيل الله، جهاد النفس والشيطان

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١١١)، رقم ٢٣٠٩

(٢) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٠٣)، رقم ٤٠٨٣

والكفار والمنافقين وجihad الكفار بالسيف وجihad المنافقين باللسان ومن لم يجاهد نفسه وشيطانه لم يجاهد عدوه.

العلامة الرابعة: (وَلَا يَحْافُونَ لَوْمَةً لَا إِمْ)، أَنْهُمْ لَا تأخذهم في الله لومة لائم. هذا شأن أتباعه من بعده إلى يوم القيمة لا تأخذهم في متابعة سنته لومة لائم ولا يثنى لهم عنها عذل عاذل فهم يحتملون في متابعته والاهتداء بهديه لوم اللائمين وطعن الطاعنين ومعاداة الجاهلين. وهذا علامه صحة المحبة فكل محب يأخذ اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة.

\* قال تعالى عن موسى: (وَعِجلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرْضِي) [طه: ٨٤]  
 قال نبينا صلى الله عليه وآلـه وسلم: «مَنْ أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ لِقاءً هُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ  
 اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءً هُ»<sup>(١)</sup>

حب العبد لربه يورثه الشوق له والمسارعة إلى لقائه ومحبة رؤيته وسروره بالقرب منه والأنس به رغبة إليه ورهبة منه خاشعين له (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا  
 رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاسِعِينَ) [سورة الأنياء: ٩٠]

ولذلك رغب النبي صلى الله عليه وسلم بالتبشير للصلوة فقال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ  
 وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَمَثْلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهُدِي  
 بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهُدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشاً، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْأَمَامُ طَرَوْا  
 صُحْفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْر»<sup>(٢)</sup>

المصلي مناج لربه في صلاته، فأفضل المناجين له أسرعهم إجابة لداعيه، وقياما إلى مناجاته، ومبادرة إليها في أول الوقت.

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٦)، رقم ٦٥٠٨

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ١١) رقم ٩٢٩، مسلم (ج ٣ / ص ٧)، رقم ٢٠٢١

## ٨٩. الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: التقرب إلى الله بالفرائض والنواقل

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

[تُفْلِحُونَ] [الحج: ٧٧]

المحبة متنهى القرابة والاجتهاد ولن يسام المحبون من طول اجتهادهم الله عز وجل ومحبونه ويحبون ذكره ويحبونه إلى خلقه يمشون بين خلقه بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله وأحبابه وصفوته أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائهم<sup>(١)</sup>. ولا يحصل ذلك إلا بتحقيق الأسباب الجالبة للمحبة ومنها:

إنّ من أحبّ الأشياء إلى الله تعالى التي يحبّ أن يتقارب بها إليه هي الفرائض ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى أن يتقارب إليه عبده بالنّواقل، فكلّما أكثر من النّواقل كلّما

قرب من محبة الله له كما جاء في الحديث القدسيّ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَذْنَتُهُ بِالْحُرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحِبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَا عِيَّدَنَهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدْتُ عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمُوتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»<sup>(٢)</sup>

فتضمّن هذا الحديث الشريف الإلهي حصر أسباب محبتة في أمرتين: أداء فرائضه، والتقارب إليه بالنّواقل، وأخبر سبحانه أنّ أداء فرائضه أحبّ ما يتقارب به إليه المتقربون، ثمّ بعدها النّواقل، وأنّ الحبّ لا يزال يكثر من النّواقل حتى يصير محبوباً لله.

قال ابن القيم: "ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محاباه، حصلت موافقة الرب لعبد في حوالجه ومطالبه، فقال: «ولئن سألي لأعطيته، ولئن استعاذه لأعيذه». أي: كما

(١) جامع العلوم والحكم، (ص: ٨١)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٠٥)، رقم ٦٥٠٢

وافقني في مرادي بامتثال أوامرني والتقرب بمحابي، فأنا أواافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعله به، ويستعيذني أن يناله، وقوى أمر هذه الموافقة من الجانين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في إماتة عبده لأنّه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكره عبده، ويكره مساءته<sup>(١)</sup>

وأفضل الفروض هي أركان الإسلام وأولها بعد الشهادة الصلاة، أمّا نوافل الصلاة الثابتة عن النبي صلّى الله عليه وسلم السنن الرواتب أي السنن قبل الصلوات وبعدها وجاءت في حديث عائشة عن عبد الله بن شقيق قال: "سأّلتُ عائشةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَطْوِعِهِ فَقَالَتْ كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظَّهَرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمُغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ" ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا»<sup>(٢)</sup>

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّيتُمْ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَصَلُّوْا أَرْبَعًا»<sup>(٣)</sup>

أمّا النّوافل من غير السنن الرواتب والثابتة عن النبي صلّى الله عليه وسلم فهي صلاة الضحى وصلاة الوتر، وهدي النبي صلّى الله عليه وسلم، فعل عامّة السنن والتطوع في بيته، إلا الخسوف والكسوف والجنازة والاستسقاء.

ونوافل الصيام، صيام يوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وستة أيام من

(١) الجواب الكافي، (ص ١٨٧)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٢ / ص ٥٣)، رقم ١١٤٧

(٣) صحيح مسلم، (ج ٣ / ص ١٦)، رقم ٢٠٧٤

شوال وعشرين ذي الحجّة ويوم عرفة ويوم عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده. عن عبد الله بن عمّرو، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبت الصيام إلى الله صيام داؤد، كان يصوم يوماً وينظر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داؤد، كان ينام نصف الليل ويقُول ثلثة، وينام سدسها»<sup>(١)</sup>

ونوافل الصدقة الزائدة عن الزكاة: جاء الترغيب بها في آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَعْلَمُ فِيهِ وَلَا خَلَةٌ وَلَا شَفاعةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٥٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكًا يَنْزِلُ أَنَّ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلْفَهَا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسِكًا تَلَفًا»<sup>(٢)</sup>

\* قال تعالى: (وَإِنِّفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥]

عن زيد بن طبيان رفعه إلى أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله أمما الذين يحبهم الله عز وجل فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يساهم بقرابة بينهم فمنعوه فتخلَّفَ رجل باغتصابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذى أعطاوه وقوم ساروا ليتهم حتى إذا كان النوم أحبت إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم فقام يتسللني ويكتلوا آياتي ورجل كان في سرية فلقوا العدو فهزموا فاقبل بصدره حتى يقتل، أو يفتح الله له والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزانى والفقير المختال والغنىي الظلوم»<sup>(٣)</sup>

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسق والعصيان واجعلنا من الراشدين المؤذين لفراقضك المتبعين لسنة نبيك إنك سميع مجيب.

(١) صحيح البخاري، (ج / ٤ ص ١٦١)، رقم ٣٤٢٠

(٢) صحيح البخاري، (ج / ٢ ص ١١٥)، رقم ١٤٤٢

(٣) المسند، (ج / ٥ ص ١٥٣)، رقم ٢١٣٩٣، وقال شعيب الأرناؤوط : صحيح

## ٩٠. تلاوة القرآن

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تُبُورَ) [فاطر: ٢٩]

من علامات حب الله عز وجل حب القرآن وتلاوته فمن أحب شخصا فلا بد أن يحب كلامه وكلام البشر فيه الصحيح والسيقim، فكيف بمن أحب الله تعالى وخير الحديث كلامه، فالمحبون لا شيء أللهم ولقلوبهم من سماع كلام محبوبهم وفيه غاية مطلوبهم ولهذا لم يكن شيء أللهم لأهل المحبة من سماع القرآن، عن عمرو بن مروة قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ على» قلت: أقرأ عليك وعليلك أنزيل؟ قال: «فإنما أحب أن اسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وحثنا بك على هؤلاء شهيداً) قال: «أمسيك» فإذا عيناه تذرفنان<sup>(١)</sup>. قال ابن مسعود: لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله".

وقال سهل بن عبد الله: "علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة ذلك كله حب الآخرة".

ولا حسد إلا على القرآن، والانفاق في سبيل الله قال: رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا على اثنين: رجُل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل ورجُل أعطاه الله مالا، فهو يتصدق به آناء الليل والنهر»<sup>(٢)</sup>

فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته كما جاء في الحديث: عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أهليين من الناس قال قيل من هم يا رسول الله قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٤٥)، رقم ٤٥٨٣

(٢) صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ١٩١)، رقم ٥٠٢٥

(٣) صحيح الجامع الصغير وزياقاته، (ج ١ / ص ٤٣٢)، رقم ٢١٦٥

(وَنُنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: ٨٢]، ففي القرآن شفاء للقلوب من أمراض الشبهات والشهوات ففيه البينات على إثبات الحق ورد الباطل وبذلك تزول الشبهات عن القلب فيصر الحق والباطل ويميز بينهما كما يميز بعينيه بين الليل والنهار، وأما شفاؤه لمرض الشهوات فإنه وضع لها الحدود بالحكمة والموعظة الحسنة. وهو شفاء للأبدان من أسماقها عند الرقيقة بتلاوته، أما أهل الباطل الذين جعلوه وراء ظهورهم فهو عليهم عمىً وخسارٌ، فسبحان من جعل كلامه هدى وشفاء ورحمة لعباده المؤمنين، وجعله عمىً وضلالاً وخساراً للمعاندين، (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًىٰ وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَىٰ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت: ٤]

فمن طلب الهدایة (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة]، تجib سورة البقرة في بدايتها: (الْمَ دُلَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبٌ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة: ١ - ٢] فهو الفارق بين المدى والضلال والغى والرشاد والشك واليقين، وهو الدليل لمعرفة الرب الذي تعده ومنتزلاً النبي الذي تتبعه والدين الذي تتبعه والطريق الموصلة إليه في دار كرامته، قال ابن القيم: "أطلب قلبك في ثلاثة مواطن عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر وفي أوقات الخلوة فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك"

\* \* عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لاصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيمة كأنهما عمامتان أو كأنهما غياثتان أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ، تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة، فإن أحذها بركة، وتركتها حسرة، ولا تستطعها البطلة» قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحره<sup>(١)</sup>

إلى الباحثين عن الشفاعة اعلموا أن خير شفيع كلام الله وخير هادٍ كتاب الله وخير شافي كتاب الله والمحروم من حرم خيره والضال من حرم نوره.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٢ / ص ١٩٧)، رقم ١٩١٠

## ٩١. ذكر الله تعالى

قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِاطِّلَاءً سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩١]

لقد أمر الله تعالى بالذكر وما أمر عز وجل بالإكثار في شيء من العبادات كما رغب بالذكر والإكثار منه، قال تعالى: (وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠]

ورغب به النبي صلى الله عليه وسلم وبين أنه خير الأعمال وأذكاها عند الله، عن أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: (ألا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرُكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الْذَّهَبِ وَالْوَرْقِ، وَخَيْرُكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْهُ عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوهُ أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوهُ أَعْنَاقَكُمْ؟) قالوا: بلى. قال: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>

يقول ابن القيم<sup>(٢)</sup>: "المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً يجعل سبب المحبة دوام الذكر. فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهم بذكرة، فالذكر بباب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم، فالذكر يورث القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه". ومن فوائد الذكر:

أولاً: الذكر يورث العبد ذكر الله له: قال تعالى: (فَإِذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاسْكُرُوا لِي وَلَا تُكْفِرُونِ)، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدتها لكتفى بها فضلاً وشرفاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَائِكَةٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَائِكَةٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»<sup>(٣)</sup>

ثانياً: الذاكون تحفتهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة وبياهي الله عز وجل بهم الملائكة: عَنِ الْأَغْرِي أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ

(١) سنن الترمذى، (ج / ٥ ص / ٤٥٩)، رقم ٣٣٧٧، وقال الالباني: صحيح

(٢) ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص ٦١)

(٣) صحيح البخارى، (ج ٩ / ص ١٢١)، رقم ٧٤٠٥

## زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

أَنْهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِّيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ وَذَكَرُهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ الْجَالِسِينَ لِلذِّكْرِ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِحُكْمِ الْمَلَائِكَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: في مجالس الذكر مغفرة الذنوب: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْلُفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُظُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسِّأُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُخْمَدُونَكَ وَيُمَجْدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ شَسِيعًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجُنَاحَةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمَمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا خَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأَشْهُدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَرَّتْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَسْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \* عن معاذ بن جبل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ إِي لَا أَحِبُّكَ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمْيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَحِبُّكَ قَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُسْكِرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٤)</sup>  
اللهم اجعلنا لك شكّارين لك ذكارين لك محبتين أواهين منيin.

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ٧٢)، رقم ٧٠٣٠

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ٧٢)، رقم ٧٠٣٢

(٣) صحيح البخاري، (ج / ٨ / ص ٨٦)، رقم ٦٤٠٨ .

(٤) الادب المفرد: (ج / ١ / ص ٢٣٩)، رقم ٦٩٠ وقال الالباني: صحيح

## ٩٢. إيثار محبّ اللّه على محبّات الهوى

قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّسِعُونَ أَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَصْلَلَ مِنْ أَتَّبَعَ هَوَاءً بِغَيْرِ هُدِيٍّ مِنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص: ٥٠]

الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات والشبهات دون تحكيم الشرع.

الناس فريقان لا ثالث لهما: فريق يتّبع الحقّ بدليله من الكتاب والسنة وفريق يتّبع الهوى، فإنّما أن يتّبع الرسول ﷺ وإما أن يتّبع هواه. قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّسِعُونَ أَهْوَاءُهُمْ)، فما هو إلا الهوى أو الوحي كما جعل النطق نوعين نطقا عن الوحي ونطقا عن الهوى. ونّزّه الله تعالى نبيه ﷺ عن النطق عن الهوى وأقسم سبحانه بالنّجم عند هويه على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغّي فقال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

ونهى الله تعالى أنبياءه عن اتّباع الهوى في تعاملهم مع النّاس لأنّ اتّباع الهوى يصدّ عن الحقّ والعدل فقال تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحُقْقِ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) [ص: ٢٦]

وقال لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلم: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاعْلَمُ أَنَّهُمْ يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضٍ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُونَ) [المائدة: ٤٩]

فاتّباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحقّ، وعلى الجور في الحكم وتحريم الحلال وتحليل الحرام والانتصار للنفس والتکبر على النّاس وردّ الحقّ وتکذيب الرسل.

قال ابن القيّم: "إِن اتّباع الهوى يطمس نور العقل ويعمي بصيرة القلب ويصدّ عن اتّباع الحقّ ويصلّ عن الطريق المستقيم فلا تحصل بصيرة العبرة معه البّتة والعبد إذا اتّبع هواه فسد رأيه ونظره فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن

فألتبس عليه الحق بالباطل فأنى له الانتفاع بالتذكرة والتفكير أو بالعظة<sup>(١)</sup>

وقد يصل الإنسان إلى أن يتّخذ الهوى إلهاً فيفضل على علم ويختم على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة لقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَبِيلِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

ومن كانت هذه حالة أصبح كالأنعام بل أضل منها لأن الأنعام تؤدي واجبها التي خلقت من أجله وتخلّي الإنسان عن واجبه الذي خلق له، قال تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: ٤٤] فشبّه أكثـرـهمـ يـسمـعـونـ أـوـ يـعـقـلـونـ إـنـ هـمـ إـلـاـ كـالـأـنـعـامـ بـلـ هـمـ أـضـلـ سـبـيلـاـ] أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول المدى والانقياد له.

ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله على محاب نفسك تورث حبّة الله، قال ابن رجب: ”ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله -عز وجل- معاملة الله بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى، فإن ذلك سبب لفضل الله على عبده وأن يمنحه محبته“<sup>(٢)</sup>

فالله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين ويحب الصابرين ويحب التوابين ولا يمكن أن يكون العبد من هؤلاء إلا إذا خالف هواه فالنفس تهوى وتحب الدنيا وعدم الإنفاق والجزع والظلم والانتقام وعدم الصفح، ولا يتم الصبر على الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على أقدار الله إلا بمخالفة الهوى، والجنة مأوى من خالف هواه قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَمَنَّى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمُأْمَنُ) [النازعات: ٤٠-٤١] فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعى العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعين، يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنـةـ والابتـلاءـ.

قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «ثلاث منيجيات خشية الله تعالى في السر والعلانـةـ

(١) مدارج السالكين، (ج ٩ / ص ٣٦٠)

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، (ج ٣ / ص ٣١٩)

والعدل في الرّضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات هوَي مُتّبع وشُح مطاع وإعجاب المَرءِ بِنفْسِهِ<sup>(١)</sup>. مهلكات: أي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة. والهوى المتبّع أي: يتبعه صاحبه ويقوده إلى كل مهلكة، فهو سبب هلاك أكثر الناس. فليتأمل العاقل ما يفعل الهوى بصاحبته وفي أي واد سحيق يرديه، ويسأّل الله تعالى أن يحميه من اتباع الهوى وينم عليه بمخالفته هواء وإيثار محاب الرب على محاب النفس.

\* قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكُمْ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ). أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك

عصّهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولی حميم.

جاء في حديث عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا كُلُّ حدثني طائفة من الحديث فأنزل الله {إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ الْعَشْرَ آيَاتٍ كُلُّهاٍ فِي بَرَاعَتِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَاللهُ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ } وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى } الآية قال أبُو بَكْرٍ بلى والله إني لا أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقه التي كان ينفق علىه وقال والله لا انزعها عنه أبداً<sup>(٢)</sup>

خالف الصديق هواء فقدم ما يحبه الله تعالى من العفو والصفح على ما تحبه نفسه من العاقبة والانتقام، لأنّه طمع برضاء الله تعالى ومغفرته وثوابه، فمن أراد أن يغفر الله تعالى له فليغفر لأخوانه زلاتهم، (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

مخالفه الهوى تورث العبد قوة في بدنـه وقلبه ولسانـه وتوجب شرف الدين وشرف الآخرة وعز الظاهر وعز الباطن ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة وتذله في الظاهر والباطن.

(١) الالباني، السلسلة الصحيحة، رقم ١٨٠٢

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ١٣٨)، رقم ٦٦٧٩

### ٩٣. مطالعة القلب لأسمائه وصفاته

قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُونُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ。 هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لِهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: ٢٣-٢٤]

الأسماء والصفات توقيفية، ومعنى توقيفية أنه لا يثبت الله من الأسماء ولا يوصف من الصفات إلا ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سنته، وليس للناس أن يختربعوا الله أسماء من قبل أنفسهم ولا صفات.

انقسم الناس في أسماء الله وصفاته إلى ثلاث فرق:

**الأولى:** المجمّمة والمشبهة الذين يشبهون الخالق بالملائكة الذين يجعلون صفات الله -عز وجل- كصفات المخلوق تعالى الله عَمَّا يَقُولُونَ علواً كبيراً، قال نعيم بن حماد وابن خزيمة: من شبه الله بخلقه فقد كفر.

**الثانية:** المعطلة الذين غلو في التزييه حتى نفوا عن الله ما أثبته من الأسماء والصفات، فرارا من التشبيه بزعمهم. منهم من يعطّل الأسماء والصفات، ومنهم من يعطّل الصفات دون الأسماء، ومنهم من يعطّل بعض الصفات دون بعض.

**الثالثة:** مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما جاء في القرآن العظيم والسنّة الصحيحة من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلال الله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، عملاً بقول الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فنفي عن نفسه الماكرة وأثبت السمع والبصر، فدلل ذلك على أن مراده سمع وبصر لا يماثلان أسماء الخلق وأبصارهم<sup>(١)</sup> قال الإمام أحمد: "ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرنا ويرى لا كرؤيتنا". انتهى

(١) السعدي، التنبیهات اللطیفة، (ج ١ / ص ١٢)

وعقد هذا: أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويا على عرشه متکلّما بأمره ونحيه بصيرا بحركات العالم علوية وسفليه وأشخاصه وذواته سمعاً لأصواتهم رقياً على ضمائرهم وأسرارهم وأمر المالك تحت تدبره نازل من عنده وصاعد إليه ... وأملاكه بين يديه تنفذ أوامرها في أقطار المالك موصوفاً بصفات الكمال منعوت الجلال منزّها عن العيوب والنقائص والمثال هو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصفه به خلقه حي لا يموت قيوم لا ينام عليم لا يخفي عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض بصير يرى دبيب النّملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء سميع يسمع ضجيج الا صوات باختلاف اللغات على تفّنن الحاجات تمت كلّماته صدقاً وعدلاً وجلّت صفاتاته أن تقاس بصفات خلقه شبيهاً ومثلاً وتعالت ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً ووسعـت الخلائقـة أفعـالـه عـدـلاً وـحـكـمة وـرـحـمـة وـإـحـسـانـاً وـفـضـلـاً لـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ وـلـهـ النـعـمـةـ وـالـفـضـلـ وـلـهـ الـمـلـكـ وـالـحـمـدـ وـلـهـ الـثـنـاءـ وـالـمـجـدـ أـسـمـاؤـهـ كـلـهـ أـسـمـاءـ مدـحـ وـحـمـدـ وـثـنـاءـ وـتـجـيدـ وـلـذـلـكـ كـانـتـ حـسـنـيـ وـصـفـاتـ كـلـهـ صـفـاتـ كـمـالـ وـنـعـوتـ كـلـهـانـعـوتـ جـلـالـ وـأـفـعـالـهـ كـلـهـ حـكـمةـ وـرـحـمـةـ وـمـصـلـحةـ وـعـدـلـ تـعـرـفـ إـلـىـ عـبـادـهـ بـأـنـوـاعـ التـعـرـيـفـاتـ وـصـرـفـ لـهـ الـآـيـاتـ وـنـوـعـ لـهـ الـدـلـالـاتـ وـدـعـاهـمـ إـلـىـ مـحـبـتـهـ مـنـ جـمـيعـ الـأـبـوـابـ ... أـفـاضـ عـلـيـهـمـ النـعـمـةـ وـكـتـبـ عـلـىـ نـفـسـهـ الرـحـمـةـ وـضـمـنـ الـكـتـابـ الـذـيـ كـتـبـهـ: إـنـ رـحـمـتـهـ تـغـلـبـ غـضـبـهـ<sup>(١)</sup>

ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنة واستقرّ آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر متظمّنين بها أكمل انتظام، ورأى سريان آثارها فيها وعلم - بحسب معرفته بها ما يليق بكلّه وجلاله أن يفعله وما لا يليق، فاستدلّ بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرّعه مما لا يليق به، فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته. فإذا رأى بعض الأحكام جوراً وظلماً أو سفهاً وعيشاً ومفسدة أو ما لا يوجب حمدًا وثناءً فليعلم أنه ليس من أحكامه ولا دينه، وأنه بريء منه ورسوله، فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم وبالمصلحة لا بالمفسدة وبالحكمة لا بالعبث والسفه، وإنما بعث

(١) ينظر، مدارج السالكين، (ج ١ / ص ١٢٤)

رسوله بالحنينية السمحنة لا بالغلظة والشدة، وبعثه بالرحمة لا بالقسوة، فإنه أرحم الراحمين، ورسوله رحمة مهدأة إلى العالمين، ودينه كله رحمة، وهو نبى الرحمة وأئمته الأمة المرحومة وذلك كله موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، فلا يخبر عنه إلا بحمده ولا يثنى عليه إلا بأحسن الثناء كما لا يسمى إلا بأحسن الأسماء<sup>(١)</sup>

\* \* عن عائشة قالت فتقدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الفراش فأتمسته فوَقَعْتُ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمِيهِ وَهُوَ فِي الْمُسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَايَتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup>

فلا يحصى أحد من خلقه ثناءً عليه البتة، ولو أسماء وأوصاف وحمد وثناءً لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسى، فأعرف خلقه به وأحبهم له وَكَلِيلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُهُ يقول: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليهما، وهل مع المحبين محبة إلا من آثار صفات كماله فإنهم لم يروه في هذه الدار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعته، فاستدلوا بما علموا على ما غاب، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه وتعالى لكان لهم في حبه شأن آخر، وإنما تفاوت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به. فأعرفهم بالله أشدتهم حباً له، وهذا كانت رسالته أعظم الناس حباً له من غيره والخليلان من بينهم أعظمهم حباً، وأعرف الأمة به أشدتهم له حباً، وهذا كان المنكرون لحبه من أجهل الخلق به، فإنهم منكرون لحقيقة إلهيته ولخلة الخليلين صلى الله عليهم وسلم ولفطرة الله التي فطر الله عباده عليها، ولو رجعوا إلى قلوبهم لوجدوا حبه فيها<sup>(٣)</sup> اللهم لك الحمد كلّه ولكلّ الملك كلّه، وإليك يرجع الامر كلّه، اسألك من الخير كلّه، وأعوذ بك من الشر كلّه.

(١) طريق المجرتين وباب السعادتين (ص: ١٣٠)

(٢) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٥١)، رقم ١١١٨

(٣) طريق المجرتين وباب السعادتين، (ص: ٣١٨)

## ٩٤. مشاهدة بره واحسانه والآلهة ونعمه الباطنة والظاهرة

قال تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ الْإِنْسَانَ  
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [ابراهيم: ٣٤]

لقد دعا الله تعالى عباده إلى الاعتراف بنعمه الظاهرة والباطنة ومشاهدته بره واحسانه  
فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)

وذَكَرَ الله تعالى بنعمه على عباده في كثير من الآيات في القرآن وأنزل سورة النحل  
التي تسمى سورة النعم لكررة ما جاء فيها من نعم الله على عباده وقال في آخر الآيات  
التي عدد فيها نعمه: (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ١٨]  
(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) [النجم: ٥٥]، بأي نعمة ربك التي تدل على وحدانيته تكذب  
ايتها ليست منه، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، قال: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة  
الرَّحْمَنَ عَلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى فَرَغَ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا لِلْجِنْ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا،  
مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَةٍ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، إِلَّا قَالُوا: وَلَا يَشْيَءُ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا  
نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ»<sup>(١)</sup>

وعندما ذكر سبحانه وتعالى كثيرا من النعم ختمها بقوله عز وجل: (إِنَّ فِي ذلِكَ  
لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الرعد: ٣] ليتفكرروا وينقادوا للحق، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْتَ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالرَّيْتُونَ  
وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ١٠ - ١١]  
هذا التفكير يورث العبد أمرين يؤديان إلى محبة الله تعالى:

(١) المستدرك على الصحيحين، (ج ٣ / ص ٣٤٨)، رقم ٣٧٦٦، صحيح على شرط الشيخين

— معرفة صفات البر والإحسان التي وصف الله بها نفسه وسمى بها ذاته وشهود القلب لها مثل البر الرّحيم الجواد الكريم الودود المحسن الرفيق بعباده اللطيف الحليم الذي لم يعاجل عباده بالعقوبة ومطالعة اقترانها مع بعضها فالبر لوحده صفة كمال فإذا اقترن بالرحمة كان كمالاً آخر، واقتران الغفور بالودود والغفور بالرحيم كمال آخر. فشهود القلب لهذه الأسماء يورث العبد حبّاً لربه فمن كانت هذه صفاته لا بد أن يُحبّ محمد ويُحبّ.

— معرفة النّعم والآلاء وهذا مشهود للخليقة بِرْهَا وفاجرها مؤمنها وكافرها، من جزيل موهابه وسعة عطياته وكريم أياديه وجميل صنائعه وحسن معاملته لعباده وسعة رحمته لهم وبِرْه ولطفه وحنانه وإجابتـه لدعوات المضطـرين وكشفـ كربـاتـ المـكـروـبـينـ وإغاثـةـ المـلـهـوـفـينـ ورحمـتـهـ لـلـعـالـمـيـنـ وـابـتـدـائـهـ بـالـنـعـمـ قـبـلـ السـؤـالـ وـمـنـ غـيرـ اـسـتـحـقـاقـ، بمـجـرـدـ فـضـلـهـ وـكـرـمـهـ وـإـحـسـانـهـ وـدـفـعـ المـحـنـ وـالـبـلـاـيـاـ بـعـدـ انـعـقـادـ أـسـبـاهـ وـصـرـفـهاـ بـعـدـ وـقـوعـهاـ، وـهـدـايـتـهـ خـاصـتـهـ وـعـبـادـهـ إـلـىـ سـبـلـ دـارـ السـلـامـ، وـحـبـبـ إـلـيـهـمـ الإـيمـانـ وـزـيـنـهـ فـيـ قـلـوـبـهـمـ وـكـرـهـ إـلـيـهـمـ الـكـفـرـ وـالـفـسـقـ وـالـعـصـيـانـ، وـسـمـاـهـمـ الـمـسـلـمـيـنـ قـبـلـ أـنـ يـخـلـقـهـمـ، وـذـكـرـهـمـ قـبـلـ أـنـ يـذـكـرـوـهـ وـأـعـطـاهـمـ قـبـلـ أـنـ يـسـأـلـوـهـ وـتـحـبـبـ إـلـيـهـمـ بـنـعـمـةـ مـعـ غـنـاهـ عـنـهـمـ وـتـبـغـضـهـمـ إـلـيـهـ بـالـمـعـاـصـيـ وـفـقـرـهـمـ إـلـيـهـ، فـيـخـاطـبـهـمـ بـخـطـابـ الـوـدـادـ وـالـمحـبـةـ وـالـتـلـطـفـ وـقـالـ تـعـالـىـ: (يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ اـذـكـرـوـاـ نـعـمـتـ اللهـ عـلـيـكـمـ هـلـ مـنـ خـالـقـ غـيرـ اللهـ يـرـزـقـكـمـ مـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ لـاـ إـلـهـ إـلـّاـ هـوـ فـأـنـىـ تـؤـفـكـوـنـ) [فـاطـرـ: ٣]، (يـاـ أـيـهـاـ الـإـنـسـانـ مـاـ غـرـرـكـ بـرـبـكـ الـكـرـيمـ . الـذـيـ خـلـقـكـ فـسـوـأـكـ فـعـدـلـكـ . فـيـ أـيـ صـورـةـ مـاـ شـاءـ رـكـبـكـ) [الـإـنـفـطـارـ: ٨-٦]، فـلـيـتـأـمـلـ الـلـبـيـبـ مـوـاـعـدـ هـذـاـ الـخـطـابـ وـشـدـةـ لـصـوقـهـ بـالـقـلـوـبـ وـالـتـبـاسـهـ بـالـأـرـوـاحـ وـأـكـثـرـ الـقـرـآنـ جـاءـ عـلـىـ هـذـاـ النـمـطـ

منـ خـطـابـهـ لـعـبـادـهـ بـالـتـوـدـدـ وـالـتـحـنـنـ وـالـلـطـفـ وـالـنـصـيـحةـ الـبـالـغـةـ<sup>(١)</sup>

قـالـ وـهـبـ: "عـبـدـ اللهـ عـاـبـدـ حـمـسـيـنـ سـنـةـ فـأـوـحـيـ اللهـ إـلـيـهـ أـيـ قـدـ غـفـرـتـ لـكـ قـالـ: أـيـ رـبـ، وـمـاـ تـغـفـرـ لـيـ وـلـمـ أـذـنـبـ . فـأـذـنـ اللهـ لـعـرـقـ فـيـ عـنـقـهـ فـصـرـبـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـنـمـ وـلـمـ يـصـلـ، ثـمـ

(١) يـنـظـرـ، طـرـيقـ الـمـهـجـرـتـيـنـ وـبـابـ السـعـادـتـيـنـ، (صـ ٢١٨)

سَكَنَ فَنَامَ، فَأَتَاهُ الْمُلْكُ فَشَكَى إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَقِيتَ مِنْ صَرْبَانِ الْعِرْقِ. فَقَالَ الْمُلْكُ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: عِبَادُتَكَ حَمْسِينَ سَنَةً تَعْدِلُ سُكُونَ هَذَا الْعِرْقِ<sup>(١)</sup>

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَعْدُو كُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوْنِي لِحِبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحِبِّي)<sup>(٢)</sup>

\* \* \* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةً - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيوْتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَاتَّى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمُرَأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانُ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَصْبَابَ مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمَّ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخْدَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِيعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيوْتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمَ تَرِجُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا الْعِيْمُ»<sup>(٣)</sup>

اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلَّغُنَا حُبَّكَ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَنفُسِنَا وَأَهْلِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ج ٤ / ص ٦٨)

(٢) المستدرك على الصحيحين، (ج ٣ / ص ١٦٢)، رقم ٤٧١٦، قال الذهبي في التلخيص:

صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ١١٦)، رقم ٥٤٣٤

## ٩٥. انكسار القلب بكلّيته بين يدي الله تعالى

قال تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُحْتَيْنَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابُهُمْ وَالْقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِدُونَ) [الحج: ٣٤-٣٥]

الله تبارك وتعالى يحب من عباده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته، فانكسار القلوب بين يدي الله سبحانه وتعالى يستجلب البشري بالعفو والمغفرة والرحمة، قال سبحانه وتعالى: (وَبَشِّرِ الْمُحْتَيْنَ)، الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وت تخضع من خشيته وجلاً من عقابه وخوفاً من سخطه. وانكسار القلوب بثلاثة أشياء: أوّلاً: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى التي تدلّ على الكبرياء والعظمة ومشاهدته ضعف العبد وفقره وعجزه (وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجاثية: ٣٧] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتُؤْمِنُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥] فهو المتصف بصفات الجلال والكرياء والعظمة وقوة البطش والملك والسلطان والعقاب والانتقام والقهر فهو القاهر فوق عباده فكلّ واحد يُقهَر إلا الله تعالى هو الواحد القهار وهو المهيمن العزيز الجبار المتكبر، عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ (وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ أَنَا الْجَبَارُ أَنَا الْمُتَكَبِّرُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمُتَعَالِيُّ يُمَجَّدُ نَفْسَهُ قَالَ فَيَجْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ رَجَفَ بِهِ الْمِنْبَرُ حَتَّىٰ ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَخْرُبُ<sup>(١)</sup>» فشهود قلب المؤمن لكرياء الخالق وعظمته وجبروته يجعله دائم الذلة والانكسار والافتقار والاستغفار إلى ربّه، ويتضرع إليه حتى يجبر كسره ويغفر ذنبه فهو سبحانه أهل أن يخشع ويذلّ ويُعظّم في صدور عباده، حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحقه من الإجلال والإكرام والحمد والثناء.

(١) المسند، ج ٩ / ص ٤٣٢)، رقم ٥٦٠٨ وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم

ثانياً: عدم الاغترار بالعمل: فمما عمل الإنسان من الأعمال الصالحة فلا يعجب بعمل لأنّه قد لا يُقبل، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الْمَدَانِيِّ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ أَتَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) قَالَتْ عَائِشَةَ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشَرُّبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَأْتِنَّ الصَّدِيقُينَ، وَلَا كَنَّهُمُ الَّذِينَ يَصْوُمُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَحَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَا سَابِقُونَ) <sup>(١)</sup>

ويبقى الإنسان مع عمله خائفاً من سوء الخاتمة قال صلى الله عليه وسلم: «فَوَاللَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلَ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا» <sup>(٢)</sup>. فليعمل وليرجع رحمة الله ومغفرته وبذلك أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ». قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: «وَلَا أنا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» <sup>(٣)</sup>

ثالثاً: معرفة الذنوب وعدم نسيانها: فالمؤمن ينظر إلى ما سلف منه من الإساءة ويعلم أنّه على خطير عظيم فيها وأنّه مشرف على الالٰك بمُواخذة صاحب الحق بموجب حقه وقد ذم الله تعالى في كتابه من نسي ما تقدم يداه فقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرِ بِايتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) [الكهف: ٥٧]، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَانَهُ قَاعِدًا ثَحْتَ جَبَلٍ يَحَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذَبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا» <sup>(٤)</sup>

(١) سنن الترمذى، (ج / ٥ ص ٣٢٧)، رقم ٣١٧٥، وقال الألبانى: صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٨ ص ٤٤)، رقم ٦٨٩٣

(٣) صحيح مسلم، (ج / ٨ ص ١٤٠)، رقم ٧٢٩٢

(٤) صحيح البخارى، (ج / ٨ ص ٦٧)، رقم ٦٣٠٨

فلا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى من عصيت وكلما كبر الذنب في نظر العبد صغر عند الله، فإذا استعظم العبد ذنبه انكسر وذل وأطرق بين يدي الله عز وجل خاشعا ذليلا خائفا وكان أقرب للمغفرة وهذه طريق العبودية.

\* قال تعالى: (أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [النمل: ٦٢]

اعلم إنَّ الله تعالى يستجيب دعوة المضطر وإن كان كافراً وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله وقوَّة الانكسار بين يديه وانقطاع تعلقه بالمخلوقين. قال موسى بن عمراً: أَيْ رَبِّ، أَيْنَ أَبْغِيكَ؟ قَالَ : ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ ؛ إِنِّي أَدْنُو مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بَاعِمَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْهَدَمُوا»<sup>(١)</sup> ولذلك استجيب للثلاثة الذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أيسوا من الخلق ولجؤوا إلى الخالق فقال الله تعالى: (وَعَلَى الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [التوبه: ١١٨]

إذ أرمت الدخول مع الأحباب فادخل من باب الذل والانكسار وقل بلسان التضرع يا أيها العزيز الغفار مسنا الضر وجئنا ببضاعة مزاجة عمل مدخل وقلب معلول فأوف لنا ما أمنناه من الجزاء المأمول، وتفضل علينا بالقبول والوصول، هؤلاء إخوة يوسف لما أظهروا فاقتهم، واستقلوا بضاعتهم، وأحضروا شكايتهم، سمح لهم وقربهم، وكشف لهم عن وجهه الجميل، ومنحهم العطاء الجليل، فما ظنك بالرب العظيم الجليل، الذي هو أرحم الراحمين، ومحل أمل القاصدين»<sup>(٢)</sup> ونحن نقول يا أيها العزيز مسنا وأهلكنا الضر وجئنا ببضاعة مزاجة فتفضل علينا وأنت ذو الفضل العظيم.

(١) احمد بن حنبل، الزهد، (ج ١ / ص ١٦٤)

(٢) الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (ج ٣ / ص ٤٢٠)

## ٩٦. الخلوة بين يديه في الثالث الأخير من الليل

قال تعالى: (وَادْكُر اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْ لَيْلًا طَوِيلًا)

[الانسان: ٢٥-٢٦]

من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى الخلوة بين يدي الله في الثالث الأخير من الليل، ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وتلاوة القرآن قال تعالى: (يا أيها المُزَمِّلُ . قُمِ الْلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوِ اثْنُقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمول: ٤-١]، ورَغَبَ سبحانه وتعالى عباده بالمثلول بين يديه في ثلث الليل الأخير لمناجاته وتلاوة كلامه، والتَّأدِيبُ بِأَدَبِ الْعِبُودِيَّةِ، وواعدهم بأحسن الجزاء عليه وذلك بالمغفرة والعطاء واستجابة الدعاء، عن أبي هريرة قالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ الْلَّيْلِ أَوْ ثُلُثُهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرَ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَنْفِرِجَ الصُّبْحُ»<sup>(١)</sup>

ذكر التنوخي: "أن أحد الوزراء في بغداد - وقد سماه - اعتدى على أمواه امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها، ذهبت إليه تبكي وتشتكى من ظلمه وجوره فلم يرتدع، قالت: لأدعون الله عليك، فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال: عليك بالثلث الأخير من الليل، استهزاء بها، فذهبت وداومت على الثالث الأخير، فما هو إلا وقت قصير إذ عزل هذا الوزير وسلبت أمواه وأخذ عقاره، ثم أقيم في السوق يجلد تعزيزا له على أفعاله بالناس، فمررت به العجوز، فقالت له: أحسنت! لقد وصفت لي الثالث الأخير من الليل، فوجدتُه أحسن ما يكون"<sup>(٢)</sup>

أهل قيام الليل هم الطائفة الذين تشبهوا بالنبي صلى الله عليه وسلم من صحابته رضي الله عنهم ومن قام الليل مثلهم كان من المتبين لهم في الدنيا ويحشر معهم في الآخرة إن شاء

(١) صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ١٧٦)، رقم ١٨١٠

(٢) الربعي، من عجائب الدعاء، (ج ١ / ص ٧٦)

الله، (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنِي مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) [المزمول: ٢٠]، فكن من هذه الطائفة لتحصل على حب الله وتغز بالرحمة ومغفرة الذنب. وقيام الليل من صفات المحسنين الذين يحبهم الله تعالى وهم أهل الجنة (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)، كانوا يصلون بالليل ثم يستغفرون بالسحر وهو السدس الأخير من الليل فكان جزءاً لهم من الله قوله تعالى: (ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وأهل قيام الليل من الذين يحبهم الله تعالى ويضحك إليهم ويستبشر بهم، عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله عز وجل، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فتة؛ قاتل وراءها بنفسه الله عز وجل، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي كيف صبر لي نفسه؟!»

وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ، وَفِرَاشُ لَيْنٍ حَسَنٌ، فَيَقُولُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَدْرُ شَهْوَتَهُ، فَيَذْكُرُنِي وَيُنَاجِيَنِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ! وَالَّذِي يَكُونُ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوا وَنَصِبُوا، ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ فِي السَّحَرِ فِي سَرَاءٍ أَوْ ضَرَاءٍ»<sup>(١)</sup>

عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «عجب ربنا من رجلين - {وذكر منهم} - : رجلاً ثار من فراشه وحافره من بين حبه وأهله إلى صلاته - (وعند الطبراني: رغبة فيما عندي وشفقة ما عندي) - فيقول الله - تعالى - لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي وشفقته مما عندي»<sup>(٢)</sup>.

يا غافلا عن مصيره، يا واقفا مع تقصيره، سبقك أهل العزائم، وأنت في بحر الغفلة عائم، قف على الباب وقوف نادم، ونكّس رأس الذل وقل: أنا ظالم، وناد في الأسحار:

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، رقم ٣٥٣٦، قال الالباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم ٣٤٧٨

(٢) صحيح ابن حبان، (ج ٦ / ص ٢٩٨)، رقم ٢٥٥٨، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح، الطبراني،

المعجم الكبير، (ج ١٠ / ص ١٧٩)، رقم ١٠٣٨٣

انا مذنب وانت راحم، وتشبّه بالقوم وإن لم تكن منهم وزاحم، وابعث بريح الزفرات سحاب دمع ساجم، وقم في الدجى نادبا، وقف على الباب تائبا، واستدرك من العمر ذاهبه، ودع اللهو جانبا، وطلّق الدنيا إن كنت لآخرة طالبا، يا نائما طوال الليل سارت الرفقة، ورحل القوم كلهم، وما انتبهت من الرقدة<sup>(١)</sup>

\* \* عن ابن عباسٍ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَبَّجُدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيْمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَاجْتَهَنَّ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَّمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤْخَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»<sup>(٢)</sup>

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار، ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها (يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَةٍ مُّرْجَأً فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعِزِّي التَّصَدِّقَينَ) لبرز لهم التوقع عليهما: (قال لا تُشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)"<sup>(٣)</sup>

قال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلا ثلاثة: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلوة في جماعة. وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبكيت معاف وأحبب قيام الليل وأخذ طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك يا ابن أخي.

اللهَمَّ اجعلنا من القائمين في الليل المستغرين بالأسحار بفضلك يا كريم وتفضل علينا بالغفرة إِنَّكَ أنت الغفور الرحيم وأنت الغني الحميد ونحن عبيدك الفقراء إليك.

(١) ابن الجوزي، بحر الدموع، (ص: ٨٠)

(٢) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٧٠) رقم ٦٣١٧

(٣) ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، (ج ١ / ص ٢٠٥)

## ٩٧. مجالسة المحبيين الصادقين

قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف: ٢٨]

لقد دعا الله تعالى نبيه ﷺ لمجالسة المخلصين المحبيين لله تعالى ورسوله، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاصْبِرْ) يا محمد (نَفْسَكَ مَعَ) أصحابك (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ) بذكرهم إيه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها(يُرِيدُونَ) بفعلهم ذلك (وَجْهُهُ) لا يريدون عرضًا من عرض الدنيا. وأمره بلزوم ذلك وعدم تجاوزه فقال تعالى: (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)، أي ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه.

وهذا والله من أصعب الأشياء على النفوس إلا من يسره الله له، فالنفوس تميل لأهل الدنيا من الأشراف وأصحاب الأموال والمناصب والمقامات وأصحاب اللهو والمجون. والشيطان يدعوك لهؤلاء ومرافقتهم لأنّ فيهم الهالاك وفي مرافقته المحبيين النجاة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثُلَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمُسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَحْدِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَحْدِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: "وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروعة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج/٧، ص/٩٦)، رقم ٥٥٣٤، صحيح مسلم، (ج/٨، ص/٣٧)، رقم ٦٨٦٠

(٢) شرح النووي على مسلم، (ج/١٦، ص/١٧٨)

والمعاصي تهلك من قاربها وحالطها وأصر عليها وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الأنس وهم أضر من شياطين الجن قال بعض السلف: شيطان الجن نستعيذ بالله منه فينصرف وشيطان الأنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا »<sup>(١)</sup>

قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجبه... سل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حكيما حين آخاه

فلذلك يغض المفترط في مجالسة الصادقين واستبدالهم بالطلحين يديه ندما على ما فرط منه، (وَيَوْمَ يَعْصُضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِإِنْسَانٍ خَدُولًا) [الفرقان: ٢٧-٢٩]، ويوم القيمة تقلب الصحبة الباطلة في الدنيا إلى عداوة يوم القيمة (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِي عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَقِينَ) [الزخرف: ٦٧]، وحث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مصاحبة أهل الدين لأنّ صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن معاشرتهم ويأمن شرّهم ولذلك رغب بالزواج من صاحبة الدين في حديث أبى هريرة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تُنكحُ الْمُرْأَةُ لِأَرْبَعٍ مِّلَأَهَا وَلَحِسَبَهَا وَلَجِهَاهَا وَلِدِينَهَا فَأَظْفَرَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاهَا »<sup>(٢)</sup>، لأنّها تصاحب الزوج طول حياته.

وجاء في السير أنّ حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا أنكحت عقبيلة من عقائل قريش لمولى؟ فقال: والله لقد أنكحته إياها وإنّي لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشدّ عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول من أراد أن ينظر إلى

(١) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٠٧)، رقم ٤٨٣٤، وقال الالباني: حسن

(٢) صحيح مسلم، (ج ٤ / ص ١٧٥)، رقم ٣٧٠٨

رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم.

وقد كان آل بيت النبي وصحابته من أحرص الناس على مصاحبة الأخيار من أهل العلم والدين المحبين لله ورسوله.

كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم ويتحطى مجالس قومه فقال له نافع بن جبير بن مطعم تحطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب فقال إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وفي رواية: أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟ يعني زيدا بن أسلم. فقال: إنه ينبغي للعلم أن يتبع حি�ثما كان<sup>(١)</sup>

\* \* \* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَايِلُ»<sup>(٢)</sup>  
يقول ابن القيم: "من أسباب محبة الله: مجالسة المحبين الصادقين والتقطاط أطاييف ثمرات كلامهم كما ينتقى أطاييف الشمر ولا تتكلّم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أنّ فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك"<sup>(٣)</sup>

وقال عبد الله الأنطاكي، رضي الله تعالى عنه: دواء القلب خمسة أشياء، مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وإخلاء البطن من الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين رجلاً تعلّم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك أو رجلاً تعلّم منه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه. فالوحدة خير من مجالسة اهل الشر قيل: يا رسول الله أي الناس أفضّل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ مُّجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قالوا: ثمَّ مَنْ؟ قال: «مُؤْمِنٌ فِي شَعْبِ مِنَ الشَّعَابِ يَتَقَبَّلُ اللهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»<sup>(٤)</sup> فأهل الخير لا يشقى بهم جليسهم في الدنيا والآخرة، وأهل الشر شؤم على من جالسهم في الدنيا والآخرة.

(١) البخاري، التاريخ الكبير، (ج ٣ / ص ٣٨٧)، ابن الجوزي، صفة الصفو، (ج ٢ / ص ٩٨)

(٢) سنن أبي داود، (ج ٤ / ص ٤٠٧)، رقم ٤٨٣٥، وقال الالباني حسن.

(٣) مدارج السالكين، (ج ٣ / ص ١٧)

(٤) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٥)، رقم ٢٧٨٦

## ٩٨. مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

قال تعالى: (اقْرَبْ لِلنَّاسِ حِسَابَهُمْ وَهُمْ فِي عَقْلَةٍ مُعْرِضُونَ. مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذُكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدِّثٌ إِلَّا سَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ. لَا هِيَّ قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هُلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ) [الأنباء: ١ - ٣]

لقد ذمَ الله تعالى القلوب اللاهية الغافلة المعرضة عن ذكر الله وسماع الحقّ، هذه القلوب تسمع الحقّ ولا تشهده فهي لاعبة مصغية إلى غيره من اللهو والعبث، وبقدر هو القلوب وإعراضها عن الحقّ يكون البعد عن الله سبحانه وتعالى وبقدر حبّها لغيره تبتعد عن حبّ الله والأنس به. فلا بدّ من مباعدة كل الأسباب التي تحول بين القلب وبين حبّ الله تعالى حتى تفوز بحبّه عز وجل فالقلب مثل الإناء إذا امتلاً بشيء لا يتسع لغيره. ومن الأسباب التي تحول بين القلب وبين حبّ الله تعالى:

— الكبر والعجب بالنفس: فأبعد القلوب عن حبّ الله تعالى القلوب المتكبرة المعجبة بما عندها من العلم أو العمل أو الشهادة أو المنصب أو الجاه أو السلطان أو القوّة، وأقرب القلوب إلى حبّة الله تعالى القلوب الفقيرة إليه المستشعرة ذلّ نفسها بين يدي الله سبحانه وتعالى، فالكبر والعجب داءان مهلكان فإنّهما يورثان الغرور والحسد والغل على المسلمين. والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله مقوتان بغرضان، (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْرِرِينَ) [النحل: ٢٧]، فالمتكبرون في صدورهم حبّ التعظيم (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَا هُمْ بِالْغَيِّ) [غافر: ٥٦]

دواء الكبر التواضع ودواء العجب شهود منه الله تعالى على العبد في كل نعمة صغيرة أو كبيرة، فله النعمة وله المنة وله الفضل، قال تعالى: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَكُونُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يُمِنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِإِيمَانٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات: ١٧]. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يتواضع لله عند النصر في الوقت الذي يتکبر فيه المتكبرون يقول ابن كثیر عند کلامه عن فتح مکة: ” وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم

ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أنّ عثونه ليكاد يمسّ واسطة الرحل<sup>(١)</sup> {العثون: طرف اللحية} وكذلك الصحابة كانوا من أحقر الناس على ذلّ أنفسهم لله والتواضع له.

— حب الدنيا من الأسباب الشاغلة للقلب عن حب الله: قال تعالى: (رَبِّنَا لِنَاسٍ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنُطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران: ١٤]

وحب الدنيا شاغل للإنسان عن كثير من العبادات كالصلوة والحج والعمرة والجهاد قال تعالى: (سَيُقُولُ لَكَ الْمُخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُنَا فَاسْتَعْفِرُ لَنَا) [الفتح: ١١]

فبقدر ما أنس العبد بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدره من الآخرة. فإذا زالت هذه الشواغل من القلوب من أسباب محبة الله للعبد.

عن سهل بن سعيد رضي الله عنه قال: جاء رجُل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، دُلُّني على عمل إذا عملته أحببني الله، وأحببني الناس، فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيها عند الناس يحبك الناس»<sup>(٢)</sup>

يقول الغزالى: "إنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله تعالى في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتتمتع بها"<sup>(٣)</sup>.

— من الأسباب الشاغلة للقلب مضيئات الوقت من الملهيات:

لا بد أن يعلم كل مسلم أنَّ الوقت نعمة وأنَّ رأسه في هذه الدنيا وقته ولا بد أن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (ج ٤ / ص ٢٩٣)

(٢) سنن ابن ماجه، (ج ٢ / ص ١٣٧٣)، رقم ٤١٠٢، قال الالباني: صحيح

(٣) إحياء علوم الدين، (ج ٤ / ص ٢٠٢)

يصل في هذا الوقت إلى رضا الله والجنة، ويجب أن يكون العبد شحيحاً بوقته حريصاً عليه أشدّ من حرص أصحاب الأموال على أموالهم، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالفَرَاغُ»<sup>(١)</sup> فإذا أراد الله بالعبد خيراً أعاذه بالوقت وجعل وقته مساعداته وإذا أراد به شرّاً جعل وقته عليه وناكه وقته فكلّما أراد التأهّب للمسير لم يساعدته الوقت قال تعالى: (إِذَا فَرَغْتَ فَانصِبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) [الشرح: ٨-٧] فإذا فرغت من أمر دنياك، فانصب في عبادة ربك، وتضرع إليه راغباً في الجنة راهباً من النار.

ومن مضيّعات الوقت مجالس السوء والسمسر ليلاً والتلفزيون والانترنت والمقاهي وأماكن اللهو والألعاب والذهب إلى الأسواق لغير حاجة، فتجد الكثير من الناس يضيّعون الساعات الطوال في هذه المضيّعات ولا يجلسون ساعة بين يدي الله يناجون بها ربّهم. وشرّ الناس من هو لا في عمل دنيا يعفّ به نفسه ويكتفّ عن المسألة ولا في عمل آخراً يقرّبه من ربّه، تجده يضيّع وقته ويضيّع الواجبات التي فيه من الصلوات والأذكار وعيادة المرضى وصلة الأرحام ويضيّع مصالحة الدنيوية من المباحثات أيضاً. ومن علامة الخريص على وقته أنه مستأنس بربّه مستوحش من يقطعه عن طاعته.

يقول الخطيب البغدادي: "فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته فإن الشواء قليل والرحيل قريب والطريق مخوف والاغترار غالب والخطر عظيم والنادر بصير والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمعلم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن ي العمل مثقال ذرة شرّاً يره"<sup>(٢)</sup>\* قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمُوتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلَّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيهَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ يُبَعَّثُونَ) [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

الذين فسدت قلوبهم وضيّعوا أوقاتهم باللهو والعبث، هذه حا لهم عند الموت يتطلّبون

(١) صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٨٨)، رقم ٦٤١٢

(٢) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، (ج ١ / ص ٥)

الرجعة ولا ينالونها، اما حاهم في جهنم فقال تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَاحِلًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَدُوْقُوا فَمَا لِلظَّالَمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) [فاطر: ٣٧] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (اولم نعمركم ما يتذكر فيه من يتذكر) قال: ستين سنة<sup>(١)</sup>

الله سبحانه وتعالي اقام الحجة على عباده ولم يترك لهم عذرا بعد امهالهم سنين طويلة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعذر الله إلى أمري آخر أجله، حتى بلغه ستين سنة»<sup>(٢)</sup> [اعذر الله من الاعذار: وهو إزالة العذر، والمعنى: لم يبق له اعتذار لأن يقول: لو مدي لي في الأجل لأطعت وعبدت]

فلله الحجة البالغة ولا عذر لعبد امام الله تعالى يوم القيمة فكل الحجج مردودة لا ينفع الا استغلال الأوقات والمسارعة فيها الى الخيرات التي هي سبب لدخول الجنة. عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعطيه: «اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل سُغلِك، وحياتك قبل موتك»<sup>(٣)</sup>

أي أسرع واسغل وقت شبابك بالعمل قبل الهرم الذي تضعف فيه قواك واعمل في حياتك قبل أن ينقطع العمل بالموت واستغل الصحة في طاعة الله لأنّ الإنسان قد يتعرض لمرض يمنعه من العمل وكذلك استغلال وقت الفراغ فيما يرضي الله تعالى قبل أن يشغل الإنسان وكذلك وقت الغنى اشغله بالعطاء والصدقات فربما يذهب المال وتصبح فقيرا وتندم على تفريطك فيه، فهذه الخمسة لا يُعرف قدرها إلا بعد زوالها.

(١) المستدرک على الصحيحين، (ج/٢ ص ٤٦٣)، رقم ٣٥٩٦، تعليق الذهبي: صحيح

(٢) صحيح البخاري، (ج/٨ ص ٨٩)، رقم ٦٤١٩

(٣) المستدرک على الصحيحين، (ج/٤ ص ٣٤١)، رقم ٧٨٤٦، وقال الالباني: صحيح

## ٩٩. أخوة الاسلام ومحبة المسلمين سبب لمحبة الله

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْكُمُونَ) [الحجرات: ١٠]

أخوة الإيمان نعمة من الله تعالى على المؤمنين تتوحد بها قلوبهم وتتحلى بها آثار العصبيات بكل أشكالها بين المسلمين قال تعالى: (وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُتُبْمَ أَعْدَاءَ فَالَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) [آل عمران: ١٠٣]

وهي أمر نبوى لكل مسلم فعن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تداربوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لMuslim أن يهجر أخيه فوق ثلاثة ليالٍ»<sup>(١)</sup>

فتوحيد الله ومحبته لا تتم إلا بمحبته من يحبه وبغض من يبغضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، وأححب في الله والبغض في الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>. ومن علامات الأخوة بين المسلمين:

- السعي في سبيل اصلاح ذات البين، ورأب الصدع، وجمع الكلمة بين المسلمين والا يتowanوا في ذلك، لأنها لو تركت فان شرها سيتشر على الجميع قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [الأనفال: ١] عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، قَالُوا: بَلَى، قال: صَالَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»<sup>(٣)</sup>

- محبة المسلم وزيارته التي هي سبب لمحبة الله تعالى فمن معاذ بن جبل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: «وَجَبَتْ مَحِبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي وَالْمُتَجَالِسِينَ

(١) صحيح البخاري، (ج / ٨ ص ٢١)، رقم ٦٠٧٦

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج / ١ ص ٤٩٧)، رقم ٢٥٣٩، صحيح

(٣) سنن الترمذى، (ج / ٤ ص ٢٤٤)، رقم ٢٥٠٩، وقال الالباني: صحيح

فيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ رَجُلاً زَارَ أَخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أَخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا آتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَرِيدُ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تُرْجُهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

- ومن علاماتها: تنظيف القلوب من الغش للMuslimين والغل عليهم فلا يجتمع الحب للMuslimين والغل عليهم في قلب واحد عن عبد الله بن عمرو، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مُحْمُومِ الْقُلُبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ» قالوا: صَدُوقِ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مُحْمُومُ الْقُلُبِ؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدًا»<sup>(٣)</sup>

وهذا سبب مهم لدخول الجنة كما جاء في حديث أنس بن مالك قال كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع علينا رجل من أهل الجنة فطاع رجلاً من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق تعلية في يده الشمام - ثلاثة أيام يطع نفس الرجل، تبعه عمرو بن العاص وبات عنده ثلاثة ليال - فلما يره يقوم من الليل شيئاً غيره إدا تعار وتنقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم اسمعه يقول إلا خيراً - فأخبره بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وسألة: فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هو إلا ما رأيت قال فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في تفسيري لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحصد أحداً على خير أعطاهم الله إياها فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطبق<sup>(٤)</sup>

(١) المسند، (ج / ٥ / ص ٢٣٣)، رقم ٢٢٠٨٣، تعليق شعيب الارناؤوط : حديث صحيح

(٢) صحيح مسلم، (ج / ٨ / ص ١٢)، رقم ٦٧١٤، شرح النووي على مسلم، (ج / ١٦ / ص ١٢٤)

(٣) سنن ابن ماجه، (ج / ٢ / ص ١٤٠٩)، رقم ٤٢١٦، وقال الالباني: صحيح

(٤) المسند، (ج / ٣ / ص ١٦٦)، رقم ١٢٧٢٠، شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح على شرط الشیخین

— ومن علاماتها مواساة الإخوان وقضاء حوائجهم وإعانتهم بمال والجاه والخدمة والنصيحة والارشاد والدعاء والاستغفار، فالاصل في الأخوة ان يذهب الأخ عن أخيه البؤس بكل انواعه ويبعث في نفسه الطمأنينة والأنس بالود والقرب والاغاثة والعطاء ويطرد عن قلبه اليأس والقنوط ويبعث فيه الأمل والسرور كما قال يوسف لأخيه (إِنَّمَا أَخْرُوكَ، فَلَا تَبْئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وهي عالمة على حب الله تعالى، عن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أحب الناس أحب إلى الله؟ وأي الاعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنفُعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورُ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تَنْطِرُدُ عَنْهُ جُوَاعًا، وَلَا نَأْمُشِي مَعَ أَخِيٍّ فِي حَاجَةٍ أَحَبُ إِلَيَّهُ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا - يعني مسجد المدينة - وَمَنْ كَفَ غَصَبَهُ سَرَّ اللَّهِ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرُولُ الْأَقْدَامِ»<sup>(١)</sup>

قال عبدالله بن عثمان المروزي: "ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي فان تم والا قمت له بهالي، فان تم والا استعنت بالأخوان، فان تم والا استعنت بالسلطان"<sup>(٢)</sup>

— ومن المواساة زيارة المريض واطعام الجائع وسقاية العطشان، عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعْدُنِي. قَالَ يَا رَبَّ كَيْفَ أَعُوْذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعْدُهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوْ جَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ أَسْتَطَعْمُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ يَا رَبَّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَسْتَطَعْمَكَ عَبْدِي فُلَانُ فَلَمْ

(١) الطبراني، المعجم الكبير، (ج ١٢ / ص ٤٥٣)، رقم ١٣٦٤٦، وقال الالباني: حسن، السلسلة الصحيحة مختصرة، (ج ٢ / ص ٥٦٤)، رقم ٩٠٦

(٢) ابن عبد الهادي، مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الاخوان، (ج ١ / ص ٢٧٥)

تُطْعِمُهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوْ جَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقِيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ يَا رَبَّ كَيْفَ أَسْقِيْكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانُ فَلَمْ شَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتُهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي »<sup>(١)</sup> ، قال في عيادة المريض «لوجدتي عنده» وقال في الإطعام، والإسقاء «لوجدت ذلك عندي» ففرق بينهما، فإن المريض مكسور القلب ولو كان من كان، فلا بد أن يكسره المرض فإذا كان مؤمنا قد انكسر قلبه بالمرض كان الله عنده.

\* قال تعالى: (وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٌ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرِ مُنَقَابِلِينَ)

[الحجر: ٤٧]

عَنْ أَنْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»<sup>(٢)</sup> ، شعار الحب وكمال الإيمان أن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك من الخير وتكره لهم ما تكره لها من الشر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَئِنَّ الْمُتَحَابِوْنَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَمُهُمْ فِي ظَلَّ يَوْمَ لَا ظَلَّ إِلَّا ظَلَّ»<sup>(٣)</sup>

أي: أدخلهم في ظل حمایتي، وأريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل أو أظلهم في ظل عرشي، فتدبر سعة رحمة الله للمتحابين تعظيمًا له خالصاً لوجهه.

«اللَّهُمَّ أَلَّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنَنَا، وَاهْدِنَا سُبُّلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَرْوَاحِنَا، وَدُرُّيَّاتِنَا، وَثُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا وَأَمِّنَهَا عَلَيْنَا»<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم، (ج / ٨، ص ١٣)، رقم ٦٧٢١

(٢) سنن النسائي، (ج / ٨، ص ٤٨٩)، رقم ٥٠٣٢ وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح مسلم، (ج / ٨، ص ١٢)، رقم ٦٧١٣

(٤) المستدرك على الصحيحين، (ج / ١، ص ٣٩٧)، رقم ٩٧٧، صحيح على شرط مسلم

## ١٠٠ . الخاتمة

قال تعالى: (يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضَلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [ابراهيم: ٢٧]

لقد قضى الله سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين أنَّ الأعمال بالحوافر، وتقطعت قلوب الأنبياء والصالحين من الخوف كلما تذكروا الموت وسكراته خوفاً من سوء الخاتمة. وحسن الخاتمة والموت على الإسلام مطلب الأنبياء والصالحين، ووصية الأنبياء لأنصارهم، قال تعالى: (وَوَصَّىٰهَا إِبْرَاهِيمُ بْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٢]، ودعا يوسف وسائل ربه الموت على الإسلام فقال عليه السلام: (رَبِّنِي قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِّرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَلَحْقِنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: ١٠١]، أنت ولائي أي الذي تلي أمري توفّني مسلماً قال ابن عباس يريد لا تسألني الإسلام حتى تتوافقني عليه.

قال المزاغي في تفسيره: "طلب يوسف من ربه حسن الخاتمة"<sup>(١)</sup>

ومن اسباب سوء الخاتمة استيلاء حب الدنيا على القلب وضعف الإيمان والانهيار في المعاصي. ولقد بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح، فلما أصبح قيل له: كُلْ هذا خوفاً من الذنوب؟ فأخذ تبنة من الأرض، وقال: الذنوب أهون من هذا، وإنما أبكي من خوف سوء الخاتمة. وهذا من أعظم الفقه: أن يخاف الرجل أن تخذله ذنبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة.

قال الغزالى رحمه الله: "ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحاً بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا ب مدح المادح"<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير المزاغي، (ج ١٣ / ص ٤٥)

(٢) إحياء علوم الدين، (ج ٣ / ص ٢٨٩)

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلَ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلَ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>

يقول ابن رجب رحمه الله: "وقوله فيما يبدو للناس إشارة إلى أنَّ باطن الأمر يكون بخلاف ذلك وأنَّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس أَمَّا من جهة عمل سبيع ونحو ذلك فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة"<sup>(٢)</sup>

### سوء الخاتمة على رتبين

**الأولى:** يغلب على القلب عند سكرات الموت الشك أو الجحود فيكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضي البعد الدائم وال العذاب المخلد، وهذا ناتج من فساد الاعتقاد أو ضعف الإيمان.

**الثانية:** وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب الدنيا وشهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه فيخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار فينصرف إلى تذكرها واللهم بها. وهذا ناتج من استيلاء حب الدنيا على القلب. قيل لأحدهم عند الموت قل لا إله إلا الله. فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلانية افعلوا فيه كذا.

وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك، قال عبد العزيز بن أبي رواح حضرت رجلاً عند الموت يُلْقِنَ الشهادة لا إله إلا الله فقال في آخر ما قال هو كافر بما تقول ومات على ذلك قال فسألت عنه فإذا هو مدمراً حمراً.

وأنا رأيت سبعة أشخاص أعرفهم كانوا مترافقين على شرب الخمر والمقامرة ستة منهم ماتوا وهم سكارى بحوادث مختلفة وميتة لم تشبه ميتة الآخر تدل على سوء الخاتمة،

(١) صحيح البخاري، (ج ٥ / ص ١٣٤)، رقم ٤٢٠٧

(٢) جامع العلوم والحكم، ص: ٥٧

واحد فقط تاب منهم صلح دينه وصلاحت دنياه.

عُضُدُ الدُّولَةِ ابْنُ رَكْنِ الدُّولَةِ، الْبُوَيْهِيُّ وَلِيُّ سُلْطَنَةِ بَلَادِ فَارَسِ وَاستَولَى عَلَىِ الْعَرَاقِ، وَالْجَزِيرَةِ، وَدَانَتْ لَهُ الْأَمْمَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَوَطَبَ بِشَاهْنَشَاهَ [أَيِّ مَلِكِ الْمُلُوكِ] فِيِ الإِسْلَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ خَطَبَ لَهُ عَلَىِ الْمَنَابِرِ بِبَغْدَادِ بَعْدِ الْخَلِيفَةِ، قِيلَ: إِنَّهُ أَنْشَدَ أَبِيَاتًا مِنْ ضِمْنَهَا بَيْتَ قَالَ فِيهِ: عُضُدُ الدُّولَةِ وَابْنُ رَكْنِهِ ... مَلِكُ الْأَمْلَاكِ غَلَّابُ الْقَدْرِ فَلَازَمَهُ الصَّرْعُ بَعْدَهَا إِلَىِ أَنْ مَاتَ وَلَمَّا نَزَلْ بِهِ الْمَوْتُ كَانَ يَقُولُ: (مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَّهُ هَلَّكَ عَنِي سُلْطَانِيَّهُ) [الْحَاقَةُ: ٢٨ - ٢٩] وَيَرَدَّدُهَا إِلَىِ أَنْ مَاتَ<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: "واعلم أن سوء الخاتمة أعادنا الله تعالى منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلاح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة أو إصرار على الكبيرة وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة فياخذه قبل إصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويخطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله"<sup>(٢)</sup>

وما يشتراك به المتقين حسن الخاتمة فكلهم يأتيه الموت وقد استثار وجهه، وظهرت البشري على مظهره، وقد يحدث بما يراه في ذلك الموقف العصيب. ومن لطف الله تعالى بعباده أن من عاش على الخير فإنه يختتم له بالخير، ومن عاش على الشر فإنه يختتم له بالشر، فالإنسان يأخذ بالأسباب ويجتنب الظن بالله عز وجل.

وما يعين على حسن الخاتمة:

أولاً: الإكثار من الأعمال الصالحة مع إصلاح ما بين العبد وبين الله، وشهود منتهٍ تعالى بالعمل الصالح ولighدر من العجب ورؤيه العمل فإنه من أسباب سوء الخاتمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَيْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ قَالُوا

(١) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (ج ٤ / ص ٣٨٩)

(٢) الجواب الكافي، (ص: ١١٨)

زاد الدعاء في التغيير واصلاح القلوب

يا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، فَمِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَمُوتُ ساجداً أَوْ يَمُوتُ فِي الْحَجَّ أَوْ زائراً لِلنَّاسِ أَوْ وَاصِلاً لِلرَّحْمَنِ.

ثانية: الإكثار من ذكر الله فأكثر شيء تذكره بسانك يحضرك عند الموت عن معادٍ بن جَبَلَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup> فالذاكِرُ لله يموت على الذكر وقارئ القرآن تحضره الآيات والمغني يحضره الغناء والشاعر يحضره الشعر.

ثالثاً: التوبة من فساد الاعتقاد وشعب النفاق والذنب فالإصرار عليها يُخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية، وبالوصول إلى النفاق الخالص وإلى سوء الخاتمة، فالمعصي بريد الكفر، والذنب سبب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: أن الذنب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له. فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان. فيقع في سوء الخاتمة. قال الله تعالى (وكان الشيطان ل الإنسان خذولا) [الفرقان: ٢٩]<sup>(٣)</sup>

\*\* قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) عن عبد الله قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه في أربعين يوماً ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملّك فينفع فيه الرّوح ويؤمر بأربع كلماتٍ رزقه وأجله وعمله وشقّي أم سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيستيق علية الكتاب فيختتم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيستيق علية الكتاب فيختتم له

(١) صحيح الجامع الصغير، (ج / ١ ص ١١٧) رقم ٣٠٥، وقال الألباني: صحيح

(٢) سنن أبي داود، (ج / ٣ ص ١٥٩)، رقم ٣١١٨، وقال الألباني: صحيح

(٣) البداية والنهاية، (ج / ٩ ص ١٨٤)

بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»<sup>(١)</sup>

وخير خاتمة كانت لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي فرَّغ قلبه لله ولدينه الذي ارسل به، «عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُؤْفَى فِيهِ: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّىٰ مَا يَقِيْضُ بِهَا لِسَانُهُ»<sup>(٢)</sup> اوصى بأهم ركن من هذا الدين بعد الشهادة ، {الصلوة} اي الزموها ولا تغفلوا عنها. {ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} واوصى بأضعف الناس من المسلمين وهم العبيد والإماء أي ادوا اليهم حقوقهم واحسنوا معاملتهم.

وبعدما خيره الله تعالى بين الدنيا وما عند الله قال: «عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيهِ رَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاختَارَ مَا عِنْدَهُ»<sup>(٣)</sup> «عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْبَغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسِينٌ إِلَيَّ ظَهَرَهُ يَقُولُ «اللَّاهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاحْلُقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»<sup>(٤)</sup>

قال النووي: الصحيح الذي عليه الجمهرة ان المراد بالرفيق الأعلى الانبياء الساكنون على عليين ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع قال الله تعالى (وحسن أولئك رفيقا) <sup>(٥)</sup>، أيها المسلمون نقول لكم كما قال انس بن النضر موتوا على ما مات عليه رسول الله صلی الله عليه وآلہ وسلم، اتبعوا سنته قولًا وفعلاً وحالًا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم. اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة والثبات على الإسلام إلى الممات ونعتذر لك من سوء الخاتمة ومن الحور بعد الكور يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك<sup>(٦)</sup>

(١) صحيح البخاري، (ج ٤ / ص ١٣٣)، رقم ٣٣٣٢، المسند، (ج ٦ / ص ١٢٥)، رقم ٣٦٢٤

(٢) سنن ابن ماجه، (ج ١ / ص ٥١٩)، رقم ١٦٢٥، وقال الالباني: صحيح

(٣) صحيح البخاري، (ج ١ / ص ٢٢٠٦)، رقم ٤٤٤٠

(٤) سنن الترمذى، (ج ٥ / ص ٥٢٥)، رقم ٣٤٩٦، وقال الالباني: حسن صحيح

(٥) شرح النووي على مسلم (ج ١٥ / ص ٢٠٨)

(٦) الحور بعد الكور: أي الرجوع عن الاستقامة بعد ما كنت عليها.

### قائمة المصادر

١. الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن جعفر الأننصاري، (ت ٣٦٩ هـ)، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢. الألباني، أبو عبد الرحمن بن محمد ناصر الدين الأشقرودي، (ت ١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعرف، الرياض.
٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
٤. صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعرف، الرياض.
٥. الآلوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني، (ت ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
٦. ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجى، (ت ١٣٥٩ هـ)، العقائد الإسلامية، مكتبة الشركة الجزائرية، ط ٢.
٧. ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، (ت ١٤٢٠ هـ)، مجموعة فتاوى ابن باز، اشرف على جمعه: محمد بن سعد الشويعر.
٨. البخاري، محمد بن إسماعيل ابو عبدالله الجعفي، (ت ٢٦٠ هـ)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.
٩. التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوى، دار الفكر.
١٠. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجا، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١١. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، فقه الأدعية والاذكار، الكويت، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
١٢. البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي، (ت ٤٥٨ هـ)، شعب الایمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، اشرف على تحقيقه: مختار احمد الندوى، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
١٣. السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
١٤. الترمذى، محمد بن عيسى ابو عيسى السلمى، (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذى تحقيق: احمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر،

١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

١٥. ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٤ م.
١٦. مجموع الفتاوى، تحقيق: انور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٦ م.
١٧. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عمر عبدالله الحلوانى، محمد كبير احمد شودري، دار ابن حزم ن بيروت، ١٤١٧ هـ.
١٨. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكتاب العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
١٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابو الفرج، (ت ٥٩٧ هـ)، صيد الخاطر، تحقيق د.السيد شلبي، سيد إبراهيم، دار الحديث بالقاهرة، ط ١٤١٦ هـ.
٢٠. صفة الصفو، تحقيق: محمد فاخوري، د. محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
٢١. بحر الدموع، تحقيق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
٢٢. الحاكم، محمد بن عبد الله ابو عبدالله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م.
٢٣. ابن حبان، محمد بن حبان البستي، (ت ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
٢٤. الخطيب، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي، (ت ٤٦٣ هـ)، اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٣٩٧ هـ.
٢٥. الخلال، احمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ابو بكر (ت ٣١١ هـ)، السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الرأي، الرياض، ١٤١٠ هـ.
٢٦. ابن خياط، ابو عمرو خليفة بن خياط الشيباني البصري، (ت ٢٤٠ هـ)، تحقيق: د. اكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧ هـ.
٢٧. ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن ابي داود، تعلیق الالباني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٨. الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، بيروت.
٢٩. الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ابو البقاء كمال الدين الشافعي، (ت ٨٠٨ هـ)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٥٤٢ هـ.
٣٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت ٧٤٨ هـ)، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٣١. تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
٣٢. الرازى، ابو عبدالله محمد بن عمر فخر الدين، (ت ٢٠٦ هـ) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار احياء التراث، بيروت ١٤٢٠ هـ.
٣٣. الرباعي، خالد بن سليمان بن علي، من عجائب الدعاء، دار القاسم للنشر، الرياض ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٣٤. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب السلاوي البغدادي، (ت ٧٩٥ هـ)، الجامع لتفسیر الامام ابن رجب، جمع وترتيب ابی معاذ طارق بن عوض الله، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
٣٥. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م.
٣٦. جامع العلوم والحكم، ط ١، دار المعرفة، بيروت.
٣٧. مجموع رسائل ابن رجب، تحقيق: ابو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٣٨. السخاوي، شمس الدين ابو الحسن محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢ هـ)، المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
٣٩. السعدي، محمد بن ناصر، التنبیهات اللطیفة فيما احتوت عليه الواسطیة من المباحث المینیة، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٤٠. السفیری، شمس الدين محمد بن عمر بن احمد الشافعی، (ت ٩٥٦ هـ)، المجالس الوعظیة في شرح أحادیث خیر البریة صلی الله علیه وسلم تحقیق: احمد فتحی عبد

- الرحمن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ هـ، ١٤٢٥ م.
٤٤. السليمان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، (ت ١٤٢٢ هـ)، موارد الظمان لدروس الزمان، ط٣٠، ١٤٢٤ هـ.
٤٥. السمرقندى، ابو الليث نصر بن محمد بن احمد، (ت ٣٧٣ هـ)، تنبیه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، تحقيق: يوسف علي بدبوى، ط٣، دار ابن كثیر، دمشق، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
٤٦. الشافعى، محمد بن ادریس المطلابى القرشى المکي، (ت ٤٢٠ هـ)، الام، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.
٤٧. الشرنبلالى، حسن بن عمار بن علي المصرى الحنفى، مراقي الفلاح شرح متن نور اليضاح، راجعه، نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.
٤٨. الشعراوى، محمد متولى، (ت ١٤١٨ هـ)، تفسير الشعراوى، مطبع اخبار اليوم، ١٩٩٧ م.
٤٩. الشيباني، احمد بن حنبل ابو عبدالله، (ت ٢٤١ هـ)، المسند، تعلیقات: شعیب ارناؤوط، مؤسسة قرطبة، مصر.
٥٠. فضائل الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
٥١. الزهد، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، ط٢، ٢٠٠٣ م.
٥٢. الصفورى، عبد الرحمن بن عبد السلام (ت ٨٩٤ هـ)، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، المطبعة الكاستيلية، مصر.
٥٣. الصناعى، محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسينى، (ت ١١٨٢ هـ)، التجاير لإيضاح معانى التيسير، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.
٥٤. الطبراني، سليمان بن احمد ابو القاسم، (ت ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣ م.
٥٥. الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر، (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٦. جامع البيان في تأویل آی القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

٥٤. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار فقه ابو حنيفة، دار الفكر  
بيروت ١٤٢١ هـ / ج ١ / ص ٥٠٨.
٥٥. العباد، عبد المحسن بن محمد، فضل اهل البيت وعلو مكانتهم عند اهل السنة والجماعة،  
دار ابن الاثير، الرياض، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
٥٦. عبد القادر محمد عطا، المفید في مهیاۃ التوحید، دار الاعلام، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
٥٧. ابن عبد الهادی، یوسف، (ت ٩٠٩ هـ)، مراقي الجنان في السخاء وقضاء حوائج  
الاخوان، تحقيق: محمد خیر رمضان یوسف، دار ابن حزم، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٥٨. العتبی، عمر بن سلیمان بن عبدالله الأشقر، (ت ١٤٣٣ هـ)، التقوی (تعريفها  
وفضائلها ومحظوراتها وقصص من احوالها)، دار النفائس للنشر والتوزیع، الاردن،  
ط ١، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.
٥٩. العثیمین، محمد بن صالح، (ت ١٤٢١ هـ) مجموع رسائل وفتاوی ابن عثیمین، جمع  
وترتیب: فهد بن ناصر بن ابراهیم، دار الوطن، دار الشریا، ١٤١٣ هـ.
٦٠. الشرح الممتع على زاد المستقنع، ط ١، ١٤٢٨ هـ، دار ابن الجوزی .
٦١. العسقلانی، احمد بن علي بن حجر ابو الفضل الشافعی، فتح الباری شرح صحيح  
البخاری، رقم کتبہ وابوابہ : محمد فؤاد عبد الباقی، تعلیق: عبد العزیز بن باز، دار  
المعرفة، بیروت، ١٣٧٩.
٦٢. ابن العماد، عبد الحیی بن احمد العکری الحنبلي، (ت ١٠٨٩ هـ)، شذرات الذهب في  
اخبار من ذهب، تحقيق: محمود ارناؤوط، خرج احادیثه عبد القادر ارناؤوط، ط ١،  
١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، دار ابن کثیر، بیروت، دمشق.
٦٣. الغزالی، محمد بن محمد ابو حامد، (ت ١٥٥ هـ)، احیاء علوم الدین، دار المعرفة،  
بیروت.
٦٤. الفاسی، ابو العباس احمد بن محمد، (ت ١٢٢٤ هـ)، البحر المدید، دار الكتب العلمية،  
بیروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٦٥. الفیروزآبادی، مجید الدین ابو طاهر محمد بن یعقوب، (ت ٨١٧ هـ)، بصائر ذوي  
التمییز في لطائف الكتاب العزیز، تحقيق: محمد علی النجgar، لجنة احیاء التراث  
الاسلامی، القاهرة .
٦٦. القاری، سلطان محمد، (ت ١٠١٤ هـ)، مرقة المفاتیح شرح مشکاة المصایح، ط ١،

- دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، ١٤٢٢ هـ، م ٢٠٠٢ م.
٦٧. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن جمال الحلاق، (ت ١٣٣٢ هـ)، خرج احاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الالباني، ط ٥، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م، المكتب الاسلامي
٦٨. ابن قدامة، ابو محمد موفق الدين المقدسي، (ت ٦٢٠ هـ)، عمدة الفقه، تحقيق: احمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، ١٤٢٥ هـ، م ٢٠٠٤ م.
٦٩. المغني في فقه الامام أحمد، ط ١، دار الفكر، بيروت
٧٠. القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري الخزرجي، (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ، م ٢٠٠٣ م.
٧١. القسطلاني، احمد بن محمد بن ابي بكر القمي المصري، (ت ٩٢٣ هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة .
٧٢. ابن القيم، محمد بن ابي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١ هـ)، اعلام المؤquin عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف السعد، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣ م.
٧٣. بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت
٧٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب أرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط ٢، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧ هـ، م ١٩٨٧ م.
٧٥. الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت .
٧٦. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨ هـ .
٧٧. الروح في الكلام على ارواح الاموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت .
٧٨. الفوائد، تحقيق : ماهر منصور عبد الرزاق كمال علي، دار الكتب العلمية، بيروت م ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م
٧٩. الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، م ١٩٨٥ م

٨٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدنى، القاهرة .
٨١. زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت،
٨٢. شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليق، تحقيق: محمد بدر الدين النعسانى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م .
٨٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .
٨٤. اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ .
٨٥. مفتاح دار السعادة و منتشر ولاية العلم والارادة، دار الكتب العلمية، بيروت .
٨٦. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمرو البصري، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
٨٧. ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،(ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق، محمد ناصر الدين الالباني، دار الفكر، دار احياء الكتب العربية، بيروت .
٨٨. مالك بن انس بن مالك بن عامر الاصحابي المدنى، (ت ١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمى، مؤسسة زايد بن سلطان للاعمال الخيرية والانسانية، ابو ظبى، ط ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م .
٨٩. الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت ٤٥٠هـ) النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت .
٩٠. ابن المبارك، ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، (ت ١٨١هـ)، الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمى، دار الكتب العلمية، بيروت .
٩١. المراغي، احمد بن مصطفى، (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، ط ١، ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر .
٩٢. مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت .
٩٣. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي أبو إسحاق برهان الدين، (ت ٨٨٤هـ)،

- المبدع في شرح المقنع، المكتب الاسلامي، ١٤٠٠ هـ، بيروت.
٩٤. ابن مفلح، محمد بن مفلح بن مفرج، بن محمد شمس الدين المقطبي، (ت ٧٦٣ هـ)، الآداب الشرعية، والمناجاة المرعية، دار الكتب، بيروت.
٩٥. المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ)، إمتاع الأسماع، ت: محمد عبد الحميد النمسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠، ١٩٩٩ م.
٩٦. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير
٩٧. الموصلبي، محمد بن محمد بن عبد الكرييم بن رضوان البعلبي، (ت ٧٧٤ هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: سيد ابراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
٩٨. النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة، مكتبة المطبوعات الاسلامية، حلب، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ هـ.
٩٩. ابو نعيم، احمد بن عبد الله بن احمد الاصبهاني، (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الاولى، السعادة، القاهرة، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م.
١٠٠. المسند المستخرج على صحيح الامام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.
١٠١. النووي، ابو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي، (ت ٦٧٦ هـ)، المجموع شرح المذهب. دار الفكر.
١٠٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.
١٠٣. الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر، (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٠٤. ابن الوزير، محمد بن ابراهيم ابو عبد الله القاسمي، (ت ٨٤٠ هـ)، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، تقديم بكر عبد الله ابو زيد، دار عالم الفوائد.

## المحتويات

٣	مقدمة.....
٤	منهجي في الكتاب.....
٥	كلمة إلى الدعاة.....
٢٦	سمات الخطبة الناجحة.....
٣٢	الامامة.....
٣٩	الاختلاف في الدين مهلكة.....
٥٢	١. الاخلاص والمتابعة.....
٥٦	٢. التوكل على الله.....
٦٠	٣. معرفة العدو وكيده.....
٦٣	٤. التفكير في آيات الله المتلوة والمشهودة.....
٦٧	٥. معرفة عواقب الذنوب.....
٧٠	٦. الدخول في الاسلام كله.....
٧٤	٧. الاسلام دين الرحمة.....
٧٧	٨. الاسلام دين العدل.....
٨٠	٩. الاسلام دين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .....
٨٣	١٠. الابتلاء بال المصائب.....
٨٦	١١. الابتلاء بالنعم.....
٨٩	١٢. التغيير يبدأ من النفس.....
٩٢	١٣. التوبة .....
٩٥	١٤. الاستغفار.....
٩٨	١٥. الدعاء .....
١٠١	١٦. وسائل استجابة الدّعاء .....
١٠٥	١٧. ما هو أفضل ما يدعوه به العبد؟.....
١٠٩	١٨. كيف نهتدي إلى الحق.....

١٩.	أسباب الهدایة.....	١١٢
٢٠.	سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة.....	١١٦
٢١.	العلم النافع.....	١٢٠
٢٢.	العلم بالاسماء الحسنى.....	١٢٣
٢٣.	معنى كلمة التوحيد لا إله الا الله.....	١٢٧
٢٤.	أركان التوحيد.....	١٣٠
٢٥.	آية الكرسيّ.....	١٣٤
٢٦.	العبوديّة.....	١٣٨
٢٧.	حقيقة العبوديّة.....	١٤٢
٢٨.	صفات عباد الرحمن .....	١٤٥
٢٩.	معرفة النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٤٨
٣٠.	صفات النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم الحلقـية.....	١٥١
٣١.	خُلُقُ النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٥٤
٣٢.	معجزات النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم .....	١٥٧
٣٣.	هجرة النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٦٠
٣٤.	شفاعة النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٦٤
٣٥.	حقوق النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٦٧
٣٦.	حقوق أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم .....	١٧١
٣٧.	الحسن بن علي رضي الله عنه السيد الذي جمع كلمة الامّة.....	١٧٥
٣٨.	شواهد الحق بين الجفاء والغلو في استشهاد الحسين رضي الله عنه .....	١٧٨
٣٩.	حقوق صحابة النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم.....	١٨٢
٤٠.	الولاء والبراء.....	١٨٧
٤١.	معرفة دين الاسلام بأدلة الشرعية .....	١٩٠
٤٢.	الموت .....	١٩٣
٤٣.	عذاب القبر .....	١٩٧
٤٤.	الإيمان باليوم الآخر .....	٢٠٠

٤٥. الإيمان بالملائكة والكتب المتنزّلة والرسول .....	٢٠٤
٤٦. الإيمان بالقدر.....	٢٠٧
٤٧. الإحسان.....	٢١٠
٤٨. الصلاة.....	٢١٣
٤٩. شروط وأركان الصلاة .....	٢١٧
٥٠. أسرار الصلاة .....	٢٢٠
٥١. الخشوع في الصلاة.....	٢٢٦
٥٢. الزكاة.....	٢٣٠
٥٣. الاستعداد لشهر الصوم.....	٢٣٣
٥٤. صيام رمضان .....	٢٣٧
٥٥. التقوى.....	٢٤٠
٥٦. علامات التقوى.....	٢٤٣
٥٧. عيد الفطر.....	٢٤٦
٥٨. بناء البيت .....	٢٤٩
٥٩. حج البيت.....	٢٥٣
٦١. صحّة المعاملات سبب لقبول الاعمال .....	٢٦٠
٦٢. الصبر .....	٢٦٣
٦٣. الشكر.....	٢٦٦
٦٤. نموذج من جحود النّعْم (حفلات الأعراس) .....	٢٦٩
٦٥. الجنة .....	٢٧٢
٦٦. الفردوس الأعلى .....	٢٧٥
٦٧. لا إله الا الله مفتاح الجنة .....	٢٧٨
٦٨. حسن الخلق من أسباب دخول الجنة .....	٢٨١
٦٩. بر الوالدين من أسباب دخول الجنة .....	٢٨٤
٧٠. أداء حقّ الجار من اسباب دخول الجنة .....	٢٨٧
٧١. النار.....	٢٩٠

٧٢. الشرك بالله من أسباب الخلود في النار.....	٢٩٣
٧٣. النفاق من أسباب دخول النار.....	٢٩٦
٧٤. الاستهزاء بالدين من أسباب الخلود في النار.....	٣٠٠
٧٥. الكبر من أسباب دخول النار.....	٣٠٣
٧٦. السبع المهلكات من أسباب دخول النار.....	٣٠٦
٧٧. الظلم من أسباب دخول النار.....	٣٠٩
٧٨. الغيبة من أسباب دخول النار.....	٣١٢
٧٩. حال الأتباع والمتبعين يوم القيمة.....	٣١٥
٨٠. العصبية القبلية والقومية سبب هوان الأمة.....	٣١٩
٨١. مكانة المرأة في الاسلام.....	٣٢٢
٨٢. أنواع القلوب.....	٣٢٥
٨٣. العلم حياة القلوب .....	٣٢٩
٨٤. محركات القلوب في السير إلى الله (الحب والرجاء والخوف).....	٣٣٢
٨٥. الرجاء لفضل الله.....	٣٣٥
٨٦. الخوف من الله.....	٣٣٨
٨٧. مفسدات القلوب .....	٣٤١
٨٨. المحبة .....	٣٤٥
٨٩. الأسباب الحالية لمحبة الله تعالى: (التقرب إلى الله بالفرائض والنواقل) .....	٣٤٨
٩٠. تلاوة القرآن.....	٣٥١
٩١. ذكر الله تعالى .....	٣٥٣
٩٢. إيثار حباب الله على حبابك عند غلبات الموى .....	٣٥٥
٩٣. مطالعة القلب لأسمائه وصفاته .....	٣٥٨
٩٤. مشاهدة بربه وإحسانه وألائه ونعمه الباطنة والظاهرة .....	٣٦١
٩٥. انكسار القلب بكثيته بين يدي الله تعالى .....	٣٦٤
٩٦. الخلوة بين يديه في الثالث الأخير من الليل .....	٣٦٧
٩٧. مجالسة المحبيين الصادقين.....	٣٧٠

٣٩٨ ————— زاد الدعاة في التغيير واصلاح القلوب

٩٨. مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل	٣٧٣
٩٩. أخوة الاسلام ومحبة المسلمين سبب لمحبة الله	٣٧٧
١٠٠. الخاتمة	٣٨١
قائمة المصادر	٣٨٦
المحتويات	٣٩٤



